أعمال الندوة العلمية التي نظمها النادي الجراري

بشراكة مع جمعية رباط الفتح تكريما للأستاذ الدكتور

مصطفى الجوهري

يوم الخميس 20 يونيو 2019، بمقر جمعية رباط الفتح بالرباط

تخليدا للذكرى التسعين لتأسيس النادي الجراري

2020 – 1930

تكريم الأستاذ الدكتور

مصطفى الجوهري

حصاد ثقافي وإشعاع علمي وعطاء جمعوي

أبحاث وشهادات

إعداد وتنسيق: الدكتور محمد احميدة

منشورات النادي الجراري رقم:84

1441هـ - 2020م

الكتاب: تكريم الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري
حصاد ثقافي وإشعاع علمي وعطاء جمعوي- أبحاث وشهادات
أعمال الندوة العلمية التي نظمها النادي الجراري بشراكة مع جمعية رباط الفتح
تكريما للأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري
إعداد وتنسيق: الدكتور محمد احميدة
منشورات النادي الجراري رقم:84
رقم الإيداع القانوني: MO1328 2020
ردمك: 978-9920-9738-5-4
الطبعة الأولى مارس 2020

مطابع الرباط نت
Imprimerie
RABAT NET
Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com
www.imprimerierabat.com

الفهرس

تقديم د. أحمد شحلان 7

I - الشهادات 13

شهادة د. عباس الجراري 15

شهادة ذ. عبد الكريم بناني 21

شهادة ذة. حميدة الصايغ الجراري 25

شهادة د. محمد البوري: الدكتور مصطفى الجوهري باحث جامعي
في خدمة التنمية الثقافية 29

شهادة د. عمر المراكشي: أخلاقك أكثر من يدافع عنك في غيابك 33

شهادة د. عبد الإله بنعرفة: الأستاذ مصطفى الجوهري مثال الوفاء للبيت الجراري 35

شهادة ذ. أحمد سعيد ولد اباه 41

II- العروض 45

د. إبراهيم بورشاشن: عبد الله الجراري مربيا ومعلما من خلال "هذه مذكراتي"
تحقيق د. مصطفى الجوهري 47

ذ. محمد اليملاحي: الأصول الوطنية للأبحاث الأدبية لدى الأستاذ مصطفى الجوهري:
نموذج دراسة آثار العلامة عبد الله الجراري 81

د. عبد السلام الطاهري: الوعي بالكتابة واختراق النص المذكراتي 69

د. السعيد بنفرحي: السير وتراجم الرجال عند الدكتور مصطفى الجوهري 79

د. محمد التهامي الحراق: النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات"... إضاءات ومعالم..... 107

د. محمد أحميد: فكر الجراري التربوي: أسسه ومرجعياته من خلال كتاب

عبد الله بن العباس الجراري الأديب. 129

د. سي محمد أملح: واجهة التحقيق عند الأستاذ مصطفى الجوهري

"هذه مذكراتي" لعبد الله الجراري أنموذجا..... 149

ادريس الشراوطي: الدكتور مصطفى الجوهري محققا،

الرحلة السطاتية أو السكيرجية نموذجا..... 159

د. محمد احميدة: الجهود العلمية للدكتور مصطفى الجوهري في العناية بالتراث الفكري والأدبي للأسرة الجرارية..... 169

د. محمد البوري: كتاب "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" للأستاذ مصطفى الجوهري: مقاربة في مقومات بحث جامعي ومكونات منهجه..... 177

كلمة المكرم الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري..... 189

الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري، ملامح مختصرة في السيرة والعطاء..... 195

القصائد الشعرية

مجالس العلماء: أحمد السوسي التناني..... 207

أخي مصطفى: عبد الرحيم بنعبد الله..... 209

مصطفى: محمد نجيد..... 211

معلقة: محمد قرقزان..... 112

صور حفل تكريم مصطفى الجوهري..... 215

****

تقديم

د. أحمد شحلان*

حصاد ثقافي وإشعاع علمي وعطاء جمعوي

لطيف ودال هذا العنوان الذي اختاره أحبة رجل، طيب المعشر، دمث الأخلاق، خدوم في تواضع، ليعنونوا به هذه الباقة من البحوث القيمة التي أعدتها ثلة من أصدقاء ورفاق الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري.

وفي أسماء الناس أسرارها، وفيها علامات صادقة تدل على ما في نفوسهم وقلوبهم وعقولهم، وما أعظم ما ينطوي عليه لفظ"المصطفى". ففيه من أصيل اللغة، والزيادة من حروف الصرف، وعبق التاريخ، وشريف النسب، ما يميز من يسمى به ويتحلى بصوغ حروفه. وزاد الرجلَ زينةً، ما اختاره أو ما اختير له، لعيار معدنه، في نسبته لل"جوهر". والجوهر غال في السَّوْم إذا كان "أيْسًا" ملموسا، وكريم في الوجود، إذا كان دالا على البقاء والثبوت. جل الذين جاد خاطرهم بشهادة محبة وود في هذا الكتاب اللطيف، لمسوا في اللفظين ما يربط بينهما وبين هذا الرجل. وفيهم من كان له أستاذا، وفيهم من كان له خِلا، وفيهم من كان له صديقا، وفيهم من كان له رفيقا، وفيهم من كان عليه حنونا، وفيهم من كان له تلميذا، وفيهم من عرفه على مجاز. تساوت ألحانهم كلها في ترنيمتهم التي رددت محاسنه وغنت مكارمه. وكل منهم خصه بما ارتبط به وإياه في شأنه. فهو، وقد صدقوا الطالب المجد، الباحث المهموم، الأستاذ المقتدر، المناقش الصريح، الوفي الصادق، الزميل المسئول، الوطني الغيور، المشيد بأحرار وطنه، المتفاني في خدمة الناس في بلده، المحب العاشق لمدينته، المفتخر بأعلام رباطه، الخادم المخلص في مختلف القضايا كبيرها و"صغيرها الكبير"، وفيها السهر المنتظم على أعمال جمعية رباط الفتح

* أستاذ اللغة العبرية والدراسات الشرقية.

تنظيما ونشرا، والقيام الذوقي على "صينية" الشاي في النادي الجراري ومدّ زرابيه للصلاة فيه.

وأوثق الصلات التي ربطت الفاضل مصطفى الجوهري برجالات مدينة الرباط، هي العلم والمعرفة على الخصوص، وهذا الجانب الكبير في فعله، تعدى شهادات القلوب المحبة، وتعدى لغة الوداد والصفاء، ليستدل عليه ببحوث علمية أكاديمية رصينة ترجمت الصفات العلمية إلى فعل علمي متعدد الاتجاهات، وأيدت ما رآه فيه أستاذه، فضيلة الدكتور عباس الجراري، الذي رعى مساره الفكري، عندما رأى فيه "صاحب مشروع علمي متكامل".

وردت صورة هذا المشروع المتكامل في البحوث التي زينت يوم احتفاء الخلان بخليلهم، وزينت صفحات كتاب ستتداوله أيدي الناس. وفي هذه الصفحات ما يقدم شهادات ملموسة على كل ما ورد في المكرم من صفات، أي حبه للوطن، وحبه لأعلام وطنه، وحبه لثقافة وطنه. ومن هنا اتفقت كل البحوث على الإشادة بالأعمال الأكاديمية الجادة التي هي ثمرة بحوث المكرم. وبحوث المكرم متعددة غنيه، خص فيها علماء مدينة الرباط بسبع وخمسين ترجمة، وخص مقاوميها بأربعين ترجمة. وقد فصل في أمر تناوله لهذه، البحث الموسوم ب"السير وتراجم الرجال عند الدكتور مصطفى الجوهري". حيث استخرج الباحث أسماء المترجمين وكيفية تناول المكرم لتراجمه هذه، حجما وكما، ترتيبا وتنظيما، نتاجا وإبداعا، مصادر ومراجع. وتتبع صاحب هذا المقال المنهج العلمي الذي اتبعه المكرم، والتقنيات الدقيقة التي أرخ بها لمترجميه، وغنى الاستشهاد الدال على المعرفة الواعية بالمظان، واعتماد الأخذ من الأفواه. ولم ينس صاحب البحث تنبيه مكرمنا على بعض هَنَات هي من ضروريات البحث، إذ لا يوجد بحث لم يقل فيه صاحبه "وبقي في نفسي شيء من حتى".

لقد أشار صاحب بحث "السير وتراجم الرجال..." إلى تفاوت نسب أحجام هذه التراجم، وبين أن الترجمة التي أخذت الحيز الكبير في أعمال مكرمنا هي سيرة العلامة عبد الله الجراري. ومن الطبيعي أن تنال ترجمة مؤرخ المغرب المربي فضيلة "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" الحظ الأوفر في المسار المعرفي للمحتفى به. ذلك أنه تقرب من

الرجل كيانا، وهو حفيده في العلم من نسب الدكتور عباس الجراري، وهو مَثَله في الوطنية ومثله في رجالات الرباط، ومن معارفه توج مساره الأكاديمي.

لذلك عينت بحوثه بالدرجة الأولى بالأسرة الجرارية، فشملت كل "الجهود العلمية التي اعتنت بالتراث الفكري والأدبي للأسرة الجرارية"، في تراث الأدب وإبداعه، وثمار الابن وجهوده. وذلك في مستويات ثلاثة: مستوى التحقيق الذي أسهم فيه الابن الجراري، ومستوى تقريب النصوص إلى الباحثين ليفيدوا منها ويستفيدوا، ومستوى ثالث، وتمثل في الغوص في هذا التراث الجراري درسا أكاديميا وبحثا مدققا.

وقد أبان عن جهد هذا المسار جل هذه البحوث المسطورة في هذا الكتاب من ذلك بحث "الأصول الوطنية للأبحاث الأدبية لدى الأستاذ مصطفى الجوهري نموذج دراسة آثار عبد الله الجراري" وبحث "فكر الجراري التربوي: أسسه ومرجعياته من خلال كتاب عبد الله بن العباس الجراري الأديب". وبحث "كتاب عبد الله بن عباس الجراري الأديب" للأستاذ مصطفى الجوهري مقاربة في مقومات بحث جامعي ومكونات منهجه". فقد ركز البحث الأول على العلاقات الطبيعية التي بين المكرم وشيخ شيخه، وعلى موسوعية هذا الشيخ الملتبسة بعمل وطني يجب أن يحتذى به. وحيث رصد البحث الثاني "المتحدِّث" "وما قاله" و "كيف" و "لمن" و "لبلوغ أي هدف" و "لبلوغ أي نتيجة". وهذه هي الخطوات التي تتبع من خلالها صاحب هذا البحث الأسلوب البحثي الذي كرسه المحتفى به في التأريخ للسير العالمة، سواء في أطروحته لشيخ شيخه، أو في تحقيقاته العلمية الأخرى. ولخص البحث الثالث في فقرته الأولى شخصية عبد الله الجراري الذي نسج لحمتها وسداها من سِنِي القرن العشرين: استعمار المغرب، الظهير البربري، وثيقة الاستقلال، نفي محمد الخامس، المقاومة، ثم البناء الجديد للمغرب الحديث. فقد كونت كل هذه الأحداث الرجل عبد الله الجراري، فهو رجل عصر كامل في تربيته ومعارفه وإبداعه وإنتاجه. وتمثلت مقاربة الباحث في مسالك هذه الحياة منهجا دقيقا تجسم في الدراسة "المعمقة المتماسكة المتناسبة الأبواب الرائدة في موضوعها". وأدت هذه الخطوات إلى:

- "رسم صورة كاملة وواضحة لشخصية عبد الله الجراري".

- "إلى تبيان أن نتاج عبد الله الجراري تميز بالسبق والاستمرارية والتنوع والخصوبة".

إنتاجٌ دَرَسَ المكرمُ شخصياتِه وبيئته وأجناسه الأدبية والقضايا التي تعرض لها والفترات التاريخية التي تحرك في ظلالها، بمنهج علمي واضح المعالم.

ومن ضمن ما درس المكرم بل ما حقق ووثق "هذه مذكراتيّ. ونالت هذه في أعمال هذه الندوة عناية كبيرة. من ذلك، بحث "عبد الله الجراري مربيا ومعلما من خلال "هذه مذكراتي" وبحث "واجهة التحقيق عند الأستاذ مصطفى الجوهري" هذه مذكراتي" لعبد الله الجراري أنموذجا". وبحث "الوعي بالكتابة واختراق النص المذكراتي".

نظر البحث الأول في الجهود التربوية التي كان فيها العلامة عبد الله الجراري إماما مجليا في فترة حرجة من تاريخ المغرب، استطاع أن يجمع فيها بين التراث الغني، والمعاصرة الواعية، والروح الإسلامية الخلاقة، وكل نافع من الفن الراقي المهذب للنفوس، فكان قدوة في ما ألف وقدوة في كيف فكر. ومما اهتم به البحث الثاني، الجانب التقني في التحقيق الذي ينطلق من حسن الاختيار إلى التأصيل والقراءة الذكية، إلى التوثيق والتعليق. وكل ذلك يسير بمراعاة القواعد النقدية المتبعة في فن السيرة. ونظر البحث الثالث في طريقة الغوص في فهم بنيات المذكرة ومنعرجات قضاياها. وذلك في محاور هي: "إشكال مفهوم أدب المذكرات"، "طبيعة القضايا الواردة في المذكرات الجرارية"،في بعدها الأدبي، ومعالم توجهاتها، وقضايا بعدها الفكري. أما محورها الثالث "فهو المنهج الموظف في الدراسة" المنبنية على تحليل النص، والمرجعية الموثقه والاستفادة من القرب الأسروي ومحيط المدينة.

وأبرز بحثان من بحوث ندوة التكريم وجها آخر من وجوه التحقيق عند المكرم، وذلك في "الرحلة السطاتية أو السكيرجية" وفي "ديوان الخالصيات". أما النظر في الرحلة السطاطية فهو استمرار للرحلة في فكر العلامة عبد الله الجراري، وفي مسار خاص قصدُه الأخذ والمعرفة والتعلم. وذلك في رحلة ممتعة أبانت عن وجوه متعددة من المسليات المفيدات، فيها التاريخ والعلم والاجتماع والقضايا الدينية، لا في الكتب وحسب، بل فيما يدور بين العلماء والمجالس والمناظرات، وفيما يعتبر من "المحرجات" مثل قضايا المرأة وتعليم الفتاة. وقد عرض الباحث للمنهج الذي ركبه المكرم في تحقيقه هذا: في تشكيله للنص وتقسيمه، في تخريجه لآي القرآن والأحاديث النبوية، في تخريج الأعلام والتعريف

بالأماكن والكتب وتخريج الأشعار، وبالأخص في تحيين المعلومات الواردة في متن الرحلة مع زمن تحقيقها، ففهرسة النص. أما النص الثاني في هذا المحور، فهو بحث "النزعة الصوفية في ديوان الخالصيات اضاءات ومعالم". ومن الإضاءات الأولى، صورة المكرم في أبعاده المختلفة، كما يتخيلها صاحب البحث. وهي صورة سبق أن عبرت عنها كل الشهادات التي أشرنا إليها بدءاً. وإضاءاتها الثانية أن هذا العمل العلمي يرتبط ارتباطا بطبيعة المحقق التي من صفاتها الإخلاص والوفاء والإشادة بأعلام مدينته، إضافة إلى انبهاره بالمكتوب الجميل ذي النفحة الصوفية. وعند هذه، أي الصوفية، وقف الباحث مطولا، يجوس خلال الديار والأبيات، يغريه العبق في معالم ثلاثة: معلم النزعة الصوفية التي مبعثها الألق النبوي في كل مناهله، أمداحا ومولديات وشمائليات واستشفاعا. المعلم الثاني "أثر الذاكرة الشعرية الصوفية أو أثر التجربة الروحية الذاتية على الإيقاع الشعري في ديوان الخالصيات".

هذه رحلة قصيرة في بحوث هذه الندوة التكريمية التي رافقها فيض جميل من الإبداع الشعري، تغنى بأفضال المكرم الدكتور مصطفى الجوهري، كما تغنت بأفضال سيرته العلمية بحوث جادة كلها نظرت في دراساته وتحقيقاته، وختمها هو بكلمة شكر وعرفان في من رعى هذا التكريم تصورا وإعدادا وتنظيما وعلما.

وقد أحسن المعتني بإخراج هذه الأعمال إلى النور، حيث زين المؤلف بسير ذاتية وفية عنونها بـ"الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري ملامح مختصرة في السيرة والعطاء" عرفت بالمكرَّم عملا ودرسا وبحثا ونشاطا. ثم وثقت للقاء العلمي بصورة فوتوغرافية لتحمل القارئ من متعة الحرف إلى متعة المشاهدة.

أطال الله عمر الأخ الكريم العزيز الدكتور مصطفى الجوهري، وأمتعه بصحة الجسم والعقل والروح، ليتابع مسيرته العلمية في رفقة خلان أحبوه فأكرموه فأشادوا بعلمه.

****

١ـ الشهادات

شهادة عميد الأدب المغربي
الدكتور عباس الجراري*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أخي العزيز رئيس جمعية رباط الفتح،

السيد رئيس الجلسة،

مكرمنا العزيز،

أصحاب الفضيلة والسعادة،

حضرات السيدات والسادة.

تغمرنا مشاعر البهجة والسعادة في هذا اليوم، وبهذا اللقاء، ونحن نحتفل بتكريم أخ عزيز وباحث قدير وصديق حميم. نحتفل بتكريمه من خلال استعراض ملامح من خصاله السلوكية الحميدة، وجوانب من أعماله العلمية السديدة.

وإذا كنت سأحصر القول عن مكرمنا الغالي الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري في عناصر محددة سريعة، فلأن الحديث عنه طويل ويطول، طوال الزمن الذي استغرقته، وما زالت بحمد الله تستغرقه المعرفة بيننا، والذي يمتد نحو خمسة عقود. فقد بدأت هذه المعرفة التي كانت لا تزيد مع توالي سني تلك العقود إلا قوة تعلق ومتانة ارتباط؛

* مجمل الشهادة التي قدمها ارتجالاً، في الحفل الذي نظمه النادي الجراري بشراكة مع جمعية رباط الفتح، تكريما للأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري، بعد ظهر الخميس 16 شوال 1440هـ الموافق 20 يونيو 2019م بمقر الجمعية.

منذ كان الشاب مصطفى يختلف إلى فصول الدرس بكلية آداب فاس والرباط، حيث كانت تبدو عليه –وبدت لي جلية واضحة- سمات الذكاء والنبوغ وعلامات الحرص على المثابرة والتحصيل بجد واجتهاد، مع تطلع للمزيد وتشوف للأعلى؛ مما كان يجعلني أتفرس فيه تحقيق ما كان يسعى إليه ويرغب فيه.

ثم لم تلبث هذه العلاقة بيننا أن توطدت حين سعدت بالإشراف على إنجاز بحوثه الجامعية العليا، بدءاً من الرسالة التي كان يطلق على شهادتها "دبلوم الدراسات العليا". ولفت نظري أنه أدار موضوعها حول أحد أعلام الفكر والأدب الرباطيين –هو الوالد رحمه الله- وكانت بعنوان "عبد الله الجراري الأديب". وزاد في إثارة انتباهي إليه أنه أبى بعد ذلك إلا أن ينجز أطروحة الدكتوراه حول العلَم نفسه، وعن مذكرات حياته الحافلة.

وهكذا بدا لي كبير اهتمامه بأعلام الرباط، وبمختلف ما نهضوا به في مجالات الثقافة والحضارة وغيرهما مما شجعته عليه؛ إذ تأكد لي بعد هذين العملين العلميين الرصينين، وما كان يدور بيننا من أحاديث ومذاكرات، أن له مشروعاً يحرص على أن يساهم به في النهوض بمدينته والتعريف بأعلامها وما خلفوا من إنتاج علمي زاخر، وما كان لهم من مواقف تاريخية مشرفة قدموا بها أيادي بيضاء، ليس فقط للرباط، ولكن للمغرب كله ولعالم العروبة والإسلام.

وعندي أن امتلاك أي أستاذ جامعي لمشروع يكون حالماً به وعاملاً على تحقيقه، هو نقطة انطلاق نجاح هذا الأستاذ في مهمته، وإلا فهو غير جدير بتلك الأستاذية.

ولا أخفيكم –**حضرات السيدات والسادة**- أني ما التحقت بهيئة التدريس في الجامعة إلا بمشروع واسع للدراسات المغربية التي كانت عند تأسيس الجامعة لا تلقى إلا الإهمال وعدم الاهتمام. وذلكم كان أحد أسباب الصراعات التي عرفتها كلية الآداب منذ نشأتها ولفترة طويلة. وتمسكا بهذا المشروع كنت أعمل في إطار المنهج الإقليمي الذي كنت أراه الوسيلة الوحيدة لمعرفة تراثنا المغربي المتعدد والمتنوع؛ مما جعلني أشجع البحث فيه أينما وجد، إذ كنت –وما زلت- مقتنعاً بأن الفكر والأدب، بل الثقافة عموماً لم تكن

موجودة في الحواضر الكبرى فقط، ولكنها كانت تُبدَع وتُنشَر في أقصى قرية وأبعد بادية من وطننا العزيز.

لهذا وغيره كنت أشد على يد الأستاذ الجوهري وأشجعه على مواصلة اهتمامه بالرباط، مثلما أشد على يد كل طالب يبدي عناية بتراث مدينته أو إقليمه، سواء أكان هذا التراث فكراً أو أدبا، شعراً أو نثرا، مدرسيا أو شعبيا، أو غير ذلك.

وكان هذا التخصص الذي سار في إغنائه مكرمنا العزيز هو ما دفعني إلى اقتراحه على الأخ الفاضل الأستاذ عبد الكريم بناني والسادة المؤسسين لجمعية رباط الفتح سنة ست وثمانين وتسعمائة وألف، ليكون هو ورئيسنا في هذه الجلسة الأستاذ الصديق الدكتور محمد احميدة، عضوين فاعلين لتنشيط هذه الجمعية، وهي ما تزال في أول الطريق. وكان لذلك وقع حميد لدرجة جعلتني أردد المثل المغربي: "طاح الحك وصاب اغْطاه".

وما إخال –**حضراتكم**- إلا متمثلين الجهود التي بذلها الدكتور مصطفى، وما زال يبذلها بصدق وإخلاص وغيرة وتفان، وما قدم ويقدم من خدمات جُلَّى سجل بها صحائف مجيدة لا تكفي الكلمات للتعبير عنها. وهي تمس مختلف شؤون المدينة وجمعيتها التي هو من أبرز ممثليها في مختلف اللقاءات داخل المغرب وخارجه، وكذا من أكثر المدافعين عنها لدى السلطات المحلية، مما جعله يخطط لنفسه بذلك مسيرة ثابتة دعمت اهتماماته بالرباط.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ما قام ويقوم به في المجال العلمي لم يقتصر على البحث الجامعي والتنقيب عن المفكرين والأدباء، ولكنه تعداه إلى المساهمة الفعالة في التعريف برجال المقاومة ونسائها وسائر الذين كان لهم نصيب في الجهاد الوطني، ينظم مؤتمراته ونداوته ويشارك فيها، ويتابع نشر أعمالها، سواء على مستوى الجمعية أو المندوبية السامية للمقاومة أو غيرهما من المؤسسات الرسمية والجمعوية.

وما كان لمكرمنا، وهو بهذا الاهتمام النابع من شغف يستبد به وغيرة فائقة تحثه على المواصلة والاستمرار، أن يبقى بعيداً عن "النادي الجراري" الذي هو بحق محافظه والقائم على ما هو منظور فيه وما هو غير منظور ؛ مما يلاحظه كل أعضائه وجميع الضيوف الذين يزورونه. وبهذه المحافظة الدقيقة التي يتحملها في النادي على اختلاف متطلباتها، لم أكن أشعر –شخصيا- إلا وكأني أحد هؤلاء الضيوف ؛ مما يجعلني أردد مع الناظم:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا

نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وإذا كان معظم أعضاء النادي –وهم من الشباب- قد التحقوا به بعد وفاة مؤسسه رحمة الله عليه عام ثلاثة وثمانين وتسعمائة وألف، فإن الأستاذين الجوهري واحميدة كان لهما حظ الانضمام إليه قبل ذلك بفترة، إذ تسنى لهما أن يجالسا بعض أعضائه من رفقاء الوالد، أمثال العلامة اللغوي الحاج مصطفى بن المبارك، والأديب المربي الحاج عثمان جوريو، والقاضي المحنك الحاج محمد حكم، والشاعر المبدع محمد بن الراضي، والفقيه الأديب محمد الروداني كوثر، والقاضي الشاعر إبراهيم الإلغي، والشاعر الرقيق عبد اللطيف خالص رحمهم الله جميعا.

حضرات السيدات والسادة،

إننا إذ نحتفل اليوم في هذا اللقاء العلمي بالصديق الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري، فليس فقط للإشادة بأعماله ومنجزاته وما ينبغي للأجيال أن تعرفه عنه وعن بناة هذا الوطن الذي ننعم اليوم جميعاً في بحبوحة نهوضه وما يشهد من نمو وتقدم وأمن واستقرار في عهد جلالة الملك مولانا أمير المومنين محمد السادس أدام الله عزه ونصره، ولكننا نرجو من خلال هذا الاحتفال وأمثاله أن نرسخ ثقافة الاعتراف بأولئك البناة الصادقين المخلصين، عسى الأجيال الصاعدة أن تقتفي آثارهم وتواصل

جهودهم، بما يطور ثقافتنا ويجدد فكرنا، ويعين على إبراز ما نتطلع ويتطلع إليه المغاربة كافة.

وبعد، فإذا كان لي أن أختصر القول في مكرمنا الحبيب، وهو ما لا يسعف هذا اللقاء في إشباعه، فلا أقل من أن أردد القولة الشائعة: "رُبَّ أخ لك لم تلده أمك"، وقد أضيف إليها: "رب ولد لك لم يخرجه صلبك"، وأضيف كذلك: "رب تلميذ بنبوغه واجتهاده وأعماله يشد أزر معلمه ويقوي ساعده ويتحمل المسؤولية معه وبعده ويحمل المشعل".

أهنئ الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري بهذا التكريم، وأشكر للصديق الأودّ السيد عبد الكريم بناني رئيس جمعية رباط الفتح مشاركته النادي الجراري هذا التكريم، مع فائق تنويهي وكبير تقديري للزملاء الأساتذة الباحثين الذين أغنوهُ بشهاداتهم وعروضهم العلمية.

حضرات السيدات والسادة،

أشكر لكم جميل حضوركم وحسن إصغائكم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

******

شهادة الأستاذ عبد الكريم بناني*

بسم الله الرحمن الرحيم

جميلة هي هذه الوقفات الراقية التي تتيح البوح و التعبير و الاستدراك في حق أخ عزيز ورفيق صدوق و مناضل طموح و وطني غيور أصيل.

سنحاول في بضع كلمات أن نعبر لأخينا المحتفى به الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري عبر شهادات وأبحاث علمية، عمّا نكنه له من حب و تقدير ووفاء، و من أجل ذلك سنسائل ذاكرتنا و نستنطق جوارحنا و لكن كذلك تجاربنا المشتركة. و مع ذلك لن نوفيه حقه، لأن سنوات طوال جمعتني به يستعصي اختصارها في كلمات ولأن حقولا من العمل والإنتاج شاسعة خِصبة موسومة بالكد والجد والإبداع يعز اختزالها في سطور وصفحات.

تعرفت على أخي مصطفى في أوائل سنوات الستين من القرن الماضي.

تأسست جمعية الأوراش المغربية للشباب سنة 1960، وأقبل الشباب المغربي بكثافة على الانخراط في أنشطتها التطوعية، الوطنية منها و الدولية، فكان مصطفى من الأوائل الذين عملوا بنشاط و جدية في أوراش آخر الأسبوع و هي عملية ابتدعناها في هذه الجمعية لتكون يومئذ حركيتها مستمرة طيلة السنة وليبقى الشباب معبأ في خدمة المواطنين البسطاء، كما عمل في الاوراش الدولية التي كانت تقام في جهات متعددة من البلاد، انصهر في هذا النشاط الجديد بالمغرب بكيفية تلقائية و عملية مساهما بفعالية وجدية في الأشغال و في النشاط الاجتماعي و في الندوات ثم في التنظيم و التأطير.

* رئيس جمعية رباط الفتح.

ومن المفارقات اللطيفة، أن الأخ مصطفى سيسبقني إلى الولوج إلى عالم الرياضة، رغم فارق السن بيننا، فقد مارس هوايته الرياضية المفضلة، ألعاب القوى، بنادي الفتح الرياضي، الذي لم ألتحق به أنا شخصيا إلا بعد مرور ثلاثة عقود على الأقل. و سأجد فيه السند الكبير لإعادة تنظيم هذا النادي الرياضي الكبير و العتيد في وقت اضمحلت أنشطته و خارت هياكله و أشرف على الاندثار. فكانت محطة أخرى نلتقي فيها لاستدراك الزمن واستشراف المستقبل، من خلال جمعية رباط الفتح التي أسهمت بقوة في استرجاع اتحاد الفتح الرياضي لألقه و وهجه.

ومع تأسيس جمعية رباط الفتح ستبدأ صفحة جديدة من العلاقة بيني و بين الأستاذ الجوهري. لم أكن أعرفه معرفة دقيقة، لكنه كان حاضرا يوم التأسيس في 4 يوليوز 1986، فكان من المؤسسين لهذه الجمعية، لعل من أقحمه في هيا كلها هو عميدنا وأستاذنا د. عباس الجراري من جملة مجموعة من الشبان من تلامذته أصبحوا فيما بعد النواة الصلبة والركائز القوية للجمعية. فنجده مقررا لأول لجنة ثقافية و فنية برئاسة المرحوم عبد اللطيف خالص ثم نائبا لرئيسها فرئيسها قبل أن يصبح كاتبا عاما للجمعية ثم نائبا للرئيس بها. كنت تراه حاضرا على جميع الواجهات مؤسسا و منظرا ومساهما في لجانها المتعددة، في التنظيم و في شؤون المدينة المعمارية منها و التاريخية، وفي السياحة و في المهرجانات الثقافية و الفنية للجمعية، فللرجل طاقات هائلة يوظفها بغيرة كبيرة و فعالية متدبرة، ينصت قبل أن يتكلم و يبدي الرأي و يصحح الاتجاه و يعود بالجميع إلى الواقعية، و ينخرط بسلاسة في التجديد مساهما في الإثراء و الإبداع والتنويع. كل هذه الخصال و التجند و التعبئة، إذا أضفنا إليها تكوينه العلمي الرصين و بُعدَ نظره و نقاء سريرته و ذاكرته القوية، جعلت منه الرجل الذي لا تخفى أياديه البيضاء على مسيرة هذه الجمعية التي أصبحت بأمثاله من النساء و الرجال مؤسسة صامدة و فاعلا مؤثرا و فضاء يفسح صدره للجميع و مختبرا للأفكار الحديثة و ملتقى للمواطنة الحقة.

سيجد مصطفى الجوهري في جمعية رباط الفتح الآلة العجيبة ليخوض معركة جميلة لا يستطيب جمالها إلا من عاش في مدينة الرباط الفيحاء. فمصطفى ابنها البار،

ترعرع في أحضانها و تربى و شب بين دروب المدينة العتيقة بها، و ضخت عروقه دماء ارتوت من نسائمها العذبة وأريج أزهارها الرطبة فنهل من ينابيع مدارسها ومؤسساتها العلمية و ارتوى من أساتذتها وعلمائها و مفكريها، عشقها عشقا جنونيا، أخذ على عاتقه الدفاع عنها باستماتة العاشق و نضال العالم. فدرسها من كل جوانبها، أما كنها وزمانها.

و كأن لسان حاله يردد مع الشاعر حمادي لحلو:

أنا الرباط عرين الأسد أفتخر * بحاضري و بمـــاض كلّـه دُرَرُ

أنا الرباط أشع النور في وطني * كما أشاع ضياءً في الدجى القمرُ

فلا تخفى عليه خافية بالمدينة العتيقة، يعرف بيوتها ومساجدها و مدارسها وزواياها و دروبها بدقة كما يعرف عن قرب أسرها و علماءها و فقهاءها و أدباءها نساء ورجالا، قديما و حديثا. و قد يباغتك بسؤال من قبيل أين توجد "زنقة الدك" مثلا أو أين يوجد بيت العالم "المهدي متجينوش" غايته من ذلك تخليد المكان و الزمان و الإنسان. وكم هي الدراسات التي نحتها بقلمه الفياض و أسلوبه الرصين في هذا الباب. و بما أنه رجل تعليم بامتياز و رجل البحث و التمحيص فإن البيداغوجية تتصدر كل أعماله الأدبية و دراساته الفكرية و قراءاته المعرفية يغوص في بحر المعارف مستعملا الأدوات العلمية انطلاقا من الشكل و اللغة ليصل إلى الفكرة المحورية مبرزا قيمتها الفكرية محللا، ناقدا و مبسطا في نفس الآن.

لقد أنجزت الجمعية العديد من المنشورات على يديه، و لا يصدر عن الجمعية كتاب إلا بعد تمحيص و تدقيق و تصحيح في محتوياته و في إخراجه على يديه.

فعشقه الآخر هو الكتاب و القراءة، فلا تلتقيه إلا و في يده كتاب أو مجموعة من الكتب. أصحاب المكتبات يعرفونه جميعا، و هو من جهته يعرف بدقة مخارج و مداخل يزخر بها الأدب العربي و اللغة العربية من قبيل قصيدة للمتنبي مطلعها:

أعز مكان في الدنا سَرج سابحِ

و خير جليس في الزمان كتاب

لكن هذه الأمور كلها تعتمل في نفسه و تأخذ الكثير من صحته و وجدانه فيعود المتنبي مرة أخرى يصف حالة أخينا مصطفى في قوله:

و إذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

أخي مصطفى، قبل أشهر أنعشت وجداني في إحدى جلساتنا الصباحية ليوم السبت، حيث نقتسم كؤوس القهوة و كأننا بصدد مبارزة في ناد، يغتني فيه النقاش وتبادل الافكار و تطارح بعض القضايا الفكرية و قد تكون في بعض الأحيان أدبية، فانطلقت بصوتك الفصيح في تلاوة بعض قصائد الشاعر الكبير نزار قباني، لعلمك أنني أعشق شعر نزار قباني و أعده من أكبر شعراء العرب، فكانت المتعة في أجمل حُلَلها.

فتلوت علينا من بديع هذا الشاعر رسالة من تحت الماء و قارئة الفنجان، أحزان في الأندلس و حب بلاحدود.....

أخي مصطفى ، نبقى مع نزار قباني، فقد قال

الحياة تعلمك الحب

و التجارب تعلمك من تحب

و المواقف تعلمك من يحبك

ببساطة نحن نقول لك : إننا نحبك.

****

شهادة الأستاذة حميدة الصايغ الجراري*

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس جمعية رباط الفتح
السيد عميد النادي الجراري
السادة والسيدات أعضاء جمعية رباط الفتح
السادة والسيدات أعضاء النادي الجراري
السادة والسيدات الأساتذة الأجلاء
السادة والسيدات الحضور الكرام
الأستاذ الدكتور المكرم مصطفى الجوهري

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

اسمحوا لي في البداية أن أبلغكم مدى السعادة الكبرى التي تغمرني اليوم وأنا أشارك في هذا التكريم الذي طالما تطلعت إليه ودعوت له.

هذا التكريم الذي يخص الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري ؛ وإن كان المطلوب مني تقديم شهادة في حقه فإني أجد نطاق الشهادة محدودا جدا والكلمات فيه قصيرة لا تتيح لي التعبير عن كل ما أكنه أنا وزوجي من محبة وتقدير لمحل ابننا الأستاذ مصطفى الجوهري.

معرفتي بالأستاذ تعود إلى عقود لست في حاجة للتصريح بعددها.

* الأستاذة الحقوقية حرم الدكتور عباس الجراري.

معرفة بدأت منذ كان طالبا يتردد على قاعات الدرس بكل من جامعتي الرباط وفاس ليحضر دروس أستاذه عباس الجراري، فقد برز ضمن مجموعة كانت متميزة في فوجه، وكانت تلفت النظر بأسئلتها وتدخلاتها وسلوكها كما أخبرني بذلك سي عباس.

ولا غرو فالأستاذ مصطفى الجوهري اسم على مسمى فهو ليس المصطفى بمعنى المختار فحسب، ولكن له من حروف اسمه الكثير:

فهو المنظم الدقيق،

وهو الصفي الغيور،

وهو صاحب الطرفة،

وهو الفنان الرقيق،

وهو ذو اليراع الخصب.

لمست فيه كل هذا وأكثر خلال تردده على بيتنا ثم بعد انضمامه للنادي الجراري الذي لم يقنع بعضويته فقط بل نَحَتَ وجوده فيه بإيجابياته وأنشطته حتى صار "محافظه" كما يحلو للأستاذ تسميته.

وقد أكد ترسيخه بالكتابة عن مؤسس النادي وتآليفه.

وزاد أنه في غياب ولدنا للصغر أولا، وللتغرب فيما بعد، قام مقام الابن متكفلا بالتنظيم والمساعدة فلا الشاي ولا القهوة يطيبان إلا من يده، هو الذي يضبط تقديمهما ويعرف ما يفضله كل عضو في النادي. ولا أنكر أنها مهمة غير يسيرة –وتشاطرني لا شك في ذلك كثير من النساء الحاضرات اللائي يدركن صعوبة الصينية وتنوع طلبات ما فيها ودرجة رضا المتلقين منها- ولكن سي مصطفى –تْبارك الله عليه- يحسن ذلك ويرضي الجميع وله مطلق الحق والحرية في التصرف في النادي وحتى في البيت المسموح له بولوجه في كل وقت، وحين يحتاج أي شيء لإكمال واجبه الذي يقوم به بأريحية وتواضع كبيرين.

والحقيقة أنه بهذا أراح العميد وأسعدني أنا ربة البيت التي علي واجب الضيافة ولكن ذكورية الحضور بالنادي تحول دون قيامي به.

فالأستاذ مصطفى هو الابن البار والصديق العزيز والأخ الكريم والباحث القدير والمنظم الصارم... ويكفي المرء أن يحضر مرة توزيع كتاب حديث النشر ليلمس دقة وضبط سي مصطفى الذي لا يسمح لأحد بأخذ أكثر من نسخة، تساعده على ذلك ذاكرة قوية حباه الله بها.

ولسِّي الجوهري فوق هذا وذاك معرفة جيدة بالرباط دروبا وأزقة، واطلاع واسع على أسره وأبنائه ومواقف رجالاته وتاريخه وأعلامه. وكيف لا وهو في طليعة المتخصصين في الأدب المغربي وبالتحديد العلماء الرباطيين منهم، إذ قدم دبلوم الدراسات العليا ببحث عن "عبد الله الجراري –الأديب-"، وأطروحة الدكتوراه عن مذكرات هذه الشخصية العالمة، كما عمل على إصدار بعض رحلات الجراري الأب إضافة لرحلة ذ. عباس الجراري "ثلاثون يوما في الولايات المتحدة الأمريكية"، وزاد فأصدر كتابات متعددة عن رجالات الوطنية والمقاومة المغاربة.

ويؤكد هذا الحبَّ والانتماء عنده للرباط واعتزازه به وحرصَه على خدمته من خلال دوره الهام في جمعية رباط الفتح –التي أشكرها على استضافة هذا الحفل البهيج في مقرها العامر- وأنوه بجهود رئيسها المقتدر السيد عبد الكريم بناني ومساعديه، الأكفاء منهم الذين لا يالون جهدا في تسهيل التنمية وتيسير الثقافة ومحو الأمية لكل من طرق بابهم وسي مصطفى الجوهري على رأسهم لم يمل العمل ولا تخلى عن الجمعية، يقوم بإعداد وتنظيم أنشطتها ويسهر على جمع وتنسيق وطبع منشوراتها بتفان وإخلاص لا مثيل لهما.

والله أرجو أن يمده بالعون والقوة ليستمر مشعلا ينير الطريق للاحق من الأجيال.

فهنيئا لك الأستاذ مصطفى الجوهري بهذا التكريم المستحق وهنيئا لنا بما ستلقي عروضه من أضواء كثيرة على منجزاتك العلمية القيمة التي لا أراني مؤهلة للحديث عنها.

وحسبي أن أشير لبعض زملائك وتلاميذك الذين أبوا إلا أن يشاركونا اليوم فرحة تكريمك. وحضورهم وعروضهم شهادة في حد ذاتها لأستاذيتك واعتراف بجليل خدماتك وجميل صنيعك وفضلك.

فطوبى لك ولنا معك. والسلام عليكم.

***

الدكتور مصطفى الجوهري باحث جامعي في خدمة التنمية الثقافية

د. محمد البوري*

علاقتي بصديقي وأخي مصطفى الجوهري علاقة ممتدة في الزمن أكثر من ستة عقود منذ التقينا في المدرسة الرحمانية بالمدينة العتيقة في الرباط أواخر خمسينيات القرن الماضي ، وتواصلت عبر سنوات الدراسة الجامعية بكلية الآداب، وامتهان التدريس بالتعليم الثانوي ثم الجامعي، ولم تتآكل صداقتنا بفعل مد الزمن وجزره . وطالما سألني صديقنا المشترك الأستاذ محمد اليملاحي عن سر استمرار هذه العلاقة رغم ما بيننا من تباين في الطبع واختلاف في المزاج ، وكنت أقول هو أخي وأردد القول المأثور ورب أخ لم تلده لك أمك .

وفي وجداني وعقلي أنه رجل وفي للصداقات ورجل العلاقات العامة منفتح على المجتمع ، ما استفسرته عن شأن من شؤون الحياة أورجوته قضاء حاجة من حاجات الدنيا إلا أجابك، بل لايهدأ له بال حتى تقضى حاجتك . وهو كرصيف في المهنة يريح زملاءه بصبره في الأعمال الجماعية المضنية، وحرصه على إنجاز المهام بنزاهة واقتدار. وله فضلا عن هذا وذاك قدرة متميزة على تنظيم الأعمال والأنشطة وحسن عرضها . وهو رجل المبادئ والمواقف يستميت في الدفاع عما يراه الحق أو الصواب أو الصالح، وليس لك أما م استماتته إلا أن تحترم مواقفه رغم اختلافك معه.

ولاشك أيها السادة أن مواصفات رجل العلاقات العامة والقدرة على تنظيم الأعمال والأنشطة وحسن عرضها والصبر في إنجاز المهام وتحدي صعوبات وعقبات التنفيذ، والالتزام بالمبادئ والدفاع عن المواقف هي مواصفات فاعل جمعوي بامتياز. والدكتور

* أستاذ جامعي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

مصطفى الجوهري أستاذ جامعي باحث في الدراسات الأدبية وتتفاعل وتتكامل في شخصيته مؤهلات الفاعل الجمعوي ومؤهلات الباحث الأكاديمي وتجسد أنشطته الثقافية والأكاديمية وطيلة أكثر من أربعة عقود من الزمن هذا التفاعل وتتمحور حول قضية مركزية عنوانها الكبير:

(خدمة التنمية الثقافية المستديمة والعناية بالتراث وحمايته من الضياع وبعثه وإحياؤه تعزيزا للهوية المغربية وترسيخا لمفهوم المواطنة وقيمها) .

ولا يغرب على بال أحد أن التنمية الثقافية أساس التنمية الاجتماعية و التنمية الاقتصادية، وأن تحقيق هذه التنمية في المجتمع يبدأ بتعميق الإحساس بالهوية وتمثل التاريخ الوطني، وترسيخ مفهوم المواطنة وقوامها الحق والواجب ،وتعديل سلوك الأفراد والجماعات في اتجاه الجماعية والعقلانية ... ولا شك أن تثبيت هذه القيم في وجدان الأجيال الحالية والقادمة يكون بالتعريف بعظماء الرجال الذين جسدوها بعطاءاتهم الثرة وبمواقفهم التاريخية والذين يعترف الوطن بفضلهم. وفعلا فقد انصرفت جهود الدكتور مصطفى الجوهري نحو التعريف بهؤلاء العظماء وفي إطار قضية التنمية الثقافية المستديمة . وقد توزعت إسهاماته في خدمة هذا المشروع على خمسة مجالات رئيسية هي :

أولا - جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة .

ثانيا - النادي الجراري

ثالثا - موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب ، أعلام الحركة الوطنية

رابعا – كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

خامسا – معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ففي رحاب جمعية رباط الفتح ومن خلال إسهام الدكتور مصطفى الجوهري المشهود في ندواتها العلمية بدءا بإجراءات تحديد مواضيعها وإلى غاية مرحلة نشر أعمالها

مرورا بمرحلة الدعوة إلى حضورها والمشاركة بتقديم عرض فيها أو تسييرها . وفي هذا المجال تبقى أوراق الندوات التي نظمتها الجمعية حول رجالات من النخب السياسية والاجتماعية والثقافية المغربية وفيهم العلماء والأدباء ورجال الفكر والساسة ومقاومو الاستعمار والذين قدموا كل واحد في مجاله الخاص خدما ت جلى للوطن وهي الندوات التي جمع الدكتور مصطفى الجوهري أوراقها وكتب مقدمات لها وأشرف على طبعها كندوات أحمد بلافريج والمكي الناصري ومحمد جازوليت ومحمد الرشيد ملين ومحمد بن الراضى ومحمد بن أحمد حكم . .ولوجمعت تلك المقدمات التي كتبها و العروض التي قدمها في كتاب لبرزت دراسة متكاملة تبرز تنوع النخب الثقافية المغربية وتطورها وفعاليتها التاريخية.

وتكملة لذلك وبفضل رعاية رئيس الجمعية السيد عبد الكريم بناني ودعمه المشكور لإشعاع الثقافة الوطنية و البحث العلمي نشرت الجمعية أعمالا جامعية في مختلف مجالات الثقافة المغربية، وكان للدكتور مصطفى الجوهري دوره الكبير في الإشراف على طبعها وتقديمها لعموم القراء وآخرها ترجمة حسن أميلي لكتاب (مدينة الرباط حتى الحماية الفرنسية لجاك كايي).

وفي النادي الجراري وهو مؤسسة ثقافية عريقة تعمل تحت رئاسة عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري على تعميق الوعي بالهوية المغربية والتشبع بروح المواطنة و دعم تنوع الثقافة المغربية في وحدتها ، و لها محاضراتها وندواتها ومنشوراتها ، في هذه المؤسسة دأب الدكتور مصطفى الجوهري على الإسهام في تنظيم الندوات والمشاركة في أعمالها بالعروض أو رئاسة جلساتها العلمية ثم السهر على طبعها ونشرها ونذكر على سبيل المثال منها (ندوة الرحلات المغربية) وندوة (علي الصقلي أمير الشعراء) .

وفي إطار موسوعة أعلام الحركة الوطنية والمقاومة حرر الدكتور مصطفى الجوهري تراجم لأكثر من أربعين علما منهم: عبد الله العياشي ومحمد المدور وعبد الفتاح سباطة .

وفي رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية أعد الباحث مصطفى الجوهري رسالة دبلوم الدراسات العليا في دراسة تراث علم من أعلام الثقافة المغربية ورجل من رجالات المقاومة في النصف الأول من القرن العشرين هو عبد الله الجراري . ثم درس وحقق في أطروحته للدكتوراه مذ كراته . ونشر لاحقا كتابين له هما كتاب (الرحلة السطاتية أو السكيرجية) وكتاب (حياة بطل التحرير محمد الخامس) .

وكذلك حرر في معجم البابطين تراجم لشعراء مغاربة نظموا الشعر وأسهموا بطريقة أو بأخرى في مقاومة الاستعمار كمحمد بن الحسين ومحمد بن الراضي .

وتتقاطع هذه المجالات مؤكدة تموقع الدكتور مصطفى الجوهري باحثا جامعيا في خدمة التنمية الثقافية المغربية المستديمة ، ومن أمثلة هذه التقاطعات نذكر :

أنه جمع وقدم وأشرف على طبع أعمال ندوة (الحاج عثمان جوريو المجاهد الوطني والشاعر المربي) المنظمة بجمعية رباط الفتح ،وشجع المندوبية السامية للمقاومة على نشر رسالة الطالبة حبيبة شيخ عاطف التي جمعت أشعاره ، ثم كتب مقالة لتأبينه بعد وفاته ونشرها في جريدة العلم ، كما نشر له ترجمة في موسوعة أعلام الحركة الوطنية والمقاومة .و جمع ونشر أشعار عبد اللطيف خالص (الخالصيات) ، كما أشرف على رسالة أعدها طالب له موضوعها دراسة هذا الشعر .وجمع وقدم وأشرف على طبع ندوة (المجاهد الأستاذ عبد الكريم الفلوس سند الوطنية وتأطير الشباب) .وراجع وقدم مذكراته .

وهذا التقاطع يؤكد أن قضية التنمية الثقافية المستديمة قطب الرحى في أعمال وأنشطة الدكتور مصطفى الجوهري الفكرية والأدبية. و في هذا وذاك يبقى الأستاذ مصطفى الجوهري نموذجا للباحث الجامعي الذي ربط بين البحث الجامعي وبين حاجيات مجتمعة وجعله في خدمة تنميته الثقافية.

*****

أخلاقك أكثر من يدافع عنك في غيابك

د. عمر المراكشي*

إن الحقيقة التي تحتاج إلى برهان هي نصف حقيقة، وحقيقة رسم صورة مصغرة عن شخصية عايشتها نصف قرن انطلاقا من عشرات بل آلاف الصور المكبرة المتجاورة للشخصية ذاتها قد تجانب الصواب، وتكون عرضة للحكم عليها بعدم الدقة والموضوعية والسطحية. لهذا فإن الكتابة عن مسيرة الأستاذ مصطفى الجوهري، تستدعي التفكير طويلا، للبوح بكلمة لن ترقى إلى مقام ما أكنه له من مشاعر الحفاوة والتقدير، غير أني مومن بأن أقلام الأصدقاء الآخرين ورفاق دربه ستنصفه، نظرا لسابغ فضله على مجال التربية والتعليم والثقافة.

إن السنين كثيرُها كقليلها إن لم تُزِنْ صفحاتِها الآثار

فعن أية آثار ستنصب شهادتي في حق هذا الرجل الذي لازمته طويلا في القسم والشعبة والندوات والملتقيات.

***

قد تموت الحروف حين تقال، ولكنها تحيا بالكتابة والتدوين لهذا لن أقف في حديثي عن الأستاذ المحنك أو المثقف البارز أو الجمعوي الرائد، فألسنة الخلق هي أقلام الحق ستوفيه حقه في ذلك، غير إني سأقف عند ظاهرة غيرته على سياسة التعليم في هذا البلد وما آلت إليه مستويات التعليم خاصة بعد مرور عقود من الزمن مطبوعة بالتردي والتدهور. فكلما فتحنا ملف البرامج والمقررات، وكلما استعرضنا المستويات التي يباغتنا بها الطلاب للالتحاق بالتعليم إلا واشتد غضبه وارتفعت نبرة صوته منددة بسياسة حكومات عصفت بأجيال، ودمرت طموح أجيال أخرى لتحقق شعارا من شعاراتها بعيدا

* أستاذ جامعي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

عن المواطنة والوطنية الصادقة. الأستاذ مصطفى الجوهري كان دائم الحرص على أن يكون التعليم وسيلة للرقي بأبناء هذا الوطن إلى المستويات التي تنعم بها الكثير من الدول الراقية.

فليهنأ صديقي الأستاذ مصطفى بما راكمه من تقدير الأساتذة والطلبة، وبما أتاه الله به من قدرة على الصبر والمثابرة والإخلاص.

***

الأستاذ مصطفى الجوهري مثالُ الوفاءِ للبيت الجراري

د. عبد الإله ابن عرفة*

طلب مني الصديق العزيز الدكتور محمد احميدة المشاركة في ندوة تكريم الدكتور مصطفى الجوهري، فوافقت على التو لما أكنه للمكرم من مشاعر الود والتقدير، فقد لمست فيه مجموعة من الخصال الحميدة، لكني أُجملها في خصلة رئيسة هي خصلة الوفاء التي امتاز بها. ويبرز هذا الوفاء في صور عديدة، فالرجل وفي لبلده أولا، ثم لمدينته الرباط، ولرجالاتها وأعلامها، وله غيرة عليها، ولا يرضى لها إلا المكانة الرفيعة، فتراه ينتفض إذا استُفزَّ في حبِّه لها، أو ساءَهُ قول من قائل لا يعرف لها منزلة ولا يقدر لها قدرا. كما أن الدكتور مصطفى الجوهري رجل وفي للبيت الجراري أيَّما وفاء. ويتجلى هذا الوفاء للبيت الجراري في عدة أشكال وصور، لعل من أبرزها انكباب مكرمنا على إحياء ونشر التراث الجراري وما يتصل به، وهو بهذا قد ساهم مساهمة جليلة في الوفاء لهذا الحب.

لكني أود أن أقدم صورة إنسانية عن الدكتور الجوهري تخرج عن السَّنَن المعتاد في تقديم الشخصيات، وأحسب أن المدخل لهذا التقديم يكمن في اسم المكرم تخصيصاً، فلكل إنسان حظٌّ من اسمه، وأحسب أن الدكتور مصطفى قد حاز شيئاً من خصائص الجوهر المتعددة، فهو شفاف صافي السريرة يرشح ما في باطنه على ظاهره دون عناء. ولعل هذه الخصلة قد لا يرتاح لها بعض الناس لأن الدكتور مصطفى صريح في التعبير عما يعتقد، لا يتوانى في الدفاع عما يراه صواباً، وغالباً ما يمزج في التعبير عن مواقفه شيئاً من الجلال لعل الناس قد تحسبه نوعاً من الحدّة. وهي صفة لا يتحملها أغلب الناس إلا عن مشقة لما جُبِلت عليه النفوس من المجاملة أحياناً، والمصانعة أطواراً. وهذه

* كاتب روائي وباحث.

الصراحة أو لنقل هذا الصدق في التعبير عما يختلج في النفس من اعتقادات وآراء مرده إلى طبيعة الرجل، فهو يشبه في طبيعته حقيقة الجوهر، ذاك الحجر الكريم الشّفاف الذي لا تشوبه كدورة، وإن عَلِقَتْ به طرَحَها، ويحرص الناس على اقتنائه لتلك الخاصية، لكن أضلاعه المنحوتة ونتوءاته البارزة قد يجرحان من لا يتحرز في كيفية التعامل معه بلطافة ودراية. ثم إن الجوهر يتميز بالصفاء ويتغذى بالنور. ومن طبيعة النور أنه منعكس يضيء نفسه ويضيء غيره. كما أنه يَنِمُّ عن الحق ولا يكتم ما في باطنه كأنه عينُ ظاهرِه.

والدكتور مصطفى هو أيضاً رجل خلوق شديد التواضع خدوم، بل إني أكاد أقول بأنه محتسب النادي الجراري ومحافظه، فتراه يحرص على انتظام سير عمل النادي بطريقته التي أَلِفَهَا رُوّادُه. ووظيفة الحسبة كما وظيفة الحفظ من أجَلِّ الوظائف وأعظم الخطط التي لا يقوم لها وبها إلا أفراد ينبغي أن تتوفر فيهم خصال النزاهة والصدق والعدل وكرم النفس والزهد فيما في أيدي الناس. وقد ارتضى الأستاذ الجوهري أن يخدم النادي ويخدم زُوّاره، حيث يتولّى القيام بخطة صبِّ الشاي والقهوة والطواف على الضيوف لتوزيع الكؤوس والحلويات التي تحرص ربة البيت على إعدادها عصر كل جمعة بما يجعل الجلسة حميمية تحقق شرطاً من شروط الاجتماع في المجالس التي قيل فيها عن النبي مع أصحابه من أهل المروءة والفتوة والكرم أنهم "لا يفترقون إلا عن ذواق".

إن الأستاذ الجوهري في روضة الآس هو قائد صينية الشاي والقهوة والمشرف عليهما، وهو الحريص على أن لا ينسى أحداً أو يستثني ضيفاً من لُمْجَة النادي وذِواقته، بل حتى المتأخرون من الرواد الذين لا يدركون وقت تناول تلك المشتهيات، فإن حقّهم مكفول وقتما قَدِمُوا، وساعةَ ما يمَّمَوا صوب تلك الرّبَاع الزاهرة والمغارس الزاهية. وهو في أدائه دقيق مُنَظَّم بحيث مهما كان عدد الضيوف فإنه يوفِّي حقَّهم في الضيافة والخدمة بأدب وتفانٍ وإخلاص.

كما أن الأستاذ الجوهري يقوم في النادي بخدمة أخرى جليلة تدل على صفاء معدنه ونقاء طوِيَّتِه وعمق إيمانه، وذلك لكونه يحرص قبل أذان المغرب على فَرْشِ

السَّجاد لأداء الصلاة التي هي ركن من أركان جلسة روضة الآس، ولازم من لوازمها مهما كانت الظروف، فتراه يسارع قبل الأذان إلى إعداد مكان الصلاة والعناية بهذه الحرمات.

ثم هناك أمر ثالث يتميز به الأستاذ الجوهري والذي يعرفه أعضاء النادي الجراري، وذلك أنه لا يُفَوِّتُ فرصة إغناء النقاش فيما يستجِدُّ من المواضيع وما ينشَبُ من حوار عقب العروض المتنوعة التي يلقيها السادة المحاضرون سواء كانوا من أعضائه أو من ضيوفه من المغرب أو من خارجه. فالأستاذ الجوهري واحد ممَّن يحرصون على تسجيل اسمه في لائحة المتدخلين، وأخذ الكلمة والتعقيب على ما ورد في العرض تصحيحاً أو تتمة أو إغناء، مع حسٍّ نقدي لافت للنظر، وقدرة على ربط ما قيل بما ذكرناه أولا عن وفائه لبلده ومدينته والبيت الجراري، فتراه يجد الطريق ليربط الموضوع بإسهامات علماء المغرب والرباط وعميد النادي في النازلة المطروحة مهما دقَّت الصِّلَة وَخَفِيَتْ على كثيرين. فَمِحْوَرُ مداخلاته عادة ما يبرز إسهامات النادي ورجالاته الذين تعاقبوا عليه تتمة لما طُرِحَ من أفكار ضمن العرض المقدم، وكأني به على عادته في الوفاء يريد أن يُذكِّرَ الحضور بأن النادي منخرط تمام الانخراط في كل القضايا مهما جلّت أو دقّت. وغالباً ما يتوفَّق فيما يطرحه من أفكار وما يثيره من قضايا، ويستحقُّ التنويه من الأساتذة المحاضرين.

ومما أجد نفسي ممتنّاً به للأستاذ الجوهري هو التحقيق العلمي الرصين الذي قام به لمذكرات العلامة سيدي عبد الله الجراري بعنوان "المذكرات في الأدب المغربي : هذه مذكراتي"، فقد تعلمت الكثير مما جاء فيها، وما كشف عنه مُكرَّمنا من نُكَتٍ علمية ونفائس معرفية كاد أن يطويها الزمان لولا تجنده لهذا العمل العلمي الرَّصين في تَفَانٍ وإخلاص ودقَّة واستقصاء. وقد سعدت بقراءة هذا العمل سيما وأني درست على العلامة سيدي عبد الله الجراري في السنوات الأخيرة من حياته، في وقت كنت فيه حدثاً لا أميز كثيراً على عادة من هم في مثل هذه السن. وقد فاتني لحداثة سني الاطلاع على جوانب عديدة من هذه الشخصية العلمية والوطنية، ومعرفة ما قدَّمَته للمغرب من تضحيات جليلة. وقد كان بقي في نفسي أن أتعرف عن عمق على أساتذتي الذين درَّسوني، وبقي في

نفسي شيء من الأسف لم أجد له تَعِلَّةً إلا لما وقفتُ على هذه المذكرات التي جلّت لي سيرة أستاذي الجليل بما حكاه عن نفسه في مذكراته بأوضح بيان.

لقد كان الدرس الذي كنا نتلقّاه أسبوعياً على يدي العلامة سيدي عبد الله الجراري نافعاً ومفيداً، ولم نكن نتعلم العلم فقط، بل كنا نتعلم معه الأدب، بل لعل ما انتفعنا به من الأدب هو ما ربط الأجيال مع بعضها من الجِلَّة العُدول، ينقل الخَلَفُ منهم عن السَّلَف دونما انقطاع في حركة دائبة متواصلة، أسانيدها معتبرة متواترة. كان مجلسه رحمة الله عليه، مطبوعاً بطابع الهيبة والوقار والجلال، فلا يستطيع أحد من الطلبة أن ينبس بِبِنْتِ شَفَة، أو يعكِّرَ صَفْوَ الدراسة بالتَّشْغيب. وقد كان العلامة سيدي عبد الله يضع نظارات ذات زجاج داكن أخضر اللون بحيث كانت تحجب عن طلبته حقيقة نظراته، وتزيد المشهد جلالا وهيبة ورهبة. فنظرات العيون باب مُشْرَعٌ لما في النَّفس والجَنان، فإن حُجِبَتْ بحجاب مَنَعَتْ من إدراك ما يقومُ بالنفس من أحاسيس، وما يعتلجُ في الفؤاد من مشاعر. كما كان رحمة الله عليه لا يفارق جلبابه المغربي الأصيل، ويوظِّبُ غِطاءَ الرأس على طريقة العلماء وذوي المروءة. ومن الذكريات العالقة في ذهني حول هذه المرحلة المبكرة من حياتي، ما كان يجود به أستاذنا العلامة على طلبته مع حلول بعض المناسبات الدينية مثل الأعياد حيث كان يوزِّع علينا كتبَه، ويضع بين صفحاتها ورقة نقدية نسعد بها، ونحرص على البحث عنها في ثنايا الكتاب. وقد كان هذا النهج منه رحمة الله عليه تربية لنا وتعليماً على أن نداوم على العلم وأن نتتبَّع الكتاب بالقراءة حتى نصادف رزقاً ساقه الله لنا في أعطاف القراءة في هذا السِّفْر.

وكم كنت أتمنى أن تمتَدَّ المذكرات لتشمل المرحلة التي عَرَفْتُ فيها العلامة عبد الله الجراري ودرستُ عليه إلى جانب علماء آخرين مثل الأساتذة عثمان جوريو، ومولاي الشريف، والفقيه بربيش وأحمد الشرقاوي وعبد الحميد احساين، رحم الله الجميع. فقد كانت مرحلة زاخرة بالتحصيل وتعلم قيم الوطنية وحب الوطن. ومن الذكريات الجميلة التي ما زالت عالقةً في ذهني الدعوات التي كانت توجَّه إلينا لزيارة بيت وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الداي ولد سيدي بابا، ومن بعده الدكتور أحمد رمزي

رحمهما الله، والتي كان يحضرها العلماء والكبراء والوجهاء وبعض الطلبة من ذوي النَّجابة وأصحاب الأصوات الندية الحسنة حيث تدور نقاشات علمية وجلسات علم وذكر ومديح وقراءة القرآن. وقد كنت وقتئذ أصغر طفل في تلك المجموعة من الطلبة، وكنت ممن يتقدمون لقراءة ما تيسر من كتاب الله عز وجل، عدا عن مشاركتي في حصة المديح.

أسوق هذه الذكريات البعيدة التي حفرت في ذاكرتي، وأنا أتمثل ما قام به الأستاذ الجوهري من جهود ضافية مخلصة في إخراج هذه المذكرات للعلامة سيدي عبد الله الجاري، وأحسب أن الأستاذ الجوهري حين عمل على تحقيق التراث الجراري وتخصص فيه بامتياز حتى أصبح مرجوعاً إليه فيه، وأَخُصُّ بالذكر الأطروحة التي نال بها درجة دكتوراه الدولة عن كتاب المذكرات، قد كان متأثراً بشخصية المرحوم سيدي عبد الله الجراري، وكان في قرارة نفسه معجباً بسيرته ووطنيته وغيرته على الحرمات وخصاله الأبية ودفاعه عن الحق. ولا أشك أنه قد ورث شيئاً من صَدْعِهِ بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يَلينُ في ما يعتقده صواباً، ولعله كان غير آبه فيما سيسببه له ذلك، ولعله كان يستحضر في ذلك ما نبّه عليه المتنبي في شعره :

ومـــن العـــداوة مـــا يُصِـــبْكَ نفعُـــهُ ومـــن الصَّـــداقَةِ مـــا يَضُـــرُّ ويُـــؤْلِمُ

كما أنه يستمرئ أن يكون متلَوِّناً في وُدِّهِ الظاهر لهذا البيت الجراري، كما يقول في ذلك الإمام علي، كرَّم الله وجهه، :

ولا خيـــرَ فـــي وُدِّ امـــرئٍ مُتَلَـــوِّنٍ إذا الـــريحُ مالـــتْ مـــالَ حيـــثُ يميـــلُ

جـــوادٌ إذا اســـتغنيتَ عـــن أَخْـــذِ مالِـــه وعنـــد احتمـــالِ الفقـــر عنـــكَ بخيـــلُ

فمـــا أكثـــرَ الإخـــوانَ حـــينَ تَعُـــدُّهُمْ ولكـــنَّهمْ فـــي النَّائبـــاتِ قَليـــلُ

شكراً للأستاذ الجوهري على ثباته في هذا الوُد وتلك المُصافاة للبيت الجراري، والشكر موصول غير مفصول للنادي الجراري وجمعية رباط الفتح على هذه الفرصة السانحة التي منحاني في أن أقدم هذه الشهادة بهذه الكلمات القليلة في حقِّ المكرم، والتي

لن تَفِيَهُ حقَّه، لكنها عربونُ محبَّة وشعارُ صداقةٍ لا تُخطئها البصائر الصافية والقلوب الصادقة.

****

شهادة الدكتور أحمد سعيد أباه*

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جرت العادة أن يُدلي الأستاذ بشهادة في حق طالب من طلبته، أو أن يتحدث المسؤول عن أحد مساعديه أو الشيخ عن بعض مريديه، أما أن يتحدث تلميذ في حفل تكريمي عن أحد أساتذته، فذلك لا يخلو من جرأة أخلاقية، وقد يُعدّ أيضاً ضرباً من ضروب التجاوز المعرفي، ويحتاج من صاحبه إلى صفاء البصيرة وعمق الموضوعية، وهو ما قد لا يتوفر كل مرة في مثل هذه المجازفات، التي نخوضها اليوم، عندما أتحدث عن علم من أعلام الثقافة المغربية والعربية والإسلامية، في شخص فضيلة الدكتور مصطفى الجوهري.

لقد قررت أن أركب عُباب هذا اليمّ، ليس فقط من باب الحرص على التشريف بهذه الشهادة، وإنما أيضاً لتأدية واجب علمي وقضاء دين معرفي، ظلّ في عنقي إلى اليوم، وربما يزداد أيضاً ثقلاً بعده، إن أنا أخفقت في إعطائه قدره ومقداره، حيث شاءت الأقدار في غرة الثمانينات أن أدرس في إحدى المؤسسات الثانوية المعروفة بحزم إدارتها وتميز أساتذتها وجدية تلامذتها، وبما أني كنت في مستوى الباكالوريا حينها في الشعبة الأدبية، فكان من الطبيعي أن تكون مادة اللغة العربية وآدابها هي المادة الأساس في تلك المرحلة الدراسية. ولا زلت أذكر ذلك الدرس الأول من دروس أستاذٍ أبهرني بفصاحته وأدهشني بعلمه وأعجبني بأسلوبه وسحرني بخلقه.

ولم تزل هذه الانطباعات تترسخ وتتعزز، حتى أصبحتُ أنتظر دروسه بفارغ الصبر وأتطلع إلى حصصه بعد نهاية كل واحدة منها. لقد ساهم ذلك الأستاذ مساهمة فعلية في

* مدير العلاقات الخارجية والتعاون في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، تلميذ سابق للمحتفى به فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري

تكوين الوعي الثقافي لدينا جميعاً في ذلك الفصل، ولديّ بصفة خاصة، باعتباري قادم من بيئة ثقافية واجتماعية مختلفة، وإن كان أهلها يعتبرون أنفسهم امتداداً طبيعياً للفضاء الحضاري المغربي، ومكوناً عضوياً من مكوناته. وكم أحسست بعمق هذه العلاقة الثقافية والأدبية والفكرية في دروس أستاذنا هذا، وكم شعرت بالتكامل والتفاعل بين البيئة التي قدمت منها، والبيئة التي وضعني هو في سياقها. لقد شكلت تلك المرحلة الدراسية أساس الرؤية البانية بالنسبة لي، عن الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، وعن أبعاد التنوع فيها ومظاهر الوحدة داخلها، فجاءت متابعتي لدروسه، أو محاضراته على الأصح، رحلة استفادة ومتعة في نفس الوقت، جمعت عناصر التلقين العلمي والمسألة المنهجية والتشويق التربوي، وهو ما جعل أستاذنا في تلك المرحلة حالة فريدة من نوعها ومربياً استثنائياً على جميع الأصعدة.

إنني لم أتعلق فقط بدروسه ولم أشدّ إلى مادته فحسب، بل تأكدت حينها أني أعيش مرحلة حاسمة من مراحل التمثل المعرفي وتشكّل الهوية ورسم المصير، بما طبعني به ذلك الأستاذ من تأثير وتوجيه وإرشاد. وبعد عدة سنوات من التكوين الجامعي والتأهيل البحثي، وبعد امتلاك آليات التحليل المنهجي ووسائل استيعاب البناء الفكري، وعند استحضاري لذلك التراكم المعرفي والتأصيل التأسيسي للثقافة العربية الإسلامية، الذي حصلت عليه في تلك الفترة من المتابعة الدراسية، فإني استذكر اليوم محورين أساسيين لتميز أستاذنا الدكتور مصطفى الجوهري.

- المحور الأول هو **وطنية الثقافة**:

لقد كنت أتلمس، وأنا تلميذ آنذاك، ملامح مفهوم الثقافة وخصائصها وعلاقتها بالمجتمع وبتاريخه وبحاضره، ومدى تأثيرها فيه وتأثرها به، وأستطيع أن أجزم اليوم أن أستاذي الدكتور الجوهري كان وطنيّ الثقافة بامتياز، وكان خير مثال للمثقف والباحث والمربّي المغربي الأصيل، الغيور على ثقافته، المتشبع بتراثه، والخبير بتاريخه، والمتمكنّ من نشر هذه الثقافة ليس فقط في المؤسسات التربوية والتعليمية، كما كان عليه الحال حينها، بل وفي شتى المحافل الفكرية داخلياً وخارجياً.

لقد كان الأستاذ الدكتور الجوهري يزرع في نفوسنا ليس فقط حب الوطن وإنما أيضاً ثقافة الوطن، وأن **"الوطنية"** يجب أن تكون على رأس الممارسة الثقافية، وأن التمسك بالوطن والغيرة عليه والدفاع عن قضاياه، هي المهمة الأولى للمثقف وأن الهوية الثقافية بدون وطنية هي وعاء أجوف وجسد بلا روح، وكم أكبرت في أستاذنا، هذا الشعور العميق بالوطنية والحرص على إبراز مظاهرها في مختلف أبعاد الإبداع والنبوغ المغربي، وأن الثقافة المغربية هي بالأساس ثقافة وطنية، وأن هذه الخاصية قد تكون من ميزات هذه الثقافة، التي طبعتها عبر مختلف محطات تاريخ البلاد، وخاصة في العصر الحديث.

- المحور الثاني هو **ثقافة الوطنية**:

لقد أبدى الدكتور الجوهري خلال مساره التدريسي، وبشهادة عدد مهم من طلبته أيضاً، كفاءة عالية في تكوين أجيال من الدارسين، تشبعوا على يديه بالثقافة المغربية والعربية والإسلامية في مختلف تجلياتها، إلا أنه كان متميزاً في اهتمامه بثقافة الوطنية، وبالإنتاجات الأدبية والفكرية ذات الصلة بالحركة الوطنية بالذات، عبر مختلف مراحلها، سواء تعلق الأمر بالرواية أو الشعر أو المسرح أو التراجم أو الإعلام.

وكنّا نهل من ذلك المعين الثقافي الوطني ما يُعرّفنا بأهم الشعراء الذين مجّدوا الحركة الوطنية بقصائدهم، والروائيين الذين خلّدوها في قصصهم، والمؤرخين الذين وثقوها في مؤلفاتهم، وكانت دروسه في هذا المجال تؤكد دوماً على هذا الترابط العضوي بين الثقافة والوطنية، سواء تعلق بالموضوع بصفة الوطنية محركاً من محركات العمل الثقافي أو بصفة الثقافة تجلياً من تجليات الحس الوطني. وكان يدفعنا إلى الشعور أن جهل التراث الوطني، بما فيه تراث الوطنية، ذنب لا يغتفر في حق الوطن، وأن البحث العلمي والإنتاج الفكري يجب أن يعزز مكانة الوطن ويبرز مساهمته في بناء الحضارة الإنسانية، ويرسخ حيويته الحضارية، كي ترقي مضامينه المعرفية إلى مستويات أعلى وأشمل، وأن تحقيق **"المواطنة الثقافية"** مشروط بتحصيل **"ثقافة الوطنية"**، وباختصار كان يغرس في وجداننا أن **"المثقف وطني أو لا يكون"**.

وبعد عدة سنوات من هذه المرحلة الدراسية التي تشرفت بالتتلمذ خلالها على الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري، كم كانت فرحتي شديدة، باللقاء به مجدداً، وهو القيّم الأمين على أهم نادٍ ثقافي مغربي وأعرقه، والمساعد الأيمن لأبرز شخصية ثقافية مغربية، وكم كانت فرحتي أيضاً كبيرة لمّا علمت أن هذه المؤسسة الثقافية العتيدة ستكرمّ أستاذي الأجل، وحينها لم أتردد في الانضمام إلى قامات أدبية وعلمية سامقة للإدلاء بشهادة في حقه، راجاً أن تكون قد حققت المقصود وأدت الأمانة،

والله ولي التوفيق.

****

II ـ العروض

عبد الله الجراري مربيا ومعلما من خلال "هذه مذكراتي"

تحقيق د. مصطفى الجوهري

د. إبراهيم بورشاشن*

من حسنات الدكتور مصطفى الجوهري احتفاله بالتراث الجراري في مساره الأكاديمي، فقد أسهم في إلقاء الضوء على رجل كاد التاريخ يُفوّق إليه سهام عدم الإنصاف، كما هو دأبه مع كثير من علماء المغرب ومثقفيه الكبار، لولا همة عبد الله الجراري نفسه في متابعته الدؤوبة لأحداث عصره السياسية والثّقافية والعلمية والإسهام فيها علما وعملا وتوثيقا. ولولا أولو بقية من الباحثين ضربوا إلى تراثه فأظهروا ما كان خفيا، وجلّوا من شخصيته الإنسانية والعلمية والسياسية ما كان يُظنّ به التواري والإهمال، وقديما قيل : المعاصرة حجاب[1].

تصدّى الأستاذ الباحث لتقديم "هذه مذكراتي" ونشر نصها المحقق، وضرب إلى ما تركه الجراري من نصوص تمتّ إلى الموضوع بسبب قوي أو خفيف لملء الفراغ الأكاديمي في دراسة أدب المذكرات، الذي لمّا ينل حقه دراسة وتحليلا[2]، والعمل بخاصة على رفع الخلط بين السيرة والمذكرات، وهو الخلط الذي كان في نظره من أسباب القصور في إدراك الخصوصية العلمية لأدب المذكرات، مما أدى إلى دراسات باهتة بشأنها. وضاعف هذا الوضع، عدم "تبلور استقلالية المذكرات كجنس أدبي" بسبب ضعف التراكم في هذا

---

* أستاذ التعليم العالي، باحث في الفلسفة، مكناس

[1] . عاتب عبد الله الجراري علال الفاسي أنه لم يذكره من رواد القضية البربرية في الرباط، عندما كتب الزعيم المغربي في ذلك، هذه مذكراتي لعبد الله الجراري الجزء الأول تحقيق مصطفى الجوهري، منشورات النادي الجراري رقم 60، مطبعة أبي رقراق، الطبعة الأولى 2013، ص 106

[2]. الجوهري، مصطفى، المذكرات في الأدب المغربي . هذه مذكراتي لعبد الله الجراري . منشورات النادي الجراري رقم 60 الطبعة الأولى 2013 ص 9

الميدان لعزوف المغاربة عن كتابة مذكراتهم أو نشرها[3]. من هنا أراد الباحث لكتابه هذا أن يقدم إضافة هامة في دراسة أدب المذكرات من خلال الإسهام "في إعادة النظر في أدب المذكرات، ورصد خصائصه، وتحقيق اسقلاليته"[4]. وكانت مناسبة لإبراز أثر مهم من آثار الرجل التي تكشف بالملموس تزاوج العقل العملي والعقل النظري، في بناء سيرة ذاتية يَشْرُف بها التاريخ المغربي.

والقصد من هذا العمل، الذي نعتز بالإسهام به تكريما لمحافظ النادي الجراري، الوقوف عند المذكرات التي نشرها المحتفى به، وجهد في إخراجها في ثلاثة أسفار، خصّ الأول منها للتقديم وبلور فيه صورة جلية لعبد الله الجراري المفكر[5]، وأفرد الجزأين الآخرين للنص المحقق. ودبّجه بهوامش غزيرة وعزيزة أغنت النص وفكّت مغالقه وفتحته على فضائه الثقافي المغربي والعربي، وأبرزت معرفة المحقق العميقة بالتّراث المغربي بعامة، والتراث الرّباطي بخاصة، وهو التّراث الذي تندرج فيه المذكرات.

وقد ارتأينا، ونحن نفكر في مدخل نلج به العالم الخاص والعام للسيد عبد الله الجراري، رحمه الله تعالى، أن نقف عند ما اشتهر به، وهو إمامة العلم والتربية؛ فقد كان الرجل بحق إماما من أئمة التربية والتعليم، أسهم في هذا المجال إسهامات لا تزال تتحدى الأجوبة المعاصرة، وطرح أسئلة كانت أحيانا تقف عند حدود شخصيته القاعدية وكانت أحايين كثيرة تتحدى الزمن والوقت. فنحن في هذه المذكرات إزاء شخصية رجل اتخذ من التعليم والتربية همّا ذاتيا، وأسهم، بنكران ذات، في نقلة هامة لمّا تدرس بعد الدراسة الكافية.

كان الجراري على ثغرة أهم رافعة من رافعات أي تقدم مأمول، وهي الرافعة التي نجد الدول الجادة في نهضتها توليها الاهتمام المادي والرمزي، إنها ثغرة التربية والتعليم،

---

[3]. المذكرات، قسم الدراسة، صص10 . 11

[4]. المذكرات، المصدر نفسه، ص 11

[5]. المذكرات، قسم التقديم، ص 11

تحمّل الجراري مهاما جسيمة تتعلق بالتربية والتعليم في فترة مهمة من حياة المغرب،[6] وهي فترة الانتقال من عصر كانت مصادر التعليم العصري فيه فقيرة والممارسة التربوية تسير على غير هدى، إلى مرحلة جديدة يهيئ من خلالها المغرب إلى الدخول إلى عصر يتوخى تعليما جديدا وينشد تربية تراعي الأصيل والمستجد، من أجل إنشاء إنسان مغربي منفتح على العصر ومعتز بذاته.

عبد الله الجراري مربيا ومعلما يفتحنا على مغرب يتكون ثقافيا وسياسيا من خلال "زمن الطفرة" وليس زمن التدرج والتراكم الحضاري السليم؛ كما يفتحنا على مسار شخصية رجل تربت وتعلمت في فضاء مغربي متوتر لتتخذ منه موقفا نقديا وتصوغ نظرية تربوية تحمل من سمات العقل المنفتح وبلل القلب المحب الكثير. فالتربية هنا ذات بعد جدلي؛ فمن داخل تربية تقليدية تتسم بعتاقة يزدوج فيها السّلب والإيجاب سيحمل الجراري مشعل تربية حديثة يزدوج فيها الطّارف والتّالد، وسيتحمّل مسؤولية تعليمية وتربوية يترجم فيها ما كان يرجوه لبلده حين الوقت. كما أن من داخل المذكرات تطل علينا شخصية الجراري وهي ما تزال تربي بتوجهاتها، وتعلم بمنهجها البيداغوجي السليم، وكأنها ترى حال تربية فقدت اليوم كثيرا من عناصر القوة والجدة، فتقدم المذكرات عناصر هامة للتفكير وموادّ جليلة للتأمل ...

ويلاحظ د.الجوهري وهو يحلل عنوان المذكرات انفتاح الجراري "في سرد محطات الحياة، على توثيق الأحداث، مع التزام أساس بالواقع كما عاشته الذّات في تفاعلها وانفعالها، وتطور أشكال تجاربها زمانا ومكانا وتحقيبا، وهو ما وسم المذكرات بخصائص ... تكشف موسوعية ثقافة صاحبها" في محيط يضج بالبحث الدائم "في كل حركة وسفر على التحصيل والتثقيف والمجالسة والحوار والتذكر والتدبر"، محيط شكّل "حقلا مثمرا للمعارف الذاتية والموضوعية، والخاصة والعامة"[7].

[6] . مصطفى الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي، هذه مذكراتي لعبد الله الجراري تحقيق ودراسة [قسم الدراسة] منشورات النادي الجراري رقم 60، مطبعة أبي رقراق، الطبعة الأولى 2013، صص 148 ـ 151

[7]. المصدر نفسه، ص 89 ـ 90

إن تأطير الممارسة التربوية داخل الشروط الاجتماعية والشروط الثقافية يبرز الإسهام الجراري وحدوده بشكل أكثر وضوحا في ظل ظروف مغربية خاصة عرفت توترا على المستوى السياسي والثقافي، وصراعا من أجل استقلال المغرب، خاصة أن المذكرات لم تتجاوز سنوات الخمسينات، أي أنها لم تتعد سنة 1950، وإن تناثرت في تضاريسها معلومات مهمة عن مراحل متقدمة في سبعينات القرن العشرين، زمن كتابة المذكرات. وتكمن أهمية هاتين الفترتين أنها تقدم لنا شخصية الجراري، وهي من جهة تتكون في حمأة صراع بين الذات والآخر. ومن جهة أخرى تَحْيا وتفعل في حاضرها ومستقبلها، في فترات الاستعمار وبعض فترات الاستقلال، بين هوية كسيرة وحضارة عاتية. لقد كان حرص عبد الله الجراري هو إدخال تحول على الماضي الاستعماري في التربية والتعليم والحفاظ على استمرارية الميراث الثّقافي والروحي المغربي فاشتغل في ضرب من التجانس مع العائلة والدين وغيرها من المؤسسات الوطنية.

عاش الجراري همومه التعليمية والتربوية في مجتمع أناخت عليه الأمية بكلكلها فكان التمدرس فيه لا يستجيب لمتطلبات المحيط ولا لتحديات الزمن المعاصر له، وفي ظل جو ثقافي فقير لـ"فلسفة اجتماعية مصاغة صياغة جيدة، أو مشروع مجتمع محدد تحديدا جيدا"[8]. فقد المغرب توازنه بسبب صدمة صراعية نتجت عن تداخل مرجعيتين في مجتمعه؛ التقليد والحداثة، فظل متأرجحا بين حقلين مرجعيين مختلفين، ولم يستطع شق طريقه الخاص لتجاوز المفارقة التاريخية التي تعتمل فيه داخليا، كما لم يستطع أن يستمسك بما كان يشكل سعادته وتناغمه قبل الحقبة الاستعمارية. فكان العمل على تربية القلب بالإيمان، وتربية العقل بالعلم والتاريخ، هو الجهد الكبير الذي قامت به المدرسة المغربية في ظل الاستعمار، وكان عبد الله الجراري أحد الرواد في ذلك.

مارس الجراري التعليم بثلاث مدارس؛ الصناعية والأعيان ومولاي يوسف[9]، وأجرى تدريبا للالتحاق بالتعليم، ثم صرف عنه بمؤامرة وكيد[10]، ثم عين مفتشا عاما لمدارس

[8] المصطفى شباك، الحداثة والتربية، ترجمة محمد أسليم، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1999، ص 10

[9]. المصدر نفسه، ص 112

[10]. المصدر نفسه، ص148 . 150

البنات بالمغرب، وعندما أنشأ المغفور له محمد الخامس المعهد الأميري كلّفه بتفتيش أساتذته، وكان قد ندبه إلى أن يراجع الدروس مع الأمير المولى حسن، فالتربية والتعليم سيرة حياة عبد الله الجراري، كما أصبح سيرة حياة "وارث السر"[11]؛ ابنه البكر عباس.

لا يتأهل لوظيفة التربية والتعليم بكفاءة وصدق إلا من وفق لأسرة غرست فيه بذور شخصية تحمل من معاني الإنسانية الكثير، وتعهدتها بالرعاية والنمو حتى أتت أكلها بإذن ربها، وسقت هذا التعهّد من ماء الحياة، ماء العلم والقيم، فهل هناك حياة إلا والعلم والقيم أسها وملاكها؟! وارتباط التربية بالقيم هو ارتباط قوي إذ" التربية في ذاتها عملية قيمية، والقيم تصوغ العمل التربوي وتوجهه"[12].

وقد سعد الجراري بأسرة عملت فيه ذلك، وصرفته عن أي مهنة غير التعليم الذي يسر له[13]، وعندما تصدى للوظيفة سقاها من إنسانيته، ولم يبخل عليها من "ماء الحياة"، وما تزال كتبه ووثائقه تفعل ذلك من وراء الزمن والأقدار، وتكشف عن فكرة التربوي المتجدد وحسه العلمي الناقد مع كرور الأيام.

المربي والتربية:

تقدم لنا المذكرات عبد الله الجراري سليل أسرة أورثته التربية والخلق الحسن والمحبة في العلم[14]، وأنشأت لدى الابن حبا أقوى، جعله يطلب العلم بحرص شديد، ويدفعه إلى منافسة علمية محمودة[15]، بل أنشأ لديه حسا نقديا لهذه التربية العتيقة التي تلقاها والتي تميزت ب التلقين الشاق[16]، والقسوة الفاشية[17]. لاحظ الجراري أثار هذه

---

[11]. المصدر نفسه، ص 144

[12]. علي خليل مصطفى "القيم الإسلامية والتربية"، أورده فهد بن محمد الشعابي الحارثي، القيم في مدرسة المستقبل، منتدى المعارف، بيروت، الطبعة الأولى 2016، ص 189

[13]. يذكر الجراري أن والدته منعته من خطة القضاء، المصدر نفسه، ص 177 . 178

[14]. رغم أنه قد يظهر رجال من بيوت علم وأدب لكنهم يصدرون في أفعالهم عن خلق سيئ. المذكرات، المصدر نفسه، ج1 هامش 1، ص 86. وصص 9 . 11.

[15]. المذكرات ، المصدر نفسه، ص26

[16]. المصدر نفسه، ص 20

[17]. المصدر نفسه، ص 19 وص 25، وص 32

القسوة عليه وعلى أخيه[18]، كما لاحظ أخلاق المعلمين الحفّاظ التي لم تكن تعبر عن سماحة الإسلام وعدله وأداء الأمانة العلمية تامة مع الأطفال، بل طبعتها سلوكات مشينة، فانطلق لسانه بنقد لاذع. وقد كانت هذه التجربة هديا له في مساره التعليمي التربوي وهو يؤسس لتربية قائمة على قيم تستمد من التراث أصالته، ومن العصر تفتحه. خاصة أن بعض من درّسوه جسّدوا له هذه القيم مثل أستاذه الرغاي الذي تميز بأسلوب منتج في التربية والتعليم، وباعتماد وسائل تلقينية معتبرة[19]، رغم النقد الخفيف الذي يوجهه له[20].

تعلم الجراري في أسرته قيمة المحبة بين الإخوة[21]، وأصبحت مدرسته التربوية مدرسة "المسلون إخوة أينما كانوا تجمعهم رابطة الدين والتاريخ واللغة"[22]، ومدرسة الأخوة بين الرباطيين والسلاويين[23]، بل إنه سيكون من أوائل من أسهم في نشأة المدارس الوطنية.

تعلم الجراري في خليته الأولى المحبة والإيمان ورقة المشاعر، فكان قوي العاطفة الدينية، تاليا للكتاب العزيز، ومتدبرا له[24]. يعتبر الغيرة على الدين من مقومات الوطنية[25]، حييا، ذي معرفة تامة بطريق القوم، مميزا بينه وبين طريق المبتدعة والشعوذة[26]. ذا شعور صوفي بارز[27]، دائم تجديد الإخلاص في عمله[28]. يستبطن روحا

[18]. المصدر نفسه، ص 19

[19]. المصدر نفسه، ص 33

[20]. المصدر نفسه، ص 33 و34

[21]. المصدر نفسه، 94 . 95

[22]. المصدر نفسه، ص 97

[23]. المصدر نفسه، ص 189

[24]. المصدر نفسه، ص 193

[25]. المصدر نفسه، ص 115

[26]. الجزء الثاني صص 117 . 119

[27]. كما تجلى في إرجاعه خروجه من السجن إلى قوة اسم اللطيف، المصدر نفسه، ص 100 وص 104، وانفعاله القوي بقولة: " الإنسان ضعف ظاهر ودعوى عريضة"ص 140. ومعرفته العميقة برائية الشريشي التي عليها مدار التصوف، كما يقول. ص 183

[28]. المصدر نفسه، ص 173

صوفية تحركه إلى الانتصار لقضايا وطنه وخدمة العلم بنكران ذات. كان الجراري منفعلا بكل ما هو جميل حريص عليه، متقززا من كل ما قبيح من خلق أو منظر، صاد عنه، كما تجلى في نقده لأخلاق المعلمين وأخلاق المفتين[29] متأنق[30] ومتجمل في لباسه[31]، ذا حساسية قوية لقضايا وطنه[32]، ممعنا في الوصف الشاعري الرائق، فكان تحركه المعاني الرقيقة[33]؛ فانفعل بمكناس وقال "زادتني مناظرها محبة وهياما"[34]، وكان يتحرك للطرب ويقدر تأثيره الجميل والمسعف في النفوس؛ فالطرب يعمل على تصفية الدماء ويعالج العتهاء، ويؤكد الجراري هذا الأمر ويدعمه بتجربة فاسية بسدي فرج الذي كانت عليه أحباس[35]. وإذا كانت رقة الجراري وراء شخصيته الفنية التي نهضت به إلى كتابة مسرحيات، ووراء ولعه بالطرب والملحون، وكتابة الشعر، فإنه لم يجار شيخه سكيرج الذي قبل بالرقص رغم أنه ليس من الدين، ورد عليه بما أورده الألوسي في "روح المعاني"[36]. إن شخصية الجراري التي شب قلبها على العطف والمحبة والتقدير ومحبة الأدب انبجست عيونا فنية، فكانت شعرا[37]، وموسيقى[38]، وقراءة قرآن بتطريب في إطار ضوابط التجويد[39]، وتأليفا في الرواية[40] والمسرح.

لكن الجراري ربّي أيضا في بيئة علمية منفتحة زخرت بالعلماء، ويكفي دليلا على ذلك كلف أبيه بالعلم وملازمته لشعيب الدكالي[41]، فأورث ذلك الجراري محبة العلم،

---

[29]. المصدر نفسه، ص21 وص 200

[30] الجزء الثاني، المصدر نفسه، ص 132 ـ 134

[31]. الجزء الأول : المصدر نفسه، ص89 وص 91

[32]. كما تجلى عندما امتحن تلاميذ بفاس ووجدهم عطلا من العلم بالتاريخ ص 152

[33]. المصدر نفسه، ص 191 وص 216وص 224،

[34]. المذكرات ج1، ص 124 والجزء 2 ص 43.

[35]. المصدر نفسه، ص 202

[36]. المصدر نفسه، ص206

[37]. المصدر نفسه، ص 141

[38]. المصدر نفسه،صص 62 ـ 66 و ص202

[39]. كان الجراري أول من قرأ القرآن بمذياع المغرب .. المصدر نفسه ص 196

[40]. يصرح الجراري أنه أول من صنف الرواية بالمغرب ص 60

[41]. المذكرات، ج1، المصدر نفسه، ص 15

فكان تصوره للعلم أنه "يدرس بذاته وشرفه، وتكميل الإنسان نفسه"[42]، فلم يكن يقصد من العلم إلا كمال ذاته، وهو موقف فلسفي من العلم، قريب من موقف أرسطو. فكان يعتبر ما يقوم به من تعليم، فريضة عليه أمام العلم، لا يرجو عليه جزاء ولا شُكْرا[43]. ولما ولّى المستعمر القضاء عوام الناس وجهلتهم، نادى أن يتحمل هذه الوظيفة قضاة أولو فقه وعلم حتى يمارسوا تربية الناس، على تمام البصيرة[44].

كما أُورث حب العلماء واللقاء بهم، أُورث محبة القراءة، فكان يقرأ في المجلات الوطنية والواردة من المشرق فاغترف، وانفتح مع جيله على نهضة المشرق الحديثة التي حمل لواءها في عصره محمد عبده، الذي كان يسمه ب "حامل راية النهضة الحديثة في مصر"[45]، فاغترف من "صحيفة الرسالة"[46]، وصحيفتي "اللواء" و"المنار"[47]. وغيرها من الصحف التي كانت تصدر بالمملكة.

لم تقتصر تربية الجراري على أهله والعلماء المطيفين به، والمطيف بهم، بل تجاوز ذلك إلى صروف الزمن التي تصقل المرء وتسبكه سبكا في إطار تربية لا تخلو من عنت، كما وقع للرجل في تجربة السجن التي لقي بها ما لم يكن تعود عليه[48]، وأدرك فيها بالملموس نواميس من طبيعة الحياة، وبخاصة أهمية الإيمان الديني في صلابة الشخصية وقوتها وجوهريته في النضال في سبيل الحرية، كما أدرك عيانا مفارقة المستعمر في ادعائه الإنسانية وسوء إنصافه، بل وهمجيته[49]. وتعلم من أخطائه في السجن أيضا، ولم يكتمها، فقد كانت من أخلاق الجراري المراجعة والنقد لنفسه[50]، فانتقد عدم خروجه

---

[42]. المصدر نفسه، ص 140

[43]. المصدر نفسه، ص 173

[44]. المصدر نفسه، ص 174

[45]. المصدر نفسه، ص 19 وانظر أيضا ص 141.

[46]. المصدر نفسه، ص 21

[47]. المصدر نفسه، ص 19

[48]. المصدر نفسه، ص 90

[49]. المصدر نفسه، ص 93، فأدرك أن الحكومة الفرنسية "حكومة لا تراعي عدلا ولا إنسانية" كما يقول، ص89

[50]. المصدر نفسه، ص 113 . ص 125

إلى النزهة مع السجناء، وصرح أن ذلك مما فوت عليه الخير الكثير، فتوجه بنصيحة تربوية يناشد من ورائها "بالأخص المثقف، أن يشارك في كل الماجريات، كسبا للخبرات ..."[51].

المربي ـ المتعلم : يُعلم ويربي

مارس الجراري التربية والتعليم بالأقوال والأفعال، والتربية الحقيقية تبدأ بالحب، وتظهر هذه الشخصية العطوفة المحبة وهي تستقبل أول أبنائها البكر، عباس، الذي وسمه الأب ب"وارث السر، وحافظ العرق، ومعيد المجد"[52]، فهذا الفرح بالأبناء وتقريظهم يشي بسعة قلب الأب الذي لا تخلو رحمته من قسوة الحكمة، فكان سمو أخلاق الأبناء من سمو أخلاق الآباء[53]. كانت للجراري معرفة عميقة بطبع الشباب وما له من فورة وسورة واندفاع[54]، مما اتخذه بين يديه عذرا في التعامل مع مواقف أبنائه[55]، وبخاصة ابنه محمد، الذي أتعبه[56].

كانت شخصية الجراري مضرب الأمثال في العز والكرامة، فكان خطأ الاستعمار في إلقائه قنبلة الظهير البربري محكا للمغاربة انبرى على إثرها الجراري وألقى خطبتين بسيدي الغندور والمسجد الأعظم يندد فيها بمكر الاستعمار بالمغرب، فيما سماه "القضية المشئومة"[57]، وقد عانى معاناة شديدة من جراء هذا السلوك الذي لم يسبقه إليه مغربي، إذ لأول مرة تلقى خطبة من غير منبر[58]، لكنه تحمل تبعاتها بحزم، وألقى عنه رداء الجبن، وتعامل مع الحدث بكبرياء[59]. وقد اغتنم الجراري تجربة السجن واستخلص منها

[51]. المصدر نفسه، ص 98

[52]. المصدر نفسه، ص 144

[53]. المصدر نفسه، صص 144 ـ 145.

[54]. المصدر نفسه، ص 154

[55]. انظر في الجزء الثاني حديثه عن ابنه عبد الواحد، ص 98 ـ 101.

[56]. المصدر نفسه، ص 211 ـ 212

[57]. المصدر نفسه، ص 68

[58]. المصدر نفسه ص 85

[59]. المصدر نفسه، ص 88

دروسا تربوية فدعا إلى توطيد النفس على المكاره، وعدم الاطمئنان إلى النعمة[60]، وأردفها بدعوة خاصة للرجل الحازم أن يتدرب على الشظف في العيش، ويبتعد عن البذخ والرفاء تحسبا لعوادي الزمن[61]. وخاصة أن الدهر يعمل أحيانا في رجال العلم أفاعيله فيطوح بهم في "أمكنة لا تتفق وثقافتهم، فيصبحون عرضة للضياع كأنهم في بادية"[62].

كانت نظرات الجراري التربوية عميقة تخترق التقليد المغربي التربوي وتهزه بقوة، ذلك ما يجليه لنا، مثلا، موقفه من القاضي المغربي الذي حقّق معه، فصدرت عن المحقق سلوكات أرجعها الجراري إلى جبنه والخطأ في تربيته الأولى التي "كان يعوزها التكوين الصحيح والتمرن على الخلق الإنساني والوطني"، ويرد الجراري ذلك إلى التقليد التربوي والعلمي المغربي في تكوين العلماء، حيث يتم الانتقال من أحضان الوالدين إلى الكتاب، إلى حلقات العلم، ثم التصدر للقضاء أو الفتوى أو التعليم[63].

كان الجراري شخصا مختلفا، فقد عركته الحياة وعركها والعلم مطيتُه، وظلّ على صهوة هذه المطية ينتقل بها من طور إلى طور، فلما فتح الباب للطلبة من ذوي الأهلية للالتحاق بالسلك العالي شارك في الامتحان في الشعبة الأدبية، واجتاز العالمية بنجاح[64]، ثم انخرط في النظام التربوي الحديث.

كان الجراري مع المنافسة العلمية الشريفة بين الأفراد والأمم، فكلّما قارن بين المغرب والمشرق إلا ونهضت به همّته إلى المنافسة العلمية الشريفة، فحديثه عن المجلات والجرائد والصّحف وافتقار الشعب المغربي إليها. وشعوره بصعوبات إنشاء المجلات والنّشرات لوقوف جهة قوية ضد ذلك[65]، دفعه إلى التفكير في الحصول على مطبعة،

---

[60]. المصدر نفسه، ص 92 . 93

[61]. المصدر نفسه، ص 94

[62]. المصدر نفسه، ص 190

[63]. المصدر نفسه، ص 85

[64]. المصدر نفسه، صص 139 . 140.

[65]. المصدر نفسه، ص 17

وفتْح باب التبرعات لما تكتسيه الصحافة من أهمية، وبخاصة في وظيفتها التعليمية المعرفية[66].

إن الجو العلمي الذي عاشه الجراري في بيته امتد عنده في مجالس الإخوان التي كانت مدرسة علمية وتربوية أخرى تغذى منها الجراري وغذّى؛ فلم يكن الجراري شخصا منفعلا سلبا، بل كان شخصيته القوية تأبى عليه إلا الفعل، بعد التبصر والتفكير في المآلات. ولعل هذا البعد في شخصية الجراري هو الذي أنهضه إلى الاهتمام بالتاريخ، والتاريخ هو مدرسة التبّصر والاستبصار والمقاصد؛ وعندما وقف الجراري على فقر التعليم المغربي من مادة التاريخ، وأدرك ما لذلك من أوخم العواقب على شخصية الإنسان المغربي، عزم على تأليف كتاب في تاريخ المغرب يتوخى الطرق البيداغوجية الحديثة، تجعل التاريخ سهل التناول على التلاميذ والطلاب[67]، ويدخلهم مدرسة التربية الصادقة ويريهم في جنباتها حياة الأسلاف في ثرائها وقوتها[68]، فأسهم بذلك في نشر الفكر المستنير في أوساط الشباب[69]. وكان ذلك ما شهد به السلطان نفسه في حق كتب الرجل[70].

نجح الكتاب في تحقيق ما كتب من أجله، وكانت أفضل الإجراءات التي توجت العمل التاريخي الجراري قرار المغفور له محمد الخامس تدريس كتب الجراري في المدارس[71]. فقد تتابعت كتب الجراري التاريخية على الطريقة الحديثة، حتى كان ما عمِلَه لا يقدر عليه إلا فريق علمي متكامل[72].

---

[66]. المصدر نفسه، ص 18

[67]. المصدر نفسه، ص 152 و155

[68]. المصدر نفسه، ص 168

[69]. المصدر نفسه، ص 171.

[70]. المصدر نفسه، ص 172.

[71]. المصدر نفسه، ص 155 وص 156.

[72]. المصدر نفسه، ص 170

وقد وسم المعاصرون الجراري بحلية المؤرخ، فوصف بأنه "رزق ... نشاطا نادرا في خدمة العلم والتاريخ"[73]، إلى جانب أخرى تدل على شفوف الرجل في ميادين علمية مختلفة[74]. وكان هذا الجانب التاريخي يعمل على وجهين؛ وجه حضاري ربط به الجراري حاضر المغرب بماضيه العريض، وما أحوج الشباب أن يعرفوا من أين أتوا حتى يعرفوا وجهة مستقبلهم، فالتاريخ من هذه الجهة يشتغل على الجانب العميق في النفس الإنسانية وهو جانب الهوية العاطفية، فالإحساس بالانتماء قوة ودعم وإبداع. والوجه الثاني هو الوجه العقلي، فالتاريخ مجال الفكر والحكم والعبر، وحري بمجال بمثل هذا أن ينطلق فيه العقل متدبرا سنن التاريخ، وما يعتورها من هبوط وصعود، من تماسك ووهن، وهو من هذه الجهة مدرسة للعقل، يورق فيها وينمو ويتألق، وقد وجد المغاربة، وبخاصة شبابهم، في كتب عبد الله الجراري غذاء لعواطفهم المشبوبة وقوتا لعقولهم المتفتحة فأقبلوا عليها بنهم وشغف. ومن هنا إسهام هذا الرجل، ذي الروحة الصوفية العميقة والعقل العلمي المتوقد، في تربية وجدان الشباب وعقولهم، وأقرب مثال على ذلك مدحه الشك باعتباره "عنوان التفكير والنشاط العقلي"[75]، مما يبرز سعة فكر الرجل وانتقاله بين العقل العملي والعقل النظري. ويذكرني هذا الأمر بما صنعه الغزالي في كتاب "ميزان العمل"، وهو يمدح الشك ويعتبره سبب التفكير وسبيلا إلى اليقين.

إن ما يثير في شخصية هذا الرجل المربي والمعلم هو اقتحامه ميادين العلم المختلفة وانفتاحه الكبير على قريبها وبعيدها حتى إنه عزم على تعلم علم الترنيجات، وهو من علوم

---

[73]. المصدر نفسه، ص 164

[74] . فهو "الإنسان المقتدر .. الغيور المخلص" [ص164]. وهو "الأديب الحسيب المنيف، المرخ الغضريف" [ص166] وهو"الفقيه العلامة الأديب المؤرخ"[ص158]، وهو "العالم المحترم الأديب الأجل المؤرخ المحقق"، وهو "الفقيه الأجل، الفاضل الأمثل، العالم اللوذعي [ص159] وهو "الفقيه النابغة المؤرخ المؤلف المدرس"[ص160]، وهو "الفقيه العالم الألمعي الفاضل المحترم العبقري [ص157] وهو "الفقيه العلامة الأديب المؤلف" [ص161]، وهو "الفقيه الأديب المفكر ص136

[75]. الجزء الثاني، ص 229

السحر لولا أن شيخه صرفه عنه[76]. ولم يكن الرجل يحجم عن خوض غمار المسائل الكلامية ذات النفحة الفلسفية كما يتجلى في ذلك الإشكال الكلامي ـ الفلسفي الذي طرحه والذي يمكن صياغته على الشكل التالي : هل العلم سابق على المعلوم أم غير سابق عليه؟ وإذا كان العلم سابقا حيث لا يوجد المعلوم إلا بعد علمه، فكيف يعقل علم شيء وهو مفقود لا تعلق للوجود به، فهل يكون المعلوم سابقا على العلم؟ أم أنهما متلازمان ومرتبطان لتوقف أحدهما على الآخر؟ ولو قلنا إن العلم يحيط بالعلم، فكيف يحيط الباري تعالى بذاته؟[77]

ونفس الإشكال يمكن طرحه حول علاقة التعقل بالمعقول[78]، وغيرها من الإشكالات الكلامية التي طرحت في النّادي من مثل إشكال القدرة وتعلقها بين ابن حزم وابن العربي الحاتمي[79]، والإشكالات التي يثيرها التصوف والفلسفة[80]، ومسألة القضاء والقدر عند جمال الدين الأفغاني[81]، وغيرها من الإشكالات الكبرى التي فصل القول فيها محقق الكتاب الدكتور مصطفى الجوهري، وبخاصة في الفصل السابع من الدراسة التي أفردها للتحقيق.

وأخيرا، الجراري مربيا لجيل من الشباب المغربي، والجراري معلما لأجيال وأجيال. إذا أمكن القول إن مهام الجراري التربوية انتهت بالمهمات التي قام بها والوظائف التي مارسها بصدقه وإخلاصه لدينه ووطنه، فإن عطاء الجراري العلمي لم ينته بعد، وسيظل الجراري من وراء الغيب يقدم الدروس شهادتَه على حقبة عاشها وأسهم فيها، لقد كانت هذه الحركة العملية والفكرية، المضمّخة بروح تربوية عالية، عند الجراري حركة ولود، لم يجف بعد مدادها، وستظل الأجيال تغرف من كتبه لتتعلم منها كيف تغذي ذاكرتها

[76]. المصدر نفسه، ص 193.

[77]. المصدر نفسه، 207 . 208

[78]. المصدر نفسه، ص 208

[79]. الجزء الثاني، المصدر نفسه، صص135 . 139

[80]. . الجزء الثاني، المصدر نفسه، صص 118 وص171

[81] الجزء الأول، المصدر نفسه، ص 138

التاريخية، وكيف تربي ذكاءها الاجتماعي، وكيف ينبغي أن تكون عندما تدلهم الخطوب وتغشى سماء الوطن المدلهمات، وكيف ينبغي أن تكون عندما تدعى للإسهام بتجربتها في ظل الأمن والاستقرار.

****

الأصول الوطنية للأبحاث الأدبية لدى الأستاذ مصطفى الجوهري: نموذج دراسة آثار العلامة عبد الله الجراري

ذ. محمد اليملاحي*

يهدف العرض إلى الكشف عن الأصول الوطنية للأبحاث الأدبية لدى الأستاذ مصطفى الجوهري من خلال دراسته لآثار العلامة عبد الله الجراري، متتبعاً على الخصوص الخطوات المنهجية في بناء صورة عبد الله الجراري الأديب، وامتداداتها في تحقيقه ودراسته لمذكراته وما فتحته من آفاق لدراسة المذكرات في ضوء حركية المجتمع المغربي في مطلع القرن العشرين.

يلاحظ المتتبع لأعمال الأستاذ مصطفى الجوهري أن أغلبها يتصل بأعلام مدينة الرباط، سواء بدراسة آثارهم أو التعريف بهم وتتبع أخبارهم. وقد يعزى هذا النزوع إلى الدور الذي يضطلع به الأستاذ الجوهري بجمعية رباط الفتح، لكن هذا التفسير غير كاف بالنظر إلى أن الأستاذ الجوهري عُرف بهذا النوع من البحوث منذ إعداده لبحث جامعي حول عبد الله الجراري الأديب، وذلك منذ أزيد من ثلاثة عقود[82]. وقد وجد في جمعية رباط الفتح الإطار الاجتماعي والعلمي الذي يسَّر له الاستمرار في ذلك النوع من البحوث.

كما يلاحظ، من جهة ثانية، أن أغلب أولئك الأعلام من الوطنيين والمجاهدين كما يتضح ذلك من خلال عناوين بعض الأعمال التي أعدها الأستاذ الجوهري أو نسَّق أعمالها. وأفترض هنا أن تلك العناوين من وضع الأستاذ الجوهري نفسه، وعادة ما تقترن صفة الوطنية بالجهاد في العناوين المذكورة سواء بواسطة رابط الواو أو بدونه، وغالباً ما تتصدر هاتان الصفتان العنوان مقدَّمة بذلك على اسم العلم، مثل: الوطني المجاهد عبد

* أستاذ باحث، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

[82] صدر ضمن منشورات النادي الجراري (4) سنة 1995.

الله الجراري، الوطني المناضل الأستاذ عبد الله العياشي، أو يتقدم اسم العلم متلواً بالصفتين مثل: الهاشمي بناني، إشعاع النضال الوطني، عبد الجليل القباج رمز الوطنية والجهاد...

وبغض النظر عن رتبة الصفات وأسماء الأعلام داخل تركيب تلك العناوين، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو سبب اطراد تلك الصفات بالعناوين المذكورة ؟ قد يفسر ذلك باقتران تلك الصفات بأولئك الأعلام لما عرف عنهم من نضال وجهاد، غير أنَّ إثبات أسماء الأعلام دون تلك الصفات لا يلغي أبداً الدور الجهادي والوطني لأولئك الرجال، ما يعني أن إثبات تلك الصفات قد يُفسَّر بأمرين:

- الأول تذكير الأجيال الجديدة بالدور الوطني- الجهادي الذي قام به الأسلاف سيما بعد أن أصبحنا «نسمع في كل مناسبة: كلنا وطنيون، لكن "الوطني" لا يوافق هذا التعميم، فيطالب بإعطاء الدليل أي الموافقة الفورية والصريحة على ما يدعيه هو. الوطني بالمعنى المحدد يحب بلده وشعبه ولغته وثقافته، لكن ما يميزه هو التماهي التام والمتواصل مع تصور معين للماضي، لا يقبل طمسه أو مزجه بغيره أو تبخيسه، إذ يرى في ذلك عقوقاً، خيانة، كفراً، إلخ... »[83].

- الأمر الثاني اعتبار الوطنية إحدى القيم الأساسية في بناء المجتمع المغربي المعاصر، لأن لها دوراً «في المستقبل كوصي على الماضي، متعهد بتبليغه إلى طلائع الأمة. تمثلها بالضرورة أقلية تدعي لنفسها في كل حال الجدارة والأهلية لأن هذا كان طابعها قبل وبعد الحماية»[84].

وأرجح أن جل أعمال الأستاذ الجوهري تسير في هذا المنحى الوطني، إذ اختار العمل، من داخل تخصصه في الأدب المغربي، على إبراز الشخصية الوطنية للمغرب، وهذا هو السبب الثاوي خلف اهتمامه بأعلام الرباط، وخاصة بذلك الصنف، صنف العلماء المجاهدين والوطنيين، وواضح أن تلك الأعمال تندرج ضمن التاريخ القطاعي الذي يهتم

[83] عبد الله العروي، استبانة، ص: 137، المركز الثقافي للكتاب، البيضاء - بيروت 2016.
[84] نفسه، ص: 136.

بالأعلام سواء كانت بشرية أو مكانية تتصل بمدن وأماكن معينة، ونحن نعلم أن «الناس لا يكتبون التاريخ من أجل مجرد رغبة في الكتابة، ولا يكون تدوين وقائع الماضي مقصوداً في ذاته، بل يكتب التاريخ دائماً في ضوء الحاضر وانطلاقاً من شروطه وأسئلته. ولا يكتب التاريخ انطلاقاً من رغبة في الحصول على معرفة تتعلق بوصف حالة مجتمع ما في ماضيه أو انطلاقاً من رغبة في تأسيس هذه المعرفة فحسب، بل يكتب انطلاقاً من الارتباط بأهداف حاضرة في بناء المجتمع. إن للمعرفة التاريخية دائماً قيمة بالنسبة لإرادة التأثير في سيرورة المجتمع في الزمن الراهن، أو هذا ما يؤمل الحصول عليه من تلك المعرفة على الأقل»[85].

في هذا الإطار يدخل الاهتمام المبكر للأستاذ الجوهري بأحد أعلام مدينة الرباط وهو المرحوم عبد الله الجراري الذي عاشَر مؤلفاته مدة طويلة مكنته ليس من فهم أدب الرجل وفكره فحسب، بل من معرفة آثار أعلام آخرين وخاصة ممن كتب عنهم المرحوم عبد الله الجراري، فأصبح الأستاذ الجوهري بذلك أحد العارفين بأعلام الرباط ومعالمها في العصر الحديث فاتخذ من جمعية رباط الفتح منبراً للتعريف بأعلام المدينة والإشادة بدورهم الوطني وحصناً منيعاً للدفاع عن آثار المدينة ومعالمها العمرانية والحضارية.

اكتشاف شخصية العلامة عبد الله الجراري:

أفترض أن اختيار الأستاذ الجوهري لشخصية المرحوم عبد الله الجراري موضوعاً لبحث جامعي ينطوي على دلالات كثيرة منها على الخصوص:

- إخراج شخصية عبد الله الجراري من نطاق ضيق خاص بمجموعة من فقهاء الرباط وغيرها من المدن التي كان المرحوم على صلة ببعض شخصياتها، إلى مجال جامعي رحب له أعراف وتقاليد علمية.

- التسليم بأن أعمال الرجل تستحق الدراسة كغيرها من أعمال باقي الأعلام سواء في المشرق أو المغرب لما في ذلك من مردود معرفي ووطني في نفس الآن.

[85] محمد وقيدي، كتابة التاريخ الوطني، ص: 67، دار الأمان، الرباط 1990.

فكيف اكتشف الأستاذ الجوهري شخصية عبد الله الجراري ؟ لنذكر أولا بأن الاكتشاف عادة ما يتعلق بما هو موجود لكنه يظل، مع ذلك، مجهولاً بالنسبة لجهة أو جهات معينة، ما يقتضي بذل مجهود بدني أو عقلي أو هما معاً لإخراج ذلك المجهول للمهتمين بشأنه.

ويعد كتاب «عبد الله الجراري الأديب» سجلا للخطوات المنهجية التي اتبعها الأستاذ الجوهري في اكتشاف الشخصية المذكورة بدءاً بالعنوان وانتهاء بأبواب الكتاب وفصوله.

ويوجه عنوان الكتاب عناية القاريء إلى مصطلح "الأديب" الذي ينطوي على دعوى كون الأديب عبد الله الجراري أديباً، وأن المؤلف سيستدل على صحة هذه الدعوى دون غيرها بسبب عدم معرفة المهتمين بالأدب المغربي بهذا الجانب، إذ عادة ما يصنفون الرجل ضمن الفقهاء لا الأدباء، كما ينطوي أيضاً على التصور الذي يصدر عنه الأستاذ الجوهري لمفهوم الأدب كما سأبين ذلك لاحقاً.

وسنهتم هنا ببيان الآليات الاستدلالية التي وظفها المؤلف للدفاع عن تلك الدعوى.

تتلخص الإجراءات المنهجية-الاستدلالية المتبعة بالكتاب في ثلاثة هي: الجمع، التصنيف، الدراسة.

أولا/الجمع: تنقسم المصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف إلى قسمين: قسم خاص بمختلف آثار عبد الله لجراري من مسموع ومخطوط ومنشور، ويبلغ عددها، تبعاً لقائمة المصادر والمراجع، اثنين وتسعين أثراً، وقسمٍ عام وينقسم بدوره إلى قسمين أولهما يتعلق بما كتب عن المرحوم من كتب ومقالات وأعمال ندوات، وثانيهما يتعلق بكتب النقد الأدبي في القديم والحديث.

ثانياً/التصنيف: ينصرف التصنيف هنا إلى آثار عبد الله الجراري وخاصة الآثار المكتوبة، إذ صنفها، تبعاً لمواضيعها، إلى عشرة محاور هي: الدراسات الإسلامية، الدراسات الاجتماعية، الدراسات التاريخية، الدراسات الأدبية، اللغة والنحو، الموسيقى،

الرحلة، السيرة العامة، المقالة، الدراسات التربوية، كما أدرج ضمن كل محور عدداً من الموضوعات.

ثالثاً/الدراسة: بعد التصنيف انتقل الأستاذ الجوهري لدراسة كل محور على حدة معتمداً الآليات التالية: الوصف، العرض، الشرح، التحليل والتعريف خاصة بأعلام الأشخاص والأماكن. ويلاحظ أن هذه الآليات لا ترد بالكتاب مستقلة عن بعضها البعض، بل متداخلة لدرجة يصعب معها أحياناً الفصل بينها، كما يلاحظ أيضاً أن تشغيلها بالكتاب الأول (عبد الله الجراري الأديب) يتميز بالإيجاز لأن المؤلف كان يروم تقديم صورة عامة عن أدب الرجل، ومن ثم لم يهتم بالتفاصيل ولهذا لم تحظ مذكرات عبد الله الجراري سوى بفصل واحد من الكتاب لا يتجاوز عدد صفحاته اثنتي عشرة صفحة لا غير في حين خصص المؤلف الجزء الأول من كتاب «المذكرات في الأدب المغربي، هذه مذكراتي لعبد الله الجراري»[86] لدراسة نفس الموضوع في أزيد من ثلاثمائة صفحة، فكيف درس الأستاذ الجوهري مذكرات عبد الله الجراري ؟

لنسجل أولاً أن الكتاب الأول وظف مصطلح السيرة الذاتية، لأن المؤلف لم يكن يميز آنذاك بين مصطلحي السيرة الذاتية والمذكرات، لكنه وظف في الكتاب الثاني مصطلح "مذكرات"، لا لأن عبد الله الجراري استعمل نفس المصطلح عنواناً لكتابه، بل لأنه المؤلف (الجوهري) أصبح واعياً بالفرق بين المصطلحين، ولذلك اجتهد في التمييز بينهما رغم تداخلهما والخلط بينهما لدى كثير من الدارسين.

قسم المؤلف دراسته للمذكرات إلى أربعة أبواب تنحل إلى فصول تتوزع إلى مجموعة من المباحث.

وهكذا خص الباب الأول بفصوله الثلاثة لتحديد مفهوم المذكرات والسيرة الذاتية لأجل رفع الالتباس الحاصل بينهما، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن المذكرات في الأدب العربي قديمه وحديثه ليخلص لدراسة المذكرات في الأدب المغربي الحديث.

[86] صدر في ثلاثة أجزاء ضمن منشورات النادي الجراري سنة 2013، خصص الأول للدراسة أما الثاني والثالث فخصصا لتحقيق المذكرات.

ويعتبر هذا الباب بمثابة مدخل لدراسة مذكرات عبد الله الجراري، إذ بعد أن اطمئن المؤلف إلى وضع معطيات تمكن القارىء من موضعة المذكرات ضمن إطارها العام، انكب على دراستها معتمداً توسيع نفس الآليات السالفة الذكر، فقسمها إلى مجموعة من الموضوعات مستئنساً في ذلك بالعناوين التي وضعها المؤلف لمقاطع مذكراته، وينتهي قارىء دراسة الجوهري للمذكرات إلى نتيجتين هامتين:

- الأولى قدرة الدارس على استنباط وتحليل كافة موضوعات المذكرات التي جردها من متن الدراسة؛

- الثانية تعدد اهتمامات عبد الله الجراري ما جعله امتداداً لذلك الصنف من العلماء العرب القدماء الذين ألفوا في فنون شتى، غير أن ما يلاحظ هو ارتباط عمل الرجل بالعمل، ما يعني أن المعرفة لديه لم تكن تطلب لذاتها ومن أجل ذاتها لا غير، بل لما تنطوي عليه من قدرة على التغيير، ولعل هذا ما جعل الأستاذ الجوهري ينعت المرحوم عبد الله الجراري بالأديب، لا لأنه كتب في أجناس أدبية كالمقالة والمسرحية والنقد الأدبي والمذكرات، بل لأنه يصدر في كتابته عن مجموعة من القيم كالمواطنة والتسامح والعدل والمحبة بشتى تمظهراتها، ما يعني أن المرحوم عبد الله الجراري كان يومن بأن للأدب دوراً تربوياً يتمثل في بناء شخصية الفرد وتربيتها على القيم الفاضلة.

يستخلص من هذا العرض أن السبب الثاوي خلف اهتمام الأستاذ الجوهري بشخصية العلامة عبد الله الجراري يعود أساساً إلى النزعة الوطنية عندهما معاً، ولذلك حرَص الأستاذ الجوهري على إبرازها من خلال المذكرات وغيرها من مؤلفات الرجل، معتمداً في ذلك على مجموعة من الآليات التي سبق بيان طرق اشتغالها، وقد فتح تحقيق ودراسة الأستاذ الجوهري لمذكرات عبد الله الجراري آفاقاً واسعة لدراسة صور من حياة عينة من مثقفي مدينة الرباط في القرن العشرين وما تنطوي عليه من أبعاد اجتماعية وسياسية ودينية وثقافية وربط كل ذلك بحركية المجتمع المغربي في تلك الحقبة الهامة من تاريخ المغرب.

صحيح أن الأستاذ الجوهري عرض لبعض ذلك في دراسته للمذكرات لكن انشغاله بتحقيق النص وتخريج معطياته وإشاراته، حال دون ربط المذكرات بالمجتمع المغربي واستخلاص ما يمكن استخلاصه من نتائج خاصة وأن الإعجاب الشديد للأستاذ الجوهري بشخصية العالم عبد الله الجراري جعل قراءته لتراث الرجل قراءة عاشقة ولعل هذا ما يفسر هيمنة التبرير على التفسير، كما أن الانشغال الشديد للأستاذ الجوهري بالتعريف بالأعلام الواردة بالمذكرات طبع دراسته بالنزعة التوثيقية التي استنفذت جهوده وحالت دون ربط المذكرات بالأبعاد المذكورة على نحو واضح ومباشر.

وأفترض أن الأستاذ الجوهري على بينة اليوم من أن مذكرات عبد الله الجراري مازالت في حاجة لمزيد من القراءة بناء على ما قدمته دراسته من نتائج.

وقد أدت العشرة العلمية الطويلة التي جمعت الأستاذ الجوهري بآثار عبد الله الجراري، إلى اقتران اسميهما معاً في الوسط الأكاديمي بالمغرب، فأصبحا متلازمين لا يذكر أحدهما دون حضور الثاني، ولهذا يعد هذا التكريم تكريماً مزدوجاً، تكريماً للأستاذ الجوهري الحاضر بيننا، وتكريماً لذلك الغائب-الحاضر عبد الله الجراري رحمة الله عليه.

* * *

الوعي بالكتابة واختراق النص المذكراتي

د. عبدالسلام الطاهري*

بسم الله الرحمان الرحيم

أستاذي الفاضل سيدي عباس الجراري

عمدةُ الأدب المغربي

السادةُ أعضاءُ النادي الجراري

السادة روادُ ومُحِبو النادي

يُسْعدني كثيراً بمناسبةِ تَكريمِ الصديقِ العزيزِ، الدكتورِ مُصطفَى الجَوهري، الذِي تَربِطنِي بِه صدَاقةُ الرُّفْقةِ والأُخُوةِ، منذُ بدايةِ التِّسعينِيات، أنْ أُساهمَ فِي هَذا التكريمِ عُربوناً ووفاءً لصَداقَتِنا، وعِرفاناً بِجُهودِه الجَبارةِ فِي مجالِ التعليمِ والتكوينِ والتأطيرِ والإشرافِ، الذِي سَاهَمْنا فيهِ جميعاً بالمدرسةِ العُليا للأساتذةِ، وفِي هذهِ المناسبةِ المتميزةِ يُشرفنِي أنْ أُقدمَ قراءةً مُختصرةً فِي كتابِه: المُذكراتُ فِي الأدبِ المغربِي، "هذهِ مُذَكراتِي" للمرحومِ العلامةِ عَبدِاللهِ الجرارِي، تَحقيقٌ ودراسةٌ، الصادرِ ضِمْنَ منشوراتِ النادِي الجرارِي، تحتَ رقمِ 60(سِتّين)،انتقيتُ لها عنواناً هو" الوَعيُ بالكتابةِ واختراقُ النصّ المذكراتِي"، رغبةً منِي فِي اتخاذِ هذه القراءةِ هديةً وتعبيراً عنْ مدَى محبتِي وتقديرِي لصديقِي الجوهرِي أولاً، ودعوةً صادقةً له بِالصحةِ والعافيةِ والسعادةِ ثانيا، وقِراءتِي تَنْبَنِي على مُقاربةِ ثلاثةِ مَحاورَ مَركزيةٍ فِي هذا الكتابِ، مِن خلالِ الحديثِ عن كيفيةِ تَقديمِ الأستاذِ الجوهرِي لإشكالِ مفهومِ المُذكراتِ، وضبطِ خصائِصِها ومُميزاتِها، ثُم عنْ طبيعةِ القضايَا الواردةِ في مذكراتِ المرحومِ العلامةِ عبدِاللهِ الجرارِي، معَ طرْحِ نوعيةِ المْنهجِ المُوظفِ في دراسته للمذكراتِ الجراريةِ، وأن تقديمَ قراءتِي بهذهِ المناسبةِ ستَكُونُ

* أستاذ جامعي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

وسيلةً لِأُذكركُمْ بأهميةِ هذا الكتابِ، الذِي يحْتَلُّ مكانةً ثَمينةً فِي حقلِ أدبِ المذكراتِ فِي المغربِ، وهُو يتكونُ مِن ثلاثةِ أجْزاءٍ تضمُّ الدراسةَ والتحقيقَ، واختيارِي لهذَا الكتابِ دونَ غيْرِه مِن مؤلفاتِه الأخرى، يعودُ إلى أهميتِه في الدراساتِ المغربيةِ أولاً، وإلى تقْديرِي لِصاحبِ هذِه المذكراتِ، الذِي جمعَ فِي ثَناياها عِدةَ قَضايا لها دلالاتٌ وأبعادٌ ثانياً، وكَذا أهميةِ تحقيقِ ودراسةِ هذِه المُذكراتِ ثالثاً، لأنَّ الأستاذَ الجوهرِي قدْ أتْحفَ المكتبةَ المغربيةَ بهذَا الكتابِ القَيِّمِ، ومَكَّن بذلِك الباحِثينَ والمُهتمينَ مِن مَرجعٍ مُهِمٍّ عنْ أدبِ المذكراتِ في المغربِ ، مِن خلالِ تَناولِه وتَركيزِه على مُذكراتِ العلَّامةِ المرحومِ عبدِاللهِ الجرارِي، خاصةً أنَّ أدبَ المذكراتِ يُمثلُ شكلاً مِن أشكالِ الكتابةِ الأدبيةِ الراقيةِ، المُتميزةِ فِي جِنسِها حيثُ تَجمعُ فِي ثَناياها بينَ السيرةِ والتاريخِ والترجمةِ والتوثيقِ والتدوينِ.

الحضورُ الكريمُ

إنَّ المتأملَ في كتابِ الدكتورِ مصطفَى الجوهرِي يَجدُ بَعدَ تقديمِ أستاذِنا الفاضلِ عباسِ الجرارِي، الذي أشادَ بهذا العملِ، لِما لهُ منْ وقعٍ جميلٍ في نفسِه وفكرِه، واعتزَّ بإصدارِ هذه المذكراتِ، ضمنَ ما ينشرُه النادِي الجرارِي، كمَا نوَّه بالأستاذِ الجوهرِي وبجهودِه العلميةِ، هذا الكتابُ يَتكونُ مِن ثلاثةِ أجزاءٍ، الجزءُ الأولُ خاصٌ بالدراسةِ، والجزءُ الثاني والثالثِ خاصٌّ بتحقيقِ متْنِ المُذكراتِ، فالجزْءُ الأولُ يتكوَّنُ منْ مُقدمةٍ وأربعةِ أبوابٍ وخاتمةٍ، فَفِي المقدمةِ يُثيرُ الباحثُ أسبابَ اهتمامِه بأدبِ المذكراتِ ،ومدَى خُصوصيتِه داخلَ الأجناسِ الأدبيةِ الكُبرَى بصفةٍ عامةٍ ، وأدبُ المذكراتِ عندَ المرحومِ العلامةِ عبدِاللهِ الجرارِي مِن خِلالِ " هذهِ مُذكراتِي" بصفةٍ خاصةٍ، كمَا ذكرَ أسبابَ ودوافعَ اختيارِه لهذا الموضوعِ ،الذِي اتخذَه موضوعَ أطروحتِه الجامعيةِ، إذْ قالَ في هذَا السياقِ : " إنَّ اختيارَ هذِه مذكراتِي القصدُ مِنه استكمالَ الصورةِ التِي رسمْناها للعلامةِ عبداللهِ الجرارِي كأديبٍ مِن طرازٍ رفيعٍ ، حقَّقَ مُعادلةً فِكريةً تجمعُ بينَ علومِ الدينِ التي ثَقِفَها وخَبِرَها، وبينَ الأدبِ الذِي مارسَه عنْ درايةٍ وتَمَكُّنٍ وإبداعٍ، مِمَّا تَشهدُ بهِ مُذكراتُه التِي تَنْطِقُ بالصورةِ التِي رُمْنَاها له ،باعتبارِها المادةَ الغزيرةَ التِي تُفيدُنا في تَلَمُّسِ معالمِ شخصيتِه الفكريةِ، والأدبُ فِي طليعتِها يَستمدُ مشروعيتَه في الإشعاعِ الثقافِي لذاتِ

الكاتبِ "([1]) وهذِه الأجزاءُ الثلاثةُ هيَ أصلُ الأطروحةُ التي ناقشَها فِي كليةِ الآدابِ بِمدينةِ المحمديةِ، تحتَ إشرافِ د. حسن جلاب و د. محمد الظريف. ويُمكنُ أنْ نطرحَ السؤالَ التالِي: كيفَ عالجَ الأستاذُ الباحثُ مفهومَ وإشكالَ جِنسِ المذكراتِ؟ هذا التساؤلُ يَقودُنا إلى مقاربةِ المحورِ الأولِ .

المحورُ الأولُ: إشكالُ مفهومِ أدبِ المذكراتِ

لاَحظَ الأستاذُ الجوهرِيُّ[2] أنَّ المذكراتِ في الدلالةِ والاصطلاحِ تُشكِّلُ صُعوبةً في التحديدِ والتمْيِيزِ، لِتداخلِ وتَقارُبِ أجناسٍ أدبيةٍ داخلَ هذا الحقلِ، وهذَا ما دفعَه إلى بلورةِ تنظيرٍ متكاملٍ، سَعى مِن خلالِه إلى ضبطِ مفهومِ أدبِ المذكراتِ، حيثُ قدَّمِ تعريفاً دقيقاً لأدبِ المذكراتِ إذْ قالَ: " فالمذكراتُ نصٌّ موسوعيٌّ تَطبعُه الخصوبةُ والغزارةُ في طُروحاتِه وأبعادِه ومُعطياتِه، وهُو من جانبٍ أساسِي، نصٌّ يَجمعُ بينَ مَحطاتِ الذاتِ / الحياةِ الشخصيةِ في تجارِبِها ومُمارستِها، وشهادتِها ومشاهدتِها، وإبداعِها وتأثيرِها وتأَثُرِها وتفاعلاتِها، وبينَ محطاتِ الثقافةِ بكلِّ علومِها وأجناسِها، وفضاءاتِها وحِواراتِها وتراكماتِها، وبين محطاتِ المجتمعِ أو الآخَرِ في كلِّ تشكلاتِه وأحداثِه وتناقُضاتِه"[3].

وهذا تعريفٌ شاملٌ موجزٌ للمذكراتِ، ولكنَّ الباحثَ فطِنَ إلى ضرورةِ التمييزِ بينَ نوعيةِ المذكراتِ، وهذا ما جعَلهُ يؤكدُ على أهميةِ المذكراتِ الذاتيةِ، التي تكتسِي أهميتَها ومشروعيتَها من دلالاتِها وبُعْدِها، باعتبارِها كتابةً ذاتيةً تفرَّعتْ عَنها أشكالٌ من جِنسِها، رغمَ سيطرةِ السيرةِ الذاتيةِ، التجربةِ الشخصيةِ، إذْ لا ينحصرُ في إفرازِ محطاتِ الحياةِ الفرديةِ بكلِّ معطياتِها، بل تتوسعُ عبْرَ مُكوناتٍ متعددةٍ تندرجُ من خلالِها وقائعٌ وأحداثُ الأُسرةِ ضرورةِ التمييزِ بينَ نوعيةِ المذكراتِ ،وهذا ما جعَلهُ يؤكدُ على الأماكنِ والأزمنَةِ، والأشخاصِ والذكرياتِ والوقائعِ والمواقفِ والتحولاتِ والشهاداتِ والانفعالِ والتَّفاعلِ، ومِن المعروفِ أنَّ كلَّ شخصٍ في هذِه الحياةِ لهُ ذكرياتٌ متنوعةٌ، ترتبطُ بِما هو اجتماعِي

[1] الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي، ج 1، ص 11، منشورات النادي الجراري، مط، أبي رقراق 2013.

[2] الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي،ج1 ص11 منشورات النادي الجراري ، مط. أبي رقراق 2013

[3] نفسه، ص، 15.

أوْ فكرِي أوْ علمِي أوْ سياسِي، حسبَ ظُروفِه وعلاقاتِه بالأحداثِ العامةِ، سواءٌ كان مُساهِماً في صِناعتِها أو تحتَ تأثيرِها، حيثُ تُصبحُ هذِه المذكراتُ حصيلةَ تجربةٍ في الحياةِ، ولكنَّ الأستاذَ الباحثَ رأى أنَّ العبرةَ في تدوينِها على شكلِ مذكراتٍ أو يومياتٍ أو اعترافاتٍ كما فعلَ المرحومُ العلامةُ عبدُاللهِ الجرارِي.

وهذا الوعيُ بالكتابةِ جعلَه يستنتجُ أنَّ الإشكالَ الأَجْناسِي لِمفهومِ المذكراتِ ناتجٌ عنْ مدى تداخلِها مع أجناسٍ أدبيةٍ أُخرى، فاستعرضَ بذكاءِ الدارسِ المُتمرسِ الدلالةَ الاصطلاحيةَ لأدبِ المذكراتِ بصفةٍ عامةٍ، عبْر أصولِها وامتداداتِها، والمذكرات الشخصية بصفة خاصةٍ، وما تمتازُ به من خصائصَ تجعلُها جِنساً قائمَ الذاتِ، ثمَّ ارتأى أنْ يُقربَ العناصرَ التي تحكمتْ في منهجِ الكتابةِ الذاتيةِ عامةً والمذكراتِ خاصةً، وهذا ما دفعَه إلى طرحِ جوانبَ مِن تقاليدِ الكتابةِ المذكراتِيةِ في الأدبِ المغربِي، وما صاحبَها مِن أشكالٍ تعبيريةٍ لا تخرجُ عنْ جُبتِها، إذَن ما هي القَضايا الأساسيةِ التي استَخْلصها من" هذه مذكراتي"بعدَ عمليةِ الفحصِ والتأطيرِ والتنظيرِ؟ فالجوابُ عنْ هذا التساؤلِ يجعلُنا نَنخرطُ سِياقياً في المحورِ الثانِي.

الحضور الكريم

المحور الثاني: طبيعةُ القضايَا الواردةِ في المذكرات الجرارية

هذا التساؤلُ يُساعدنا على مقاربةِ أبوابِ الكتابِ وفصولِه، التي عالجَها الأستاذُ الجوهريُّ بذكاءِ الباحثِ المتمكنِ ،والدارسِ المُمارسِ، الذي اخترقَ النصَّ المذكراتِي، لِامتلاكِهِ للعُدةِ العلميةِ والمنهجيةِ الدقيقةِ في البحثِ الأكاديمِي، ويَهمنا ما بسطَه في الجزءِ الأولِ والثانِي والثالثِ في كتابِه عنْ مذكراتِ المرحومِ العلامةِ عبدِاللهِ الجرارِي، التِي اقتضتْ مِن الباحثِ أنْ يُخصصَ الجزءَ الأول للدراسةِ بما فيها الجانب النظري وتحليلِ واستنتاجِ ما وردَ في متنِ "هذهِ مذكراتِي"، أما الجزءَ الثانِي والثالثِ فقدْ خصَّهما لِتحقيقِ متنِ المذكراتِ الجراريةَ، وتحديدِ المعالمِ والتوجهاتِ العامةِ في إطارِ حضورِ الذاتِ المذكراتيةِ، في علاقتِها بالتاريخِ والرحلةِ والمهامِ التربويةِ، وبالقضايَا الوطنيةِ والسياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، والصحيةِ والعلميةِ والفِقهيةِ، هذهِ العناصرُ بسطَها فِي البابِ

الثانِي والثالثِ، أما البابُ الرابعُ فقد خصَّه للحديثِ عنِ البُعدِ الأدبِي والفنِي، وعنْ نشاطِ صاحبِ المذكراتِ في مجالِ المسرحِ والشعرِ والفنِّ والنقدِ واللغةِ، ولتوضيحِ ذلك يُمكن أن نتساءلَ، ماهي القضايَا الكُبرى المطروحةِ في الأجزاءِ الثلاثةِ منْ كتابِ الأستاذِ الجوهريِ ؟

1- قضيةُ المذكراتِ والبعدُ الأدبِي والفنِي:

تبعاً لأجزاءِ الكتابِ، يمكنُ أن نقاربَ هذه القضايَا المركزيةِ المطروحةِ فيه، من خلالِ ما وردَ في أبوابِ الكتابِ، إذْ نجد الأستاذَ الجوهرِي قدْ سعَى في البابِ الرابعِ من كتابهِ الجزءِ الأولِ الخاصِ بالدراسةِ إلى مقاربةِ "المذكراتِ والبعدِ الأدبِي" ،التي استخْلَصها من خلالِ استقرائِه للمذكراتِ الجراريةِ، مُؤكداً على وُجودِ ضوابطَ اعتمدَها المرحومُ العلامةُ عبدُاللهِ الجرارِي، قدْ تحكمتْ في أسلوبِ المذكراتِ وفي بِنائِها ومساراتِها، وأنَّ كاتبَ هذهِ المذكراتِ كان مُتحكماً في أسلوبِه ولغتِه، وكانَ مَوضوعياً في توثيقِه ووصفِه وتواصلِه مع نفسِه ومع الآخرِ، لأنَّه في نظرهِ كان مَوسوعِياً، إذ كانَ منَ المهتمينَ بالإبداعِ المسرحِي، وبالإبداعِ الشعرِي، وبالفنِّ الموسيقِي والطربِ، بالإضافةِ إلى اهتمامِه بالممارسةِ النقديةِ الإجرائيةِ، وبالبُعدِ المنهجِي الفنِي، ولاحظَ الباحثُ أنَّ هذهِ الخصائصَ تجَلتْ في بناءِ المتنِ المذكراتِي، وفي المرجعيةِ والفضاءِ والكتابةِ الفنيةِ، وغِنى المذكراتِ بمعلوماتٍ ومعارفَ متعددةٍ ،في مجالِ السيرةِ الذاتيةِ وترجمةِ الأعلامِ، ووصفِ الفضاءاتِ والأمكنةِ، والتوثيقِ وتأريخِ الأحداثِ والوقائعِ، إذن كيفَ قدمَ الباحثُ معالمَ التوجهاتِ العامةِ في المذكراتِ الجراريةِ؟

2 - قضيةُ معالمِ التوجهاتِ العامةِ في هذهِ مذكراتِي:

قدمَ الباحثُ في البابِ الثانِي من كتابِه الجزءَ الأولَ عنْ مذكراتِ المرحومِ العلامةِ عبدِ اللهِ الجرارِي، "هذهِ مذكراتِي" معالمَ التوجهاتِ العامةِ، التي غاصَ بحثاً عن مكوناتِها وملامحِها من خلالِ استقرائِه لمتنِ المذكراتِ الجراريةِ الجزءِ الأولِ منها، التي تناولَها بالتحقيقِ في الجزءِ الثانِي من كتابِه، تحتَ عنوانِ: "منْ فجرِ حياتِي إلى 1944م"، حيثُ استنتجَ منَ هذا الجزءِ المذكراتِي ما يَسِمُ المذكراتِ الجراريةِ على مستوى دوافعِ كتابتِها، ودلالةِ عنوانِها وفضائِها، الذي ينحصرُ في الزمانِ والمكانِ، الذي عاشتْه الذاتُ المذكراتيةُ

"جذوراً وطفولةً وشباباً وتكويناً وأُبوةً، وعلاقةً ومغامرةً وسلوكاً وتجربةً"[1]، ثمَّ ما يميزُ مكوناتِ الذاتِ المذكراتيةِ في مسارِها التعليمِي وعلاقاتِها الاجتماعيةِ وتجاربِها الحياتيةِ، من الجذورِ إلى الأُبوةِ، انطلاقاً من هذهِ التوجهاتِ كيف بدَا البُعدُ الفكريُّ في "هذه مذكراتِي"؟

3- قضيةُ البُعدِ الفكرِي في المذكراتِ الجرارِيةِ:

كشفَ الباحثُ على الأبعادِ الفكريةِ في المذكراتِ الجرارِيةِ، عند ما خصَّ الجزءَ الثالثَ من كتابِه لتحقيقِ الجزءِ الثانِي من المذكراتِ الجرارِيةِ، "من سنةِ 1944 إلى سنةِ 1950"، وكان هدفُه من ذلك هو تحقيقُ المتنِ، ثمَّ الرغبةُ في إبرازِ الأبعادِ الفكريةِ المتعددةِ في " هذه مذكراتِي"، التي قاربَ فيها مدَى اهتمامِ الذاتِ المذكراتيةِ بالتأريخِ وعنايتِها بالتراثِ الحضارِي، والمدنِ والقبائلِ والأماكنِ والعمرانِ والدولِ، وبرجالِ "الفكرِ والأدبِ والوطنيةِ، وبالأحداثِ الوطنيةِ الكُبرى، والوقائعِ التاريخيةِ، التي واكبتْ زمنَ المذكراتِ"[2]، حيثُ لاحظَ أنَّ المرحومَ العلامةَ عبدَاللهِ الجرارِي كانَ يتفاعلُ ويتواصلُ معَ الذواتِ المغربيةِ في الفضاءاتِ والأمكنةِ المختلفةِ، سواءٌ في رحلاتِه وسفرِه عبرَ مدنٍ مغربيةٍ كثيرةٍ، أو في انخراطِه مع محيطِه وتعاملِه مع أحداثِ عصرِه، وعلاقاتِه ومواقفِه وانفتاحِه على عوالمَ المعرفةِ أخذاً وعطاءً، وبطبيعةِ التجاربِ الذاتيةِ ، وبدورِه التربَوي تأطيراً وتدريساً وممارسةً وترشيداً وتفتيشاً وتأليفاً، ورأى الباحثُ أن اهتمامَ صاحبِ المذكراتِ بالظواهرِ التربويةِ نابعٌ منْ عشقِه للتعليمِ ومنْ اقتناعِه بدورِه في التنميةِ والنهضةِ، كما استنتجَ مدى إخلاصِه الصادقِ لوطنِه حينَ اهتمَّ بالقضايَا الوطنيةِ والسياسيةِ، في طليعتِها مقاومةُ الاستعمارِ الفرنسِي،" وتفاعلِه مع جميعِ القضايَا الوطنيةِ، ومع رجالاتِها وشرائحِها وأوضاعِها وأزمتِها ونتائجِها، وطُروحاتِها التحرريةِ ذاتاً وعرشاً ووطناً "[3]، وكذلك مع القضايَا الاجتماعيةِ التي تَهُمُّ الأطفالَ والشبابَ والمرأةَ، والتقاليدَ والعاداتِ المتوارثةِ، والرغبةِ فيا الانفتاحِ على الحداثةِ مع التمسكِ بالمقوماتِ الحضاريةِ الأصيلةِ، وهذا لم

[1] الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي،ج1 ص17 ، م.س.

[2]. الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي،ج1 ص 17 م.س

[3]. نفسه، ص 18.

يمنعِ الذاتَ المذكراتيةَ من العنايةِ بمظاهرِ الحياةِ الاقتصاديةِ المرتبطةِ بالصناعةِ والتجارةِ والغلالِ والمالِ، وما واكبَ ذلك من نشاطٍ وتفاعلٍ وتحولاتٍ، كما رصدَ قضايَا جغرافيةٍ وجيولوجيةٍ وعمرانيةٍ ومائيةٍ وصحيةٍ، في كثير من المدنِ المغربيةِ على رأسِها رباطُ الفتحِ، وقدمَ طُروحاتٍ فِي شؤونِ الصحةِ والنظافةِ والبيئةِ، وسُبلِ العنايةِ بصحةِ الإنسانِ ومحاربةِ المظاهرِ المُسببةِ للتلوثِ والأمراضِ، كما اعتنَى بقضايَا معرفيةٍ وفقهيةٍ في مجالِ علومِ الدينِ والفقهِ والقرآنِ الكريمِ والتصوفِ والفلسفةِ والإفتاءِ والقضاءِ والعلومِ البحتةِ وغيرِها من المعارفِ"[1]، قد ساهمتْ فيها الذاتُ المذكراتيةُ مساهمةً فاعلةً تَنِمُّ عن ثقافةِ العالِمِ الوظيفي المُلتزمِ بجميعِ قضايَا الذاتِ الجماعية.

الحضورُ الكريمُ

أختمُ قراءتِي في كتابِ صديقِنا بالتساؤلِ التالِي :ما هو المنهجُ الذي سلَكه في عرضِ القضايَا السابقةِ، وما قيمةُ هذا الكتابِ في مجالِ دراسةِ أدبِ المذكراتِ؟

المحور الثالث: المنهجُ الموظفُ في الدراسةِ

قد حددَ الأستاذُ الباحثُ خُطةَ عملِه ومنهجِه ،الذي يتناسبُ منهجياً مع سياقِ وتوجهاتِ المذكراتِ في أبعادِها الفكريةِ والأدبيةِ والفنيةِ، لأنَّ المتتبِعَ لأبوابِ وفصولِ الكتابِ سيجدُ أن الباحثَ قدْ توسلَ بالمنهجِ التاريخِي، الذي سخَّره بحِنكةٍ فائقةٍ في دراسةِ تطورِ مُصطلحِ أدبِ المذكراتِ والسيرةِ الذاتيةِ والرحلةِ، معَ تتبعِ الدراساتِ العربيةِ والمغربيةِ والكتاباتِ المذكراتيةِ قديمِها وحديثِها، وذكرَ نماذجَ منها، ثم ربَطَ مذكراتِ المرحومِ عبدِاللهِ الجرارِي في سياقِها التاريخِي والاجتماعِي، ووضَّحَ مدى علاقتِها بالتاريخِ والأحداثِ التي عاشهَا صاحبُ المذكراتِ، كما تظهرُ مؤشراتُ هذا المنهجِ الذي تبنَّاه الباحثُ في رصْدِ مضامينِ المذكرةِ، واستخْلاصِ قضايَاها الكُبرى، عن طريقِ الاستقراءِ والاستدلالِ والوصفِ، إذْ اعتَبر " هذه مذكراتي" ثمرةَ مؤَلِّفِها ،وأنَّه يُمثلُ صورةَ ثقافةِ عصرِه وبيئتِه، ويتبلورُ ذلك من خلالِ تقصِي الأستاذ الجوهرِي للحياةِ الشخصيةِ

[1] نفسه، ص، 19.

والعائليةِ للمرحومِ عبدِالله الجرارِي، وتتبعِ حالاتِه وعاداتِه وآرائِه ومواقفِه، إلى جانبِ اطلاعِه ومعرفتِه الدقيقةِ على متنِ المذكرةِ ، وتحقيقِه ومقارنتِه، وتحديدِ علاقتِه بشروطِ إنتاجِه، وهذه الميزةُ عندَ الباحثِ جعلتْه يأخذُ بالروحِ العلميةِ المبنيةِ على حسنِ الاستقراءِ والاستنتاجِ والموضوعيةِ، حيثُ رأى أن الترتيبَ المنهجِي الذي بنَى عليهِ صاحبُ "هذه مذكراتِي"، مضامينَه دفَع الباحثَ إلى التأكيدِ على أنَّ مذكراتِ المرحومِ عبدِالله الجرارِي "ثَريةٌ في مضامينِها وطروحاتِها وخصائِصها"[1]، لاعتمادِها على مرجعياتٍ متعددةٍ منها: مرجعيةٌ ذاتيةٌ ومرجعيةٌ ثقافيةٌ، ومرجعيةٌ شفويةٌ، وأنَّ فضاءَ هذه المذكراتِ قدِ ارتبطَ بفضاءِ مدينةِ الرباطِ ارتباطاً حميمياً، وأن صاحبَها قدِ استوعبَ " عُمقَ اللحظةِ وعمقَ الواقعةِ كما عاشَها وعاينَها، وكما استوعبَتْها الذاكرةُ"[2]، وهذه الميزةُ أكدَ عليها الباحثُ، وأقرَّ أن صاحبَها كانَ موضوعياً في توثيقِه ووصفِه وتواصلِه مع نفسِه ومع الآخرِ.

توظيفُ المنهجِ التاريخِي بهذه الطريقةِ الإيجابيةِ، ساعدَ الأستاذَ الجوهريَ في دراستِه وتحقيقِه بشكلٍ أكاديميٍّ مُتميزٍ، وهذا يعكسُ مدى وعيِ الدارسِ الناقدِ المُتمكنِ من ممارسةِ القراءةِ العالمةِ للنصوصِ المذكراتيةِ، فتَمكنَ من الإحاطةِ بكلِّ عُنصرٍ من عناصرِ الأبوابِ الأربعةِ ،التي تَنبنِي عليهَا الدراسةُ والتحقيقُ، وأن الطرحَ الذي ذهبَ إليه هو طرحٌ علميٌّ، كانتْ غايتُه هي تحقيقُ متنِ المُذكراتِ ،وتوضيحُ تقاليدِ الكتابةِ والخصائصِ الفنيةِ في أدبِ المذكراتِ ،عند المرحومِ العلامةِ صاحبِ " هذه مذكراتِي"، وما تمتازُ به منْ خصوصيةٍ، للتأكيدِ على أهميتِها الفنيةِ وأبعادِها الفكريةِ وقضايَاها الوطنيةِ والسياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والعلميةِ والفقهيةِ، وهو بهذه الدراسةِ الرزينةِ قد قدمَ للمكتبةِ المغربيةِ مرجعاً مهماً، ونموذجاً من الدراساتِ الأكاديميةِ المتميزةِ عن أدبِ المذكراتِ المغربيةِ، وفي هذا السياقِ قالَ عنْه أستاذُنا الفاضلُ في تقديمِه لكتابِ الأستاذِ الجوهرِي: "وذلِكُم مَا نهضَ به أخي وصديقِي الأستاذُ الدكتورُ مصطفَى الجوهرِي، على نحوٍ قلَّ نظيرُه، ممَّا يستحقُّ به خالصَ الشكرِ والتقديرِ وعاطرَ الثناءِ والتنويهِ"، وشهادةُ أستاذِنا لا تعلُو عليها أيُّ شهادةٍ، وأنا بدورِي أُشيدُ بهذَا العملِ الأكاديمِي وبصاحبِه، وكلُّ

[1] الجوهري، المذكرات في الأدب المغربي،ج1ص299.
[2] نفسه، ص، 304.

مَن يقرأُ هذا الكتابَ سيُلامِسُ مدى أهميتَه على مستَوى التنظيرِ والدراسةِ لأدبِ المذكراتِ، ثم على مستَوى تحقيقِ متنِ " هذه مذكراتي"، والكتابُ من هذا المُعطى العلمِي يُعد بلا مبالغةٍ مرجعاً مُهماً له مصداقيتُه العلميةُ في مقاربةِ أدبِ المذكراتِ تعريفاً وتنظيراً بصفةٍ عامةٍ، وأدبِ المذكراتِ عندَ المرحومِ العلامةِ عبدِاللهِ الجرارِي بصفةٍ خاصةٍ، لأنَّها تمثلُ موسوعيةً نادرةً عنِ الذاتِ المذكراتيةِ والذاتِ الجماعيةِ، ومدَى ارتباطِها بالوقائِع والأحداثِ والمواقفِ ومختلفِ القضايَا الوطنيةِ والسياسيةِ.

وحديثِي عنْ كتابِ الأستاذ الجوهري يترجمُ مدى وعيهِ بالكتابةِ واختراقِ النصِّ المُذكراتي، وختاماً أشكرُ اللجنةَ المنظمةَ التي سهِرتْ على تكريمِ صديقِي الأستاذِ مصطفى الجوهري، كما أشكرُ الحضورَ الكريمَ على حُسنِ الإصغاءِ والمشاركةِ في تكريمِ صديقِنا، والسلامُ عليْكُم.

***

السير وتراجم الرجال
عند الدكتور مصطفى الجوهري

د. السعيد بنفرحي*

إن الكتب الأكثر نفعا هي تلك التي يكتب القُراءُ نصفها؛ يُوسعون الأفكار التي نُقدم لهم بُذورها، ويصححون ما يبدو ناقصا فيها، ويُعززون بتفكيرهم ما يبدو لهم ضعيفا.

فولتير

قبل الخوض في هذا الموضوع لابد من بيان وتحديد ماهية المفاهيم الرئيسة للعنوان وجماعها السير والتراجم.

السيرة لغة واصطلاحا:

السير جمع سيرة والسين واليا والراء أصل يدل على مضي وجريان. وقد انتقلت من المصدرية (السير) إلى الاسمية (السيرة) بإضافة التاء. وقد ذكر أهل اللغة للسيرة أربع دلالات ؛ فقالوا : "السيرة : الضرب من السير، والسيرة : السنة، والسيرة : الطريقة، والسيرة : الهيئة"[1] وهذه الدلالات هي الناظمة لعقد السيرة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للسيرة. ومن الدلالة اللغوية لهذه الكلمة كما تنص معاجم اللغة "التحدث بأحاديث الأوائل، وسير أخبارهم". ويؤيد هذا، الكتاب الذي ينسب إلى ابي إسحاق كعب الأحبار (ت32هـ)، والموسوم بسيرة الإسكندر وما فيها من العجائب والغرائب[2]، والكتاب

* أستاذ باحث، المحمدية.

[1]. لسان العرب، والقاموس المحيط، ومقاييس اللغة مادة سير.

[2]. تاريخ التراث العربي، ج1، فؤاد سزكين

الذي ذكره ابو الفرج الأصفهاني منسوبا ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري (ت69هـ) سيرة تبع وأشعاره[3]. وهذا كما يتضح معنى عام. ولقد انتحت هذه الدلالة نحو الخاص، ولا سيما عند الفقهاء وعلماء الحديث والأخبار فأصبحت تقتصر على المغازي. جاء في المصباح المنير قال الفيومي : "غلب اسم السيرة في ألسنة الفقهاء على المغازي"[4]. وقال فؤاد سيزكين إن أول من استخدم كلمة سيرة مصطلحا دالا على المغازي هو محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ). والظاهر من استقراء العناوين في كتب المصنفات والسير أن الاستعمالين معا تزامنا يؤكد هذا ما ذكره ابن النديم والذهبي من أن عوانة الكلبي (ت147هـ) صنف كتابا بعنوان سيرة معاوية وبني أمية، وأن ابن إسحاق، وهو معاصر له (ت151هـ)، صنف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

والسيرة عند عبد العزيز شرف هي "نوع أدبي يتناول بالتعريف حياة إنسان ما، تعريفا يطول أو يقصر"[6] وهي كما حدد الباحثون نوعان سيرة ذاتية وسيرة غيرية. يمكن تلخيص الفروق بينهما كما حددها الباحثون في :

الأولى ذاتية مع شيء من الموضوعية، والثانية موضوعية مع شيء من الذاتية.. الأولى تكتب بصيغة المتكلم، والثانية بصيغة الغائب. كلاهما فن لا علم. الأولى نقل مباشر، والثانية نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق. في الأولى يقف المترجم موقف الشاهد لا القاضي. وفي الثانية يجمع بين الصفتين. في الثانية من الواجب أن ينقل المترجم صورة المترجَم كما كانت معروفة بين معاصريه، وفي الأولى لا يتقيد المترجم بهذا القيد فما يقوله يقبل على وجهه. الأولى تنبع من الداخل في اتجاه الخارج. والثانية تنبع من الخارج في اتجاه الداخل. الأولى شعر وحقيقة على حد تعبير جوته. والثانية حقيقة فقط[7].

---

[3]. الأغاني ج18. ص. 263. تح عبد الأمير مهنا وآخرين، دار الفكر لبنان – بيروت 1986.

[4]. مادة سير ج1. ص. 299. المكتبة العلمية لبنان – بيروت (د ت).

[5]. أحمد علي آل مريع، السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، كتاب المجلة العربية 178.صص.14-15.

[6]. عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر-مصر 1992.ص.2.

[7]. إحسان عباس، فن السيرة. دار صادر – بيروت ودار الشروق – عمان 1996. ص.112

الترجمة لغة واصطلاحا:

جاء في معجم المعاني الجامع: ترجمة: مصدر ترجم. وترجمة اسم. الجمع ترجمات وتراجم وترجمة فلان : سيرته وحياته. والجمع تراجم. وقدم ترجمة كاملة لحياة الكاتب : ذكر سيرته وحياته. الترجمة الذاتية: سيرة ذاتية يكتبها الإنسان لنفسه. وفي المعجم الوسيط ترجمة فلان : سيرته حياته. والجمع تراجم. هكذا نسجل أن لفظة ترجمة هي الأخرى تدل على تتبع حياة شخص من الأشخاص وأحواله. وذهب يحيى عبد الدايم وغيره من الباحثين إلى أن هذه الكلمة من الدخيل الآرامي. ولقد استعمل هذا الاصطلاح بهذه الدلالة عند ابن المعتز (ت296ه) في كتاب طبقات الشعراء، وعند ابن أبي حاتم (ت327ه) في كتاب الجرح والتعديل، وعند الخطيب البغدادي (ت463ه) في تاريخ بغداد. وعند ياقوت الحموي الذي استعملها في معجمه بوفرة.

ولقد لاحظ أحمد آل مريع أن بعض الباحثين فرقوا بين المصطلحين سيرة / ترجمة على اساس الاستعمال وحده ؛ لأنه ليس في الفروق اللغوية ما يبين الفرق بينهما على وجه التحديد. فاستعملوا كلمة ترجمة حين لا يطول نفس الكاتب فيها. فإذا طال النفس، واتسعت الترجمة سميت سيرة[8]. فالترجمة قد تكون صفحات قليلة أو أسطر معدودة يكتبها الشخص عن نفسه أو غيره. والسيرة تستغرق صفحات أطول لأنها تؤرخ لمرحلة أو مراحل متعددة من حياة المرء.

ويرى إحسان عباس أن كاتب السيرة أديب فنان كالشاعر والقصصي في طريقة العرض والبناء، إلا أنه لا يخلق الشخصيات من خياله (...)وهو كالمؤرخ في قوة النقد، وكالعالم في القدرة على التصنيف والتقسيم، وإذا أنشأ سيرة ووفق في إنشائها حقق غاية كالتي يحققها القصصي، أو زاد عليه، لأنه يمتع قراءه بصورة من الواقع الملموس، ولإعادة الحياة كما عاشها أحد المرموقين في ذهن القارئ، سحر لا ينكر."[9]. بل إن الترجمة

---

[8]. السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، كتاب المجلة العربية 178. الرياض – المملكة العربية السعودية 1432ه، ص، 18.

[9]. فن السيرة، ص. 85.

لشخصية والتأريخ لها فوائد عديدة يلخصها لنا ابن الجوزي في مقدمة شذور العقود قائلا : "إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب، وجلاء للهم، وتنبيه للعقل، فإنه "إن سردت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصصت قصة مفرط خوفت من إهمال الحزم". ويخلص إحسان إلى أن في قول ابن الجوزي دلالة دقيقة وهي اعتقادنا أن التاريخ ليس إلا مجموعة متنوعة من السير[10].

السير وتراجم رجالات الرباط عند الأستاذ مصطفى الجوهري :

بناء على ما سبق، هل ما كتبه الأستاذ مصطفى الجوهري من سير وتراجم دافعها أخلاقي أم تاريخي ؟ وهل نجد في تراجمه اهتماما ولو عارضا بشيء من النواحي الاجتماعية أو لنقل طبيعة الحياة اليومية للعصر الذي عاش فيه المترجم ؟ وما هي الشخصيات التي تناولها بالترجمة ؟ وما الطريقة التي سلكها في كتابة هذه التراجم؟

إذا ما تصفحنا ما كتبه الأستاذ مصطفى عن تاريخ الأدب العربي بالمغرب نصادف كما هائلا من تراجم الأدباء والعلماء والمقاومين مما يدل على عنايته بالتراجم وكتابة سير الرجال، والتعريف بهم وبأعمالهم، حتى لا يطويهم الإهمال والنسيان. "فالأمة التي تحرق جثث رجالها، ولا تعنى بتسجيل أعمالهم. وإذا مضى على وفاة أحد عظمائها ستون سنة لم تستطع أن تتحقق إن كان ذلك العظيم شخصية تاريخية أو خرافية، لهي أمة ضعيفة الإحساس بالتاريخ"[11]. ونحن أمة ضعيفة الإحساس بالتاريخ عبر عن ذلك غير واحد من علمائنا الأفذاذ كمحمد المختار السوسي، وعبد الله كنون، وعبد الله الجراري...وغيرهم. ويبدو أن الأستاذ مصطفى بركوبه هذا المركب الصعب، الذي يروم كتابة تراجم وسير مؤلفين ومقاومين رباطيين في القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة ...هو بذلك يعيد إحياء وبعث التقليد القديم في الحوليات المغربية منذ العصر الوسيط وإلى بداية القرن العشرين....والذي كان يعنى بالتراجم والوفيات وسير الأعلام، مما برع فيه الإفراني،

[10]. فن السيرة، ص. 12.

[11]. فن السيرة.

والقادري، والناصري، والعلامة كنون ، والفقيه عبد الله الجراري والموسوعي عباس الجراري بما ألفاه بشأن العُدوتين وغيرهم كثير.

ويمكن أن نصنف ما كتبه من تراجم تبعا للسياق الذي وردت فيه، وانطلاقا من طريقة التناول إلى :

1. تراجم أدبية وعلمية موجزة كما هو الحال في "المؤلفون الرباطيون ما بعد الاستقلال"، وقد بلغ عدد هذه التراجم سبعة وخمسين (57) ترجمة. ولعل من اسباب اختصار هذه التراجم وإيجازها أنها مساهمة في كتاب جماعي عن الرباط في ذكراها المائوية. فربما لم يكن الحيز يسمح بالتوسع. ولقد كان معيار اختيار المترجم لهم هو الانتماء إلى الرباط والتأليف.
2. تراجم المقاومين الرباطيين وهذه تتميز بالطول نسبيا بعضها توسيع لما جاء في الصنف السابق. وقد بلغت في العد أربعين (40) ترجمة ترجم فيها لرجال المقاومة الرباطيين سواء أكانوا من عامة الناس أم كانوا من النخبة؛ أدباء وعلماء. ولقد اشترط معيارا المقاومة والانتماء إلى الرباط ولادة أو إقامة ؛ فكل من توفر فيه هذان الشرطان ترجمه. وفي ما يلي جدول توضيحي للمترجمين :

المترجمين	ولادة	إقامة
عباس التيناني- عبد الكريم الفلوس – عبد الله الجراري – عبد السلام اكديره – محمد العبريدي – محمد عليوة – احمد بلافريج – عبد القادر بنيوسف - محمد اليزيدي – الهاشمي بناني – المعطي غنام – علال كراكشو – محمد الرشيد ملين – محمد بن احمد حكم – عبد الله العياشي – محمد بن عبد العزيز بنعبد الله – عبد الفتاح سباطة- محمد الحلو – محمد بن الراضي – عبد العزيز بنعبد الله – علي بركاش – العربي بنعبد الله -	22	
محمد غازي (مكناسي) - رقية الأمرانية (مكناسية) – احمد بناني (فاسي) – محمد الجوهري (من تغزوت) - محمد الإدريسي (من تغزوت) - علال بن عبد الله (من اولاد صالح) -		06

3. تراجم موسعة مثل ترجمة عبد الله الجراري الموزعة على عدد من الكتب والمقالات نذكر منها :

- عبد الله الجراري أديبا
- رحلات عبد الله الجراري الداخلية من خلال مذكراته ؛ التجربة والتواصل
- الرحلة السطاتية أو السكيرجية
- النادي الجراري في الفترة الأولى
- المذكرات في الأدب المغربي هذه مذكراتي لعبد الله الجراري

عطاءات الأستاذ مصطفى غنية من حيث عنايته بالتأريخ لشخصيات رباطية، كان لها حظها في الجهاد والمقاومة وفي التأليف المتنوع والثري، مبرزا مميزاتها، وما جعلها خليقة بالاهتمام والتأريخ والدراسة. لنستمع إلى ما قاله الباحث جمال بنسليمان عن جهود الأستاذ مصطفى في التاريخ للأسرة الجرارية "كان المؤهل لإظهار الشجرة الجرارية في أبهى حلة وأجمل صورة، وإبراز مكانة علَّامَتها مؤسس النادي الجراري من خلال وجه الأديب المشرق الوضاح الذي هام هياما بالشعر والمسرح، والمذكرات والرحلات، وخاض في أدب الخطابة وفتوحات المساجلات، ودنيا المقال النقدي والأدبي واللغوي"[12]. ويقول : مفصلا حكمه على عمل الأستاذ مصطفى عن علَّامة هذه الأسرة العلمية العريقة والأصيلة : "التقط بدقة واحترافية مبهرة نبضاتها ورعشاتها؛ نشأة وتربية ومكونات ثقافة، وتحصيل وإنتاج وممارسة، ليظهر للمتلقي المغربي والعربي قيمة هذه الشخصية الفذة التي خدمت الوطن والعروبة واللغة والدين والأدب في مفهومه الشمولي الواسع"[13].

وإذا كان الأستاذ الجوهري وُفق أيما توفيق في الترجمة للأسرة الجرارية، وخاصة عُمدتها ومؤسسها سيدي عبد الله، رحمة الله عليه، فهل بنفس الطريقة تناول بقية الأعلام الرباطيين، خاصة، وأنه كما يقول الدكتور محمد نجيب لوباريس محيط

[12]. علامات مغربية بصيغة المذكر والمؤنث، منشورات النادي الجراري 75. مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، 2017. ص. 130

[13]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بأسمائهم وأخبارهم ؟ لنستمع إلى ما قاله في حقه في معرض شهادته عنه ، أثناء اشتغاله ضمن الخلية الأولى المحضرة للجمع التأسيسي لجمعية رباط الفتح، أواخر ثمانينيات القرن العشرين : "كنت أعاين عن قرب سعة إحاطته بأخبار الرباط، وتاريخ مآثره ومعالمه وسيرة عوامه وأعيانه، وإبداعات أدبائه وعلمائه، وجواهر رجاله وشعرائه، وملحمات رجاله ونسائه، من الذين أسسوا ونظموا الحركة الوطنية في هذه الحقبة الخلاقة"[14].

الرجل كما يتبين من الشهادة أعلاه له معرفة دقيقة برجالات الرباط ؛ عامتهم وخاصتهم، أدبائهم وعلمائهم، مقاوميهم وساستهم، نسائهم ورجالهم....قدمائهم ومحدثيهم، لهذا لا غرابة في أن يخصهم بتراجم ويسجل سيرهم ويوثق لملاحمهم الثقافية والدينية، والاجتماعية والسياسية والنضالية. يقول جمال بنسليمان : "انغمر في عوالم الأعلام الذين أنصفهم وأظهرهم في كامل بهائهم، وأعاد لهم الاعتبار في ظرفية خاصة مليئة بالأعطاب، خدمة ونصرة للأدب المغربي، للهوية وثوابت الأمة، لثقافة الإصلاح والفلاح"[15]. فإلى أي حد ينطبق هذا الحكم على المتوافر لدينا من تراجم مؤلفي الرباط ومقاوميهم ؟ ذلك ما سنبينه من خلال

1. **حجم تراجم وسير رجالات رباط الفتح :**

تراجم المؤلفين الرباطيين على العموم يغلب عليها القصر، نظرا للسياق الذي وردت فيه فهي مساهمة ضمن عمل جماعي. ولقد أعلن المؤلف عن ذلك في عتبة العنوان حيث ذيله بقوله تراجم موجزة. اقصر هذه التراجم لا يتجاوز ثلاثة أسطر وأطولها يستغرق أزيد من صفحتين كما في ترجمة عبد العزيز بنعبد الله[16].

أما تراجم المقاومين فيتراوح حجمها بين صفحتين وأربع صفحات والسبب في هذه الأحجام ليس يعود إلى انعدام المادة الترجمية لهؤلاء أو قلة مصادر أخبارهم، وإنما هو

[14]. المرجع نفسه، ص. 152.

[15]. نفسه، ص. 130.

[16]. المؤلفون الرباطيون بعد الاستقلال تراجم مختصرة، ضمن الرباط مدينة الثقافة والفنون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 67. دار أبي رقراق – الرباط. 2014. صص. 96-98.

يعود بالأساس إلى حيز النشر المخصص للمترجم، وإلى تعزيزها بصور. فكل المترجمين لهم صور ما عدا عبد الله العياشي(ت2006م)، وعبد القادر بنيوسف(ت 1992م)، وأحمد بن عبد السلام بناني(ت1978م)، ولبعضهم أكثر من صورة كما يوضح الإحصاء أسفله :

- من لهم صورة واحدة وعددهم عشرون (20) علما:

الفقيه محمد غازي، عباس التيناني، محمد الإدريسي، عبد الكريم الفلوس، عبد الله بن العباس الجراري، عبد السلام اكديرة، محمد العبريدي، أحمد بلا فريج، محمد الجوهري، المعطي غنام، علال كراكشو، محمد بن أحمد حكم، محمد الرشيد ملين، محمد عليوة، رقية الأمرانية، محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، محمد الحلو، عبد العزيز بنعبد الله، العربي بنعبد الله، محمد بن الراضي.

- ومن لهم صورتان وعددهم اثنان (02) هما :

علال بن عبد الله الزروالي، والهاشمي بناني.

- ومن لهم ثلاث صور : واحد (01) :

علي بركاش. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه الوحيد الذي لا توجد له صورة بمفرده.

- ومن له أربع صور وعددهم ثلاثة (03) هم :

عبد الكريم الفلوس العلمي، ومحمد اليزيدي، وعبد الفتاح سباطة.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن ترجمة عبد الفتاح سباطة ذيلت بنسخة من سجل الاعتقال, وترجمة محمد اليزيدي بثلاثة بيانات.

وتبقى أطول تراجم الأستاذ هي التي كتبها عن العلامة المرحوم سيدي عبد الله الجراري فقد تراوحت صفحاتها بين إحدى عشرة (11) صفحة وثمانين ومائتي(280) صفحة. وهاك فيما يلي تفصيل ذلك :

- العلامة المجاهد عبد الله الجراري واجهات وطنية متعددة جاء في إحدى عشرة (11) صفحة.
- الأندية الأدبية بمدينة الرباط النادي الجراري من خلال كتاب المجالس الأدبية جاء في ثمان عشرة (18) صفحة.
- عبد الله بن العباس الجراري الأديب جاء في ثمانين ومائتي (280) صفحة.

- المذكرات في الأدب المغربي هذه مذكراتي- الدراسة، بلغت صفحاته ثمانية وثلاثين وثلاثمائة (338) صفحة.

ومن أسباب الإطالة في هذه التراجم ما يلي :

1. تخصيص الشخصية المترجمة ببحث للحصول على دبلوم الدراسات العليا و الدكتوراه.
2. التخصص في هذه الشخصية الوطنية والعلمية والتعريف بها وبإنتاجها الوافر وتحقيقه ونشره والكتابة عنه.
3. توفر المادة الإخبارية عن هذه الشخصية وعن أعمالها لأنها تتسم بالمشاركة والموسوعية.
4. تناول بعض أعمال المترجم بالتحليل والدراسة والنقد ساهم في هذه الإطالة.
5. كثرة الاستشهادات والنقولات خمس واربعون ومائة (145) إحالة في عبد الله بن العباس الجراري الأديب، وست وسبعون وخمسمائة (576) إحالة في المذكرات في الأدب المغربي هذه مذكراتي، علاوة على مناقشة الآراء ومقارعتها الحجة بالحجة.

2. **ترتيب التراجم في "المؤلفون الرباطيون والمقاومون الرباطيون" :**

رتب الأستاذ مصطفى تراجمه في عمله الموسوم ب"المؤلفون الرباطيون بعد الاستقلال" ترتيبا ألفبائيا وليس حسب تاريخ الولادة أو الوفاة. فكانت حصيلة تراجمه حسب الحروف الهجائية على الشكل التالي :

الحرف الهجائي	عدد التراجم
الهمزة	4
الباء	19
الجيم	5
الحاء	4
الدال	1
الراء	2

السين	7
العين	2
الفاء	1
القاف	2
الكاف	2
الميم	5
النون	1
الواو	1
الياء	1
المجموع	57

نسجل أنه

- اعتبر ابن وأبو جزءا من الاسم في حين أن جميع المفهرسين والمترجمين يلغونهما. كما يلغون أل التعريف. فيذكرون ابن الحسن في الحاء، وابن جلون في الجيم وهكذا.. وهذه الملاحظة تنسحب حتى على فهرسته للأعلام والمصادر والمراجع في تحقيقه لهذه مذكراتي[17] فهو الجزء الأول يذكر إبراهيم محمد أبو الفضل فيتبعه بأبي حفص فابن الأحمر، فأدم، فالمولى إسماعيل[18]. وفي الثاني يذكر الآبلي فآدم، فالآسفي فابن الأبار فإبراهيم[19]. والخلط واضح بين.

- ترجم لأفراد أسر رباطية كبركاش، وأسرة بنعبد الله، والجراري، والحجمري، والسايح والقباج، والمدور، واكتفى بالترجمة لحياة دينية من أسرة آل دينية، علما أن منهم من له مؤلفات وعبد الكامل خير نموذج.

- أغفل العديد من الرباطين أمثال محمد احميدة، محمد البوري، جمال بنسليمان، والمرحوم سعيد الفاضلي، مينة حسيم، الشافعي ليلى، إكرام عبدي، سعاد بن داود، عبد العزيز كوكاس، بشكار محمد، الحصيني محمد عزيز...وغيرهم كثير.

[17]. هذه مذكراتي، ج1. التحقيق. صص. 373-407. ج2. صص.285-310.

[18]. نفسه،ج1. ص. 373.

[19]. نفسه، ج2. ص.285.

3. ترتيب المؤلفات في سيروتراجم رجالات الرباط:

في كتب التراجم والفهارس، يتم ترتيب المؤلفات غالبا حسب الترتيب الألفبائي أو سنة الإصدار. ويميز بين المطبوع والمخطوط. فكيف تعامل معها أستاذنا في تراجمه ؟

في بعض التراجم اعتمد ترتيب مؤلفات المترجم حسب تاريخ إصدارها كما هو الحال في ترجمة الروندة الصديق[20]، ودينية حياة[21]، وجبرو عبد اللطيف[22]. وفي البعض الآخر ذكرها بدون ترتيب كما نجد في ترجمة الجراري عباس[23]، والجراري عبد الله[24]، والسحيمي عبد الجبار[25]، وكريم عبد الكريم[26]، والمريني عبد الحق[27]، والناصري محمد المكي[28]. وفي بعض التراجم وجدناه يصمت عن تاريخ الإصدار كما في ترجمة السايح حسن[29]، والسمار محمد[30].

كما أنه يمزج بين المخطوط والمطبوع. والأولى أن يفرق بينهما. ومن الأمثلة على ذلك أنظر ترجمة الجراري عبد الله[31]، وترجمة جزوليت خليل[32].

كما أشار إلى مقدمي بعض الكتب فقط، وسكت عن الباقي. والكتب التي ذكر مقدميها هي مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية، لجزوليت خليل ومشاهد من تاريخ الجهاد الوطني لعبد الكريم الفلوس. كتب تقديمهما الجوهري

---

[20]. المؤلفون الرباطيون بعد الاستقلال، ص. 115.

[21] نفسه،.ص. 114.

[22]. نفسه، صص. 105-106.

[23]. نفسه، صص.106-108.

[24]. نفسه، صص. 109-110.

[25]. نفسه، ص. 118.

[26]. نفسه، ص.123.

[27]. نفسه، ص. 126.

[28]. نفسه، ص.129.

[29]. نفسه، صص.116-117.

[30]. نفسه، ص.118

[31]. نفسه، صص. 116-117.

[32]. نفسه، ص.113.

مصطفى[33]. ونفحات العرف والذوق في مدح طه سيد الخلق، لبنمنصور عبد اللطيف كتب تقديمه عباس الجراري[34].

كما أنه لم يلتزم بالشرط الزمني الذي وضعه ؛ "بعد الاستقلال" حيث وجدناه يذكر للمترجمين بعض المؤلفات التي صدرت في فترة الاستعمار أو كتبت فيها ونشرت قبيل الاستقلال. فمؤلفات إبراهيم السايح في جريدة السعادة، وما كتبه عن كرة القدم المغربية في سنة 1947، وعن محمد الخامس في 1955[35]، لا تدخل في الفترة المدروسة.

أكثر من ذلك، وجدناه يترجم لمن توفي بعد الاستقلال بسنتين. فهل يمكن اعتبار هذا من مؤلفي الرباط في عهد الاستقلال ؟ هل يمكن اعتبار محمد المدني ابن الحسني الذي ترك أزيد من عشرين مؤلفا ما بين مخطوط ومطبوع نشر في عهد الحماية[36] يدخل في شرط المؤلف؟

لم يكتف الأستاذ بذكر مؤلفات المترجم لهم، المطبوعة أو المخطوطة، بل ذكر حتى من كتب في المجلات والجرائد من هؤلاء بلا فريج، واليزيدي محمد[37]، وبنحساين عبد الحميد[38]، والعياشي عبد الله. فبعد أن أشار إلى الجرائد التي أسسها هذا الأخير، واشتغل بها ذكر أن له كتابات بها. يقول : "اشتغل أيضا بالكتابة الصحافية، وأسس مجموعة من الجرائد الوطنية منها la Nation ثم جريدة الشعب. وساهم أيضا في جريدة البيان الفرنسية، وجريدة بيان اليوم بالعربية.

وله كتابات كثيرة بالجرائد السابقة وفي غيرها من المجلات والجرائد الوطنية والدولية"[39].

---

[33]. نفسه، ص.111. وص.112.

[34]. نفسه، ص.104.

[35]. نفسه، ص.116.

[36]. نفسه، ص.85.

[37]. نفسه، ص.131.

[38]. نفسه، ص.94.

[39]. نفسه، ص.120.

قلة قليلة ذكر لهم الجرائد والمجلات التي نشروا بها مثل العياشي وبلا فريج الذي قال عنه : "ومن إنتاجه وكتاباته مجموعة كبيرة من المقالات باللغتين العربية والفرنسية المبثوتة على أعمدة المجلات والجرائد السابقة"[40] يقصد بذلك مغرب، جريدة العلم، جريدة الأطلس، مجلة السلام، مجلة الفتح، مجلة الزهراء، والثقافة المغربية. وقوله في ترجمة بناني عثمان : "ونشر عددا كبيرا من الأبحاث والمقالات في الجرائد والمجلات المغربية، وخاصة في مجلات كلية الآداب الرباط، ومجلة دعوة الحق، ومجلة المشروع، ومجلة أبعاد فكرية، ومجلة الثقافة المغربية، ومجلة شؤون مغربية،..."[41]. وفي أغلب التراجم اكتفى بالقول : "ونشر العديد من المقالات والأبحاث في مختلف المجلات المتخصصة باللغتين العربية والفرنسية كما نجد في ترجمته للإدريسي العلمي[42]. أو قوله : "ونشر مجموعة من المقالات والأبحاث الثقافية والقصائد الشعرية، بمختلف المجلات المغربية والدولية". كما نجد في ترجمة الأخضر كمال[43]. أو قوله في ترجمة بربيش عبد اللطيف :"وأنجز العديد من الدراسات والأبحاث والمقالات العلمية والثقافية تتجاوز 150 بحثا ومقالا تتوزع بين المجلات الطبية المغربية والدولية"[44].

وجدناه أيضا، يذكر بعض المقلين في الكتابة. يقول عن سباطة عبد الفتاح :"له كتابات قليلة نشر بعضها في جريدة العلم وجريدة المحرر"[45].

وذكر أيضا، لبعض المؤلفين ما ألفوه بلسان موليير، علاوة على ما ألفوه باللسان العربي المبين، أمثال الإدريسي العلمي المشيشي[46]، ولعلو فتح الله[47]، والعوينة عبد الله[48]

[40]. نفسه، ص.91.
[41]. نفسه، ص.92.
[42]. نفسه، ص.87.
[43]. نفسه، ص.88.
[44]. نفسه، ص.88.
[45]. نفسه، ص.117.
[46]. نفسه، ص.86-87.
[47]. نفسه، ص.130-131.
[48]. نفسه، ص.119-120.

وذكر للبعض الآخر فقط مؤلفاتهم باللغة الفرنسية أمثال الأخضر كمال[49]، وبنعبد الله عمر أمين[50]،ودينية حياة[51]. والمدور نعيمة[52]، وغيرهم..والبعض الثالث أشار إلى أن لهم كتابات بالفرنسية دون أن يذكرها، مثل بنبركة المهدي[53].

4. الولادات والوفايات في سير وتراجم رجالات الرباط :

كان الأستاذ ينص على تاريخ الولادة والوفاة غير أن الطريقة التي ورد بها هذا التاريخ في كل التراجم لم تكن موحدة. فهو مرة يذكر تاريخ الولادة في بداية الترجمة كما نجد في ترجمة بربيش عبد اللطيف[54]، وبركاش علي[55]، وبناني عثمان[56]، وبنبركة المهدي[57]، ويختم بذكر الوفاة كما هو الحال في ترجمة بنبركة[58]، وبنعبد الله عبد العزيز[59]. وفي العديد من الأحيان وجدناه لا يحترم هذا النهج فيذكر تاريخ الوفاة إلى جانب تاريخ الولادة كما هو الحال في ترجمة بنمنصور عبد اللطيف[60] وبنعبد الله محمد بن أحمد[61] وبنعبد الله عبد الواحد بن علي[62]، والركراكي عبد الله[63]،والسايح إبراهيم[64]، وفي بعض التراجم ذكر فقط تاريخ الوفاة كترجمة السايح عبد الرحمان[65]، وبنحساين عبد الحميد[66]. والبعض رغم أنه

[49]. نفسه، ص.86.
[50]. نفسه، ص.99.
[51]. نفسه، ص. 114.
[52]. نفسه، ص.125.
[53]. نفسه، ص.93.
[54]. نفسه، ص.88.
[55]. نفسه، ص.88.
[56]. نفسه، ص.91.
[57]. نفسه، ص.92.
[58]. نفسه، ص.93.
[59]. نفسه، ص.97.
[60]. نفسه، ص.104.
[61]. نفسه، ص.100.
[62]. نفسه، ص.98.
[63]. نفسه، ص. 114.
[64]. نفسه، ص. 115.
[65] نفسه، ص.117.
[66] نفسه، ص. 97.

من الأحياء وللأستاذ معرفة بهم، لم يذكر لهم تاريخ الولادة. كما هو الحال في ترجمة الحجمري عبد الجليل[67]، والحجمري عبد الفتاح[68]، والسايح الحسن بن محمد[69]. وفي ترجمة القباج عبد الخالق يؤرخ وفاته مرتين وبتاريخين مختلفين ؛ في بداية الترجمة يقول أنه توفي سنة 2010، وفي نهاية الترجمة يقول توفي سنة 2009[70]. فما التاريخ الصحيح ؟ ولم هذا الاضطراب علما أن هذا تاريخ قريب جدا ؟

هكذا نسجل أن تواريخ الولادة والوفاة لم تحظ بالدقة اللازمة، في تراجم المؤلفين. كما أنها لم ترد في هذه التراجم بشكل موحد، على عكس ورودها في تراجم المقاومين الرباطيين؛ فلقد حرص المترجم على ذكرهما معا، في كل تراجمه باستثناء اربعة لأنهم كانوا مازالوا أحياء، وهاكها بحسب القدمية الزمنية، مع الإشارة إلى المساحة التي تشغلها الترجمة :

اسم المقاوم	سنة الولادة والوفاة	مساحة الترجمة
علال بن عبد الله الزروالي	1935-1916	3 ص
الفقيه محمد غازي	1972-1901	3 ص
عباس التنانى	1973-1904	2 ص
أحمد بن عبد السلام بنانى	1978-1908	2ص
محمد الإدريسى	1978-1916	2ص
عبد الكريم الفلوس	1980-1926	4ص
عبد الله بن العباس الجراري	1983-1905	4ص
عبد السلام اكديرة	1986-1896	2 ص
محمد العبريدي	1987-1906	2ص
أحمد بلا فريج	2001-1908	5 ص
محمد اليزيدي	1990-1902	8 ص

[67]. نفسه، ص.112.

[68]. نفسه، ص.112.

[69]. نفسه، ص.116.

[70]. نفسه، ص.122-123.

عبد القادر بنيوسف	1992-1918	4 ص
محمد الجوهري	1992-1935	3 ص
الهاشمي بناني	1994-1927	4 ص
المعطي غنام	1995-1911	2 ص
علال كراكشو	1998-1910	3 ص
محمد عليوة	2001-1912	2 ص
محمد الرشيد ملين	2001-1916	2 ص
محمد بن أحمد حكم	2001-1924	3 ص
رقية الأمرانية	2004-1915	3 ص
عبد الله العياشي	2006-1923	2 ص
عبد الفتاح سباطة	2007-1936	5 ص
محمد بن عبد العزيز بن عبد الله	2009-1934	3 ص
محمد الحلو	2010-1926	2 ص
محمد بن الراضي	-1921	3 ص
عبد العزيز بنعبد الله	-1923	3 ص
علي بركاش	-1917	3 ص
العربي بنعبد الله	-1917	2 ص

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث لم يحدد مكان الدفن إلا في ترجمة واحدة وهي ترجمة بنعبد الله عمر أمين وذلك حين قال : "توفي عمر أمين بنعبد الله يوم 23 يوليوز 2001 ودفن في مقبرة الشهداء"[71]. والملاحظ أن هذه هي الشخصية الوحيدة التي ذكر يوم وفاتها، والشهر والسنة، ومكان الدفن. وتليها حظوة ترجمة بنمسعود المكي التي ذكر يوم وفاته، والشهر والسنة، وغاب مكان الدفن. يقول : "توفي بنمسعود يوم 20 غشت 1964"[72].

[71]. ص. 99.

[72]. ص. 103.

5. المراجع والمصادر في سير وتراجم رجالات الرباط :

من الجوانب التي عني بها الأستاذ الجوهري، في تراجم رجالات الرباط وسيرهم ، إثبات مؤلفات الأدباء والعلماء، والرحالة والساسة، والشعراء والباحثين الرباطيين،وذكر مصادر ومراجع تراجمه. وقد سبق أن وضحنا الطرائق المختلفة التي سلك في ذكر مؤلفات المترجمين التي كان يذكرها بعد تراجم الرجال. والآن سنقدم خلاصة قراءتنا للمصادر والمراجع التي كان يختم بها تراجمه. فنقول إن الأستاذ في "المؤلفون الرباطيون بعد الاستقلال" اعتمد في مصادره ومراجعه على مؤلفات متنوعة ومتعددة بلغ عددها واحدا وخمسين (51) مرجعا يمكن تصنيفها إلى :

- كتب للمترجم لهم : سير ، رحلات، مذكرات، أبحاث
- كتب عن المترجم لهم : أ-مؤلفة تاليفا فرديا، ب- مؤلفة تأليفا جماعيا.
- حوارات معهم : أنجزها هو أو غيره.
- وثائق خاصة : يقول أنه ينفرد بها.
- ندوات
- تكريمات
- موسوعات ومعلمات
- جرائد.

وإنه اعتمد على البعض منها، كما يوضح الجدول أسفله، أكثر من مرة :

المصادر والمراجع	عدد مرات ورودها
التأليف ونهضته بالمغرب لعبد الله الجراري	16
وثائق خاصة	15
مع المعاصرين لعباس الجراري، ج2	07
مع المعاصرين لعباس الجراري، ج1	06
موسوعة الحركة الوطنية ج2. المجلد 3	06
من أعلام الفكر المعاصر، ج2. لعبد الله الجراري	05

موسوعة الحركة الوطنية، ج2. المجلد 6	03
معتقل الصحراء ج2 للمختار السوسي	03
هذه مذكراتي لعبد الله الجراري	02
من قلم الشيخ محمد بن أحمد بنعبد الله، ج1	02

إن هذا التنويع يوحي بالتحري والدقة، غير أن القارئ للتراجم قد يفاجأ ببعض الهنات الصغيرة في هذا الجهد الكبير. فبالرغم من اعتماده على تراجم أو سير ذاتية أمده بها أصحابها فإننا وجدنا غياب الكثير من المعلومات المهمة في التراجم مثل سنة الولادة، شيوخ المترجَم، تواريخ صدور مؤلفاته، التمييز بين المخطوط والمطبوع...إلخ

كما أن ذكر هذه المصادر والمراجع لم يخضع لمنهج معين ؛ فهو لا يذكر بتاتا الناشر والطبعة، وتاريخ النشر..وفي بعض المرات يذكر صفحة الترجمة والجزء، ومثاله مع المعاصرين، عباس الجراري، ج3، ص.107[73]. ومرة يذكر فقط الجزء، مثال ذلك من أعلام الفكر المعاصر، عبد الله الجراري ج2[74]. ومرة يذكر الصفحات، مثل قوله : بيبليوغرافيا المؤلف بمؤلفاته (الصفحة الأخيرة) وثائق خاصة[75]. ومرة يغفلها، ومرات لا يذكر شيئا البتة، التأليف ونهضته بالمغرب، عبد الله الجراري، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وأعضاء جيش التحرير[76]، النغم المطرب بين الأندلس والمغرب، عباس الجراري[77]، ومرة يقول وثائق خاصة دون أن يحدد نوع الوثيقة كما فعل في ترجمة بنعبد الله عمر أمين[78]، وبنعبد الله محمد بن عبد العزيز[79]، وبنعبد الله محمد أمين[80]، وبنمسعود المكي[81] وبنمنصور عبد اللطيف[82].

[73] نفسه، ص.89.
[74]. نفسه، ص. 86
[75]. نفسه، ص. 90.
[76]. نفسه، ص.101.
[77]. نفسه، ص. 105.
[78]. نفسه، ص.99.
[79]. نفسه، ص.101.
[80]. نفسه، ص.102.
[81]. نفسه، ص.103.
[82]. نفسه، ص.104.

كما أنه لم يذكر المصادر والمراجع التي اعتمد في بعض تراجمه نمثل لذلك بترجمة ابن جلون أحمد بن عمر[83]، والأخضر كمال[84]، وبربيش عبد اللطيف[85] وبناني عثمان[86]، وبنحساين عبد الحميد[87]، وبنعرفة عبد الإله[88]، وجزوليت خليل[89]، والحجمري عبد الجليل[90]، والحجمري عبد الفتاح[91]، ودينية حياة[92]، والروندة الصديق[93].والسايح ابراهيم[94]، وسباطة عبد الفتاح[95]، والسمار محمد[96]، والسويسي عبد الله[97]، والعوينة عبد الله[98].

ولم يكتف في مراجعه ومصادره بالكتب المطبوعة، والوثائق الخاصة، والسير التي أمده بها أصحابها، والحوارات التي أجراها مع بعضهم ؛ مثل حواره مع جبرو عبد اللطيف[99]، والعياشي عبد الله[100]، وإنما لجأ أيضا إلى المقالات التي ترجمت لهؤلاء ومن هذا النوع من المراجع نجده يذكر مقالته التي نشرها بالعلم عن عبد اللطيف بنمنصور عميد الموسيقى الأندلسية وشيخ شيوخ المديح والسماع، بمناسبة خميس الأندلسيات دورة عبد اللطيف بنمنصور يونيو 2009. غير أن ما يمكن أن نسجله عنه هنا، هو إغفاله لتاريخ الجريدة وعددها، ليسهل على القارئ الرجوع إلى المقال، عند الحاجة. وهذه الهنة نجدها تتكرر كلما أحال على جريدة، مثال ذلك قوله في مراجع عبد الجبار السحيمي :"جريدة العلم أعداد متفرقة"[101].

---

[83]. نفسه، ص.86.
[84]. نفسه، ص.86.
[85]. نفسه، ص.88.
[86]. نفسه، ص.91-92.
[87]. نفسه، ص.94.
[88]. نفسه، ص.102-103.
[89]. نفسه، ص.111.
[90]. نفسه، ص.112.
[91]. نفسه، ص.113.
[92]. نفسه، ص.114.
[93]. نفسه، ص.115.
[94]. نفسه، ص.116.
[95]. نفسه، ص.117.
[96]. نفسه، ص.118.
[97]. نفسه، ص.119.
[98]. نفسه، ص.119.
[99]. نفسه، ص.106.
[100]. نفسه، ص.121.
[101]. نفسه، ص.118.

و في تراجمه للمقاومين الرباطيين اعتمد على مراجع عربية وفرنسية متعددة ومتنوعة. تفاوت عددها،من ترجمة إلى أخرى كما في تراجم المؤلفين الرباطيين،. فبعضها كتبه اعتمادا على مرجعين، والبعض الأخر بلغ عدد مراجعه تسعة (9) مصادر. وفيما يلي جدول يبين توزيع المصادر والمراجع على تراجم المقاومين :

تراجم المقاومين الرباطيين	عددها	عدد المصادر والمراجع المعتمدة
عباس التيناني – محمد الإدريسي – محمد العبريدي – محمد عليوة- المعطي غنام – علال كراكشو – محمد الحلو	07	00
عبد الكريم الفلوس – عبد السلام كديرة – محمد بن الراضي – العربي بنعبد الله	04	02
الفقيه محمد غازي – عبد العزيز بنعبد الله – علي بركاش – عبد الله العياشي	04	03
محمد اليزيدي – الهاشمي بناني – محمد الرشيد ملين – رقية الأمرانية	04	04
علال بن عبد الله الزروالي – أحمد بن عبد السلام بناني – أحمد بلافريج – عبد القادر بنيوسف – محمد بن عبد العزيز بنعبد الله	05	05
محمد الجوهري – محمد بن أحمد حكم	02	06
عبد الفتاح سباطة	01	07
عبد الله بن العباس الجراري	01	09

يسمح الجدول أعلاه بتسجيل الملاحظات التالية :

- ربع التراجم يخلو من المصادر والمراجع.
- والترجمة الوحيدة التي حظيت بنصيب الأسد في المصادر هي ترجمة عبد الله الجراري، ولا غرابة في ذلك لأن الأستاذ الجوهري، كما يقول جمال بنسليمان، "غدا خبير حفريات بمعالمها وعلاماتها متخصصا في دراسة تراثها محركا لفتوحاتها،

محافظا على معنى المدرسة الجرارية وفي الوقت نفسه يضع المتلقي أمام معانيها المتعددة"[102].

- في هذه البيبليوغرافيات نجده التزم بذكر عنوان المصدر أو المرجع كاملا، واسم المؤلف، والمحقق إن وجد، والمعد أو المقدم، والمطبعة، ومكان الطبع وتاريخه، على عكس ما فعل في "المؤلفون الرباطيون". كما نجده اعتمد مظان عربية بلغ مجموعها واحدا وستين (61)مرجعا. ضمنها مرجعين بالفرنسية وواحد بالأنجليزية، الأول بترجمة علي بركاش[103] والثاني والثالث بترجمة رقية الأمرانية[104] والمرجع باللغة الأجنبية لأول مرة نجدها في مراجعه. ولو اعتمد ما كتبه المستعمر على مقاومينا بلسانه لكانت كل تراجمه جديدة وأكثر غنى لأن الآخر كانت له نظرة أخرى لمقاومينا، نحن في أمس الحاجة للتعرف عليها بدل أن نظل نردد ما هو معروف لدينا.
- وكما لاحظنا في "المؤلفون الرباطيون" لم يرتب مراجعه ومصادره وفق ترتيب موحد. ترتيب ألفبائي ولا ترتيب زمني حسب تاريخ الصدور. كما لم يلتزم بكتابة موحدة ؛ فهو مرة يبدأ بالمؤلف، ومثاله مراجع ترجمة الفقيه محمد غازي[105]، وترجمة محمد اليزيدي[106].وترجمة عبد الفتاح سباطة[107]، وترجمة علال بنعبد الله[108] ومرة يبدأ بالمؤَلَف كما هو الحال في ترجمة الهاشمي البناني[109]، وترجمة أحمد بلافريج[110]، وترجمة محمد بن أحمد حكم[111] وفي بعضها الآخر مزج بين الطريقتين كما نجد في ترجمة أحمد بن عبد السلام بناني[112]
- ورتب الجرائد ترتيبا غير موحد ؛ فهو مرة يذكر اسم الجريد، ويوم نشرها وتاريخه والشهر، والعام أو يكتفي بالتاريخ كاملا ذون تسمية اليوم كما هو الحال في مراجع ترجمة عبد الفتاح سباطة.:
- جريدة السعادة، عدد الأحد والاثنين 18 و19 أبريل 1954.
- جريدة الاتحاد الاشتراكي ليوم 2 نونبر 2007.

---

[102]. علامات مغربية بصيغة المذكر والمؤنث، ص.130.
[103]. موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، المجلد3 ص.100.
[104]. المصدر نفسه، المجلد نفسه ، ص. 78.
[105]. نفسه، المجلد 5، ص.692.
[106]. نفسه، المجلد 6.ص.1029.
[107]. نفسه، المجلد 11.ص.528.
[108]. نفسه، المجلد 11.ص.495.
[109]. نفسه، المجلد 3.ص.149.
[110]. نفسه، المجلد 3.ص.115.
[111]. نفسه، المجلد 4.ص.389.
[112]. نفسه، المجلد 7.ص.77.

- جريدة العلم بتاريخ 3 نونبر 2007.[113]

وفي ترجمة محمد الجوهري يكتفي بذكر الشهر والسنة. يقول جريدة الأسبوع، عدد نونبر 1992[114]. وفي ترجمة عبد القادر بنيوسف نجده يذكر العدد واليوم والتاريخ والشهر والسنة. هكذا :

- جريدة العلم، عدد 15153، الأربعاء 29 يناير 1992.
- جريدة الميثاق الوطني، عدد 4692 الخميس 30 يناير 1992[115].

وهذا كما هو معلوم هو التوثيق الدقيق.

- ومع كل ما سبق ، نسجل أن الأستاذ قرأ العديد من الدراسات عن الشخصيات التي ترجمها، وإن كان يذيلها بعدد قليل من المصادر والمراجع. لنستمع له يبوح بتعدد قراءاته في ترجمة الفقيه محمد غازي : "وبعد الاستقلال مباشرة سينصرف المترجَمُ له إلى حياة الزهد والتصوف. ولم يقبل كما **تجمع كل الدراسات** التي اهتمت بحياته وترجمته منصب سفير المغرب بجدة بالمملكة العربية السعودية إلا لرغبة دفينة في قلبه هي أن يقضي ما تبقى من حياته بجوار الحرمين الشريفين"[116].

- ولم يكتف في جمع المعلومات على مترجميه من المقاومين الرباطيين على المظان المختلفة بل نجده يعتمد على الرواية الشفوية في العديد من التراجم من ذلك ما ذكره عن تضحيات محمد الإدريسي من ذلك رفضه لشراء ما تراكم من منتجات جلدية بمكتب التصدير الذي عجز مشرفوه عن تدبيرها. فعرضوا عليه السلعة بأبخس الأثمان فأبى أن يشتريها حتى لا يتسبب في تشتيت الصناع بمدينة الرباط وتكبيدهم خسارة ما بعدها خسارة. وكذا لإخفائه لكثير من المتظاهرين ورجال الفداء سواء في مظاهرات 29 يناير 1944، ومظاهرات 1952 و1953 وما بعدها. يقول : "**وذكر لي غير واحد ممن عايشوه**، مؤكدين أنه اضطر إلى تغيير مسد زكروم باب الفندق مرارا خوفا من تكسيره بهجوم منتظر من جيش الاستعمار"[117].

---

[113]. نفسه، المجلد 11.ص.530.
[114]. نفسه، المجلد، 11.ص.372.
[115]. نفسه، المجلد 6. ص.2076.
[116]. نفسه، المجلد 5. ص.691.
[117]. نفسه، المجلد 7. ص.65.

وفي ترجمة المقاوم عبد السلام اكديرة نجده يقول : "وكان الحاج عبد السلام اكديرة واحدا من المعتقلين الذين ألقي عليهم القبض وأودع سجن العلو. وزاده هذا الاعتقال شرفا وصمودا، رغم اقترابه من الستين من عمره. وتحول في السجن إلى مسامر كبير لرفاقه في الوطنية يحدثهم في التاريخ والدين والمجتمع والعمل الوطني والإنساني، **مما يذكره له إلى اليوم بعض رفاقه في الوطنية**"[118].

- وإذا كنا في الاستشهادات السابقة، وجدناه يأخذ عن رفاق المترجَم ومعارفه، فإننا وجدناه في تراجم أخرى يأخذ المعلومة مباشرة من فم المترجَم. يقول في ترجمة محمد عليوة : "ونحن نتحدث عن سيرة الوطني محمد عليوة لا بد من الإشارة إلى أنه اشتهر بموسوعية ثقافته الوطنية، وذاكرته القوية ومعرفته الجيدة بأسماء الوطنيين الذين ساهموا في صناعة ملحمة التحرير، وكان دائما وهو يتحدث عن القضايا الوطنية في مختلف تجلياتها وأحداثها ورجالها يبتعد عن الذاتية أو صيغة المفرد، وإنما كان دائما يطرحها بصيغة الجماعة (**اجتمعنا – اشتغلنا – كنا – أنجزنا**...)، وهي سمة وطنية نادرة ظل محافظا عليها ملتزما بالمبادئ الوطنية الجماعية التي ظهرت أيضا في مختلف الأعمال الاجتماعية والجمعوية التي كان واحدا من أعلامها على امتداد زمن الحماية وبعد الاستقلال"[119].

ومن ذلك، قوله شارحا لقب الفقيه الذي اشتهر به العلامة محمد بن أحمد حكم وسبب إطلاق هذا اللقب عليه : "لَقَبُ الفقيه الذي اشتهر به العلامة محمد بن أحمد حكم هو لقبٌ وطني بخلاف ما يعتقده أغلب الناس أنه يرتبط بضلوع صاحبه بعلوم الفقه والشريعة بينما هو لقب أطلقه عليه الوطني الكبير محمد اليزيدي بحضور الحاج أحمد بلا فريج والفقيه محمد غازي يوم قصدوه لغرض وطني ببيت والده، حيث اشتهر به، وأصبح أعز الألقاب لديه **كما أكد لي بعد ذلك هو نفسه في حوار لي معه**"[120].

وعن المعطي غنام يخبرنا منذ بداية الترجمة أنه يحدثنا عن رجل يعرفه منذ طفولته إلى أن جالسه وصادفه بالنادي الجراري. يقول : "**عرفته منذ طفولتي** يوم كان تاجرا

---

[118]. نفسه، المجلد 6. ص.827.

[119].نفسه، المجلد 8. ص.267.

[120]. نفسه، المجلد 4. ص.388.

ببداية شارع القناصل جهة قوس سوق السباط، وقبالة مدخل باب الرحبة. وعرفته أكثر يوم شرفني أستاذي الجليل الدكتور عباس الجراري بالانتماء إلى النادي سنة 1983. يوم كان النادي بمنزل مؤسسه العلامة المجاهد عبد الله الجراري بزنقة القاضي عياض – ديور الجامع- وقريبا من سكنى المعطي غنام.

وأشهد أن الرجل على تواضع ثقافته كان مثار حديث شيوخ النادي من خلال شخصيته وأعماله الوطنية التي لم يكن يرغب في الحديث عنها أو الالتفات إليها.**وأدركت** أنه بحق يستحق لقب (الوطني الصامت)"[121].

ومن الشواهد الدالة على لجوئه إلى أخذه المعلومة من أفواه الرجال المترجم لهم قوله في ترجمة محمد بن عبد العزيز بنعبد الله : "كان يتردد على حلقات الدراسة بمساجد الرباط. ومن جملة من أخذ عليهم الفقهاء السادة : محمد قريون وعبد الموجود الإلالي، وأحمد صالح، ومحمد بن عبد الله اجديرة...لكنه لازم –**كما ذكر لي**- بعض الشيوخ العلماء وخاصة الحافظ الواعية سيدي المدني بن الحسني، والعلامة الأديب عبد الله بن العباس الجراري"[122].

والظاهر أن معاشرته لبعض هؤلاء الأعلام ومحاورته لبعضهم كما هو الحال بالنسبة للوطني الشاعر محمد بن الراضي والوطني المناضل عبد الله العياشي، والعلامة القاضي الوطني الفقيه محمد أحمد حكم، مكنته من الإتيان بالجديد في تراجمهم. يقول في ترجمة محمد بن الراضي : " هو واحد من المتقنين لفن التجويد والترتيل مما لا يعرفه الكثيرون، ولعل هذا المعطى الثقافي هو الذي دفعه إلى الاهتمام بأسرار لغة القرآن الكريم. وهو المشروع الثقافي الذي كان يعكف على تهيئته"[123].

وهذا القرب والمعاشرة هو الذي مكنه من حفظ جزء مهم من أشعار الشاعر محمد بن الراضي. يقول : "ورغم ضياع أغلب شعره، فإنني استطعت أن أجمع -بحكم

[121]. نفسه، المجلد 8. ص.287.

[122]. نفسه، المجلد 7. ص.109.

[123]. نفسه، المجلد 4. ص.433.

معاشرتي له وتتبعي لإنتاجه- قرابة ستة مائة بيت شعري تتوزعها ثمانية وعشرون [هكذا] ما بين قصيدة ومقطوعة ونشيد"[124].

وفي أثناء حديثه عن ثقافة الفقيه محمد حكم الأدبية نجده يكشف لنا عن الكتابة النثرية الرصينة والبليغة لهذا الرجل. يقول : "إن ثقافة الفقيه حكم الأدبية لم تظهر في الشعر فحسب، بل تظهر في كتاباته النثرية بشكل ملموس، لأنها من نوع الكتابة الرصينة التي تخضع للتوشية والانتقاء، لبراعته في اعتماد اللمسات البلاغية، فهي تبدو مطرزة بلغة متينة، ومحلاة بلمسات تشكيلية، من السجع تطبع مختلف أنماط الكتابة النثرية التي اعتمدها والتي أطلعني على بعضها،. تجعلها متفردة في زمن الكتابة الحديثة".[125].

وعن الهاشمي بناني يقول : "وقد نظم الشعر أيضا، وإن كان أغلب الناس لا يعرفونه شاعرا كما أنه كتب جزءا من مذكراته"[126]. وكم كنت أتوق إلى أن يقدم لنا نماذج من هذا الوجه الخفي لهذا المناضل النقابي العتيد.

الأستاذ الجوهري في تراجمه عامة، وتراجمه للمقاومين والفدائيين الرباطيين، خاصة كان يذكر كل ما يمكن أن يجلي الشخصيات المترجمة ويكشف عن السر في نبوغها وتميزها وشهرتها، وفي هذا الإطار وجدناه يولي اهتمامه، بتفاوت بَيِّن، لمسائل عدة منها :

- الأوصاف العقلية والدينية.
- الأخبار الشخصية بما فيها المشيخة والوظائف التي تقلدتها الشخصية أو المهن مارستها.
- الصفات الفنية للشخصية.

فهو في كل ترجماته يحاول أن يبين المنزلة الفنية للشخصية المترجم لها. وقد يفصل هذه الصفات التي غالبا ما ترد بجملة بذكر مؤلفات المترجم في الفن الذي برز فيه وعُرف به. وفي أحيان، غير قليلة، يذكر مؤلفات أخرى للمترجَم تُظهر مُشاركته أو صفة فنية أخرى له. كما هو الحال في ترجمة أحمد بن عبد السلام بناني فهو بعد أن يعدد الوظائف والمهام المتعددة التي تقلب فيها سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال، ومنها

[124]. نفسه، المجلد 4. ص.433.

[125]. نفسه، المجلد 4. صص. 388-389.

[126]. نفسه، المجلد 3. ص.151.

كاتب ومترجم بإدارة الصدارة العظمى، ورئيس ديوان الوزير الأول زمن الحماية، وقاضي بالمحكمة العليا بالرباط، ومدير التشريفات الملكية والأوسمة، في عهد المغفور له محمد الخامس، ومدير عام للثقافة والفنون الجميلة والآثار القديمة، وسفير المملكة المغربية بدمشق، ومكلف بمهمة في الديوان الملكي. بعد كل هذا يقول : "ولم تحجبه وظيفته يومئذ عن الانخراط في الحركة الوطنية، وانتمائه إلى حزب الاستقلال، والعمل إلى جانب أقطاب الحركة الوطنية المغربية. (.....)، فلم يلبث أن أطلق لقلمه العنان للكتابة حول (الحق والحرية)، وحول الصراع بين القديم والجديد (الأصالة والمعاصرة)،من خلال بعض الجرائد والمجلات الوطنية كالعلم والمغرب، وبعد الاستقلال في مجلة دعوة الحق وغيرها.

واعتمد أحمد بناني منهجا ذاتيا خاصا لجهاده الوطني ويتمثل في اعتماد (القصة) أو (الرواية)"[127].

وفي ترجمة علال كراكشو، رحمه الله، نجده يبرز صفات الكرم والجهاد بالمال فالرجل كان متميزا بالعطاء والجود، سرا وعلانية، مما أكسبه محبة وتقديرا. ومما ذكره له، وما ذكره له يطول سرده هنا، تأسيسه ودعمه ومساندته للجمعية الخيرية الإسلامية الخاصة بالأيتام، بالمدينة العتيقة. والجمعية الوطنية لمحاربة العمى، والالتفات إلى بعض الأسر الرباطية الفقيرة وخاصة في الأعياد الدينية. وإرساله لكثير ممن تتوافر فيهم مواصفات الفقر والحاجة سواء لأداء مناسك الحج أو العمرة. وتقديم تسهيلات مادية وتخفيضات كبيرة لتشجيع الأسر المحتاجة على اقتناء سكن لها، بعد أن حول تجارته إلى التعمير والبناء(....). وبناء المساجد من ماله الخاص، والتي بلغت خمسة مساجد أذكر من بينها مسجد أم كلثوم بحي التقدم، ومسجد كراكشو بحي السويسي، ومسجد آخر بحي الرياض"[128].

6. النقد في سير وتراجم رجالات الرباط :

يظهر النقد باهتا في هذه التراجم. فغالبيتها إعادة لما كتب من قبل. وحتى إذا وجدنا نقدا نجده ينصب على الرواية التاريخية، بل إننا وجدنا في بعض الأحداث تناقضا

[127]. نفسه، المجلد 7. صص.77-78.

[128]. نفسه، المجلد 8. ص. 318.

كرواية تاريخين للوفاة دون ترجيح إحداهما، مع تعزيز ذلك بأدلة. والاكتفاء بالقول قال لي أصدقاؤه أو أحد المقاومين. أو يقول بعض الباحثين كما نجد في ترجمة محمد الجوهري[129]. ومعلوم أن المنهج العلمي يقتضي الإفصاح عن أسماء هؤلاء الباحثين وكذا المقاومين. لأن ترك أسمائهم مجهولة يشكك في الشهادة.

كما يسجل القارئ المتأني لهذا التراجم أن الأستاذ الفاضل يشير إلى ما لمسه من تناقض الروايات من ذلك قوله في ترجمة عبد الفتاح سباطة : "ووجب توضيح وتصحيح ما يروجه بعضهم من أن هذه الخلايا، وخاصة الخلية الأساسية ساهم في تأسيسها عبد القادر بنيوسف، بينما الحقيقة خلاف ذلك كما تؤكده الوثائق المتوفرة، وهم يضيفون عن غير قصد انتماء عبد الفتاح سباطة إلى خلية عبد القادر بنيوسف بينما هذه الأخير كانت له خليته المستقلة"[130]. قال ذلك دون أن يحدد البعض القائل، ودون أن يكشف عن الوثائق الداعمة لرأيه. وهذا طبعا يجعل قوله محط شك هو الآخر.

وختاما، يمكن القول إن من مزايا هذه التراجم ونقط قوتها، رغم ما بها من هنات، أنها تفتح كوات عديدة للبحث من ذلك نشير إلى الموضوعات الآتية :

- الجماعات والخلايا الوطنية بالرباط :

1. جماعة الفتح التي أسسها أحمد اليزيدي وكان والد محمد عليوة أحمد الهاشمي أحد أعضائها
2. وجماعة الطائفة التي كان من بين أعضائها محمد العبريدي
3. وجماعة شارع القناصل التي كان منها علال كراكشو.

- والطباعة بالرباط عهد الحماية ؛ المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التيناني، والمطبعة الأهلية لصاحبها مصطفى بنعبد الله نموذجا.
- وفندق اليهودي ودوره الاقتصادي والوطني.
- والمؤلفون التربويون الرباطيون، او مساهمة الرباط في التأليف المدرسي.
- وعبد الكريم الفلوس العلمي والكشفية الحسنية.
- وفرقة النسر الأبيض، التي كاد يديرها محمد عليوة أعضاؤها وأدوارها.
- والمسرح بالرباط نشأته وامتداداته إلى بداية الاستقلال.

---

[129]. نفسه، المجلد 11. صص. 370-371.

[130]. نفسه، المجلد 11. ص.529.

- وعبد الله العياشي الإعلامي.
- ومواقف وطنية بارزة لمحمد بن الراضي الإعلامي مع بعض رؤساء التحرير الفرنسيين بالإذاعة المغربية.
- ومحمد اليزيدي الإعلامي مع جمع مقالاته المحررة بالفرنسية والعربية.
- وآل غنام وصناعة الزليج البلدي الأندلسي المغربي، بحث معزز بصور من قصور الدولة العلوية.
- والتعمير والبناء في الرباط علال كراكشو نموذجا.
- وأمكنة لها تاريخ : شارع القناصل، دار محمد حكم بدرب مولاي عبد الله، ودار لالة رقية الأمرانية.
- والزربية الرباطية ومكوناتها الفنية ودورها في الكفاح الوطني.
- ومحمد أحمد حكم ناثرا.

تلكم كانت بعض الموضوعات النضالية والإعلامية، والتربوية والأدبية، والعمرانية والصناعية، التي أوحت لنا بها قراءتنا لتراجم وسير رجالات الرباط التي أعدها أستاذنا مصطفى الجوهري وهي موضوعات تستحق البحث والعناية. وما ذلك على أستاذنا الفاضل بعزيز. أوليس هو الذي قال فيه الشاعر رضا محمد جبران في قصيدته الموسومة بجمعة الوداع :

وصاغ الجوهري أدبا به عطرت كراسي[131].

****

[131]. العلامة عباس الجراري على السنة الشعراء، ج2. جمع وتقديم السعيد بنفرحي، دار السلام – الرباط 2017. ص.151.

النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات"... إضاءات ومعالم

د. محمد التهامي الحراق*

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه

الإضاءة الأولى: الأستاذ مصطفى الجوهري الذي في خاطري

أخلو في ركن في مكتبتي، أستجمعُ مِن بقايَا مخيِّلتي صورا متناثرة، ومشاهدَ قادمة من أزمنة وأمكنة ولقاءاتٍ لها التعددُ والالتماع والتداخلُ؛ مثل شعاع يقترب ليبتعد ويبتعد ليقترب. بعضُ المشاعر والمشاهد تكاد تستولي على أحلامِ يقظتي، وأنا أرومُ الغوصَ في دخيلتي لاستجلاءِ مكانِ ومكانة اسمٍ أصبح منذ زمان عنصرا من ذاكرتي يُسهم في سقيِها بمعان نفيسة؛ معاني الاجتهادِ والجدّ والمسؤولية والصرامة والبذل النسكي وتمجيدِ الصداقة وكرَم الخدمة، مع اعتبار وإكبارٍ نادرين لقيمة "الوفاء"؛ الوفاءِ للأساتذة وللأصدقاء، والوفاء الأعظم لشرائط المعرفة وحقوقِها. وهنا تنبجسُ واحدةٌ من ألمع مزايا الأستاذ والأخ والصديق الدكتور سيدي مصطفى الجوهري؛ فحيث ما حَلَّ ومتى ما تكلم أو كتَب، يظَل حسُّه النقدي والتساؤلي يقِظا ومتَّقدا، مؤمِنا أن من مُوجبات الوفاء للعلم، مطارحةُ الرؤى والقضايا ووجهات النظر، وتناولُها بالفحص النقدي اللازم، بعيدا عن كل مجاملة أو مداهنة أو مهادنة أو غض للنظر عما يمكن أن يُخِلَّ بهيبة المعرفة وحقوقِها.

كنتُ ألمس هذا الزواج السعيد بين اللطافة والصرامة، بين الدِّقة والرقة، بين الوفاء للروح الإنسانية في الصداقة وللروح النقدية في المعرفة؛ ألمسُ ذلك في كلِّ اللقاءات العابرة مع العزيز د. سيدي مصطفى. وزاد هذا الأمرُ رسوخا في خَلدِي، وأنا أستمع لإشادَةِ شيخِنا وعمدتِنا، شيخِ المادحين والمسمعين في المغرب المرحوم سيدي عبد

* باحث في التصوف وفن السماع، الرباط.

اللطيف بنمنصور[1]، بالأستاذ مصطفى كلما ذُكِر أمامَه أو ورد اسمه متلألئا في مذاكراتنا معه. وقد تضافرَت شهادةُ الشيخ بنمنصور في مسمعِي ووجداني مع شهادةِ أستاذي الكبير د. أحمد شوقي بنبين، وهو يقترحُ عليَّ، في لجنة مناقشة أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه، اسمَ د. المصطفى الجوهري ليكونَ ضمن الطاقم العلمي الفاحص للأطروحة[2]. ولم تكن تلك المناقشةُ سوى لحظةٍ مرسِّخة لصورة سيدي مصطفى، الأستاذ الودود والصارم في نفس الآن. ولمَّا اقتربتُ من الرجل أكثرَ في محراب النَّادي الجراري العتيد، وقفتُ عن كثب على شخصيةٍ من طينة استثنائية صارت اليوم عملةً نادرة؛ شخصيةٍ تمزجُ في معادلة عزيزةٍ بين العمق الإنساني وتمجيد الصداقة بنسك ومحبة، وبين إزجاء الخدمات بودٍّ ونكرانِ ذات ونسيانِ مَنٍّ، معَ تحمُّل كامل لما تقتضيه حُرمةُ المعرفة من يقظة فكر وحيوية سؤال وفعالية نقد. إذ ذاك فقط، أدركتُ سرَّ اعتماده من لدن عميد الأدب المغربي ومفخرتهِ أستاذ الأجيال د. سيدي عباس الجراري ليكون ثاني اثنين- إلى جانب أمين النادي وعنوانِ ديناميته الفاخر د. سيدي محمد احميدة- في النهوض بأنشطة النادي الجراري، وتفعيل حضوره الثقافي والإشعاعي المتفرد.

وإنني، إذ أُسهم بهذا البحث المتواضعِ في تكريم د. سيدي مصطفى الجوهري، أستاذا وأخًا وصديقًا، فإنني أرومُ توقيعَ تحيةٍ مزدوجة، أعلنُ بها جهارا نهارا تقديري الكبير لجهوده في العطاء العلمي والنشاط الجمعوي، وإكباري لسمُوِّ أخلاقهِ في البذل الأخوي و"فن" التعامل الإنساني؛ مثلما أمجد من خلال هذه التحية وفاءَه لأصدقائه بالإنصات

---

[1]- للتعرف على ملامح من ترجمته، يمكن الرجوع إلى كتابنا:

الحراق، محمد التهامي، "**موسيقى المواجيد..مقاربات في فن السماع المغربي**"، منشورات الزمن، الرباط، 2010، ص.166-175.

[2] نوقشت هذه الأطروحة، التي كانت بعنوان: "**فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار**، لمؤلفها محمد بن العربي الدلائي الرباطي (ت1285هـ/1869م)، دراسة وتحقيق"، ضمن شعبة اللغة العربية وآدابها (وحدة أساليب الكتابة في الغرب الإسلامي) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الخامس أكدال بالرباط، وذلك بتاريخ 26 فبراير 2006. وتشكلت اللجنة العلمية من: د. أحمد شوقي بنبين (مشرفا)؛ د. محمد الظريف (رئيسا)؛ د. مصطفى الجوهري (عضوا)؛ د. عبدالمالك الشامي (عضوا). وقد صدرت مطبوعة في جزئين ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية- عام 2011م.

لواحدٍ من أعماله الدالة على هذا الوفاء، وهو جمعُه وتقديمه لديوان الأستاذ الشاعر المرحوم سيدي عبد اللطيف أحمد خالص، الصادر بعنوان "الخالصيات".

إنها تحية مزدوجة، أطلبُ من خلالها التعبيرَ عن وفاءٍ مزدوج؛ وفائي للكرم العلمي والإنساني للدكتور مصطفى الجوهري، ثم من خلاله الوفاءَ للشاعر سيدي عبد اللطيف خالص الذي كانت تشجني بهِ أواصرُ محبة روحية، نبعَتْ وتوهجت في رحاب روحانية الزاوية الحراقية الرباطية[3]. وهذا ما جعلني أميلُ لدراسة "النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات""، إضاءةً لعمل الجامِع والمقدِّم الأستاذ مصطفى الجوهري، وتظهيرًا لبعضِ معالمِ هذه النزعةِ في ديوان "الخالصيات"، المَوَقَّعِ برحيقِ وجدانِ المرحوم سيدي عبد اللطيف خالص.

<u>الإضاءة الثانية</u>: الأستاذ الجوهري جامعا ومُقَدِّما لديوان "الخالصيات"

لم يكن إقبالُ الأستاذ الجوهري على جمع وتقديم ديوان "الخالصيات" سوى عنوان من عناوين وفائهِ للصداقة وللشعر معا، من هذا المَمْتَح استمدَّ الأستاذ الجوهري طاقتَه المعنوية للغور والغوص في مسوّدات الشاعر عبد اللطيف خالص، وتقفّي آثار قصائده بين الجرائد والمجلات، وبين محفوظاتِ مكتباتِ أصدقائه؛ واعتمادًا، بشكل خاص، على الملف الذي سلّمه إياهُ الأستاذ الدكتور عباس الجراري، والذي يضم زمرة من أشعار "الخالصيات". وقد كان أستاذُنا الجراري مدرِكا للصلة الوثيقة بين الأستاذ الجوهري والشاعر عبد اللطيف خالص، وهو يمد ذاك الملف للأستاذ الجوهري قصد الإشراف على طبع وإخراج ديوان "الخالصيات". يكتب د. الجراري في تصديره للديوان: "وقد بدا لي –كما سيبدو ولاشك لأي قارئ لهذه المقدمة- مدى التواصل الوثيق بين الشاعر وجامع ديوانِه ومقدِّمه، عبر رفقة جعلته ينفذ إلى أعماق ذاته ويندمج معه فيها، أي في رؤياه وما يثير من قضايا تتطلب من القارئ وعيا بما يتوقعه منه، ليس فقط فيما يتعلق بالأسلوب

[3]- أتيح لي التعبيرُ عن هذه الأواصر الروحية التي تشجني بالمرحوم الأستاذ الشاعر سيدي عبد اللطيف خالص، في كلمة بعنوان "**مُهْجَةُ مُحِبٍّ**.."، وهي كلمة ألقيتها بمناسبة إحياء النادي الجراري لذكراه الأولى عشية الجمعة 07-02-2014م.

وما قد يكون فيه من روعة وجمال، ولكن كذلك فيما يتصل بعمق التعبير الذي يتوسل به هذا الأسلوب، والذي لا يخلو من نزعة صوفية"[4].

ولعل من أبرز مجالي هذه العلاقة الوثيقة بين الشاعر وجامِع ومقدِّم ديوانه، أن الأولَ كان قد فاتحَ الثاني في أمرِ مساعدتِه على جمع شعره وطبعه. يكتب الأستاذ الجوهري في تقديمه: "... فاتحني رحمه الله مرات عديدة عن حاجته إلى مساعدته في جمع شعره وطبعه، وكنتُ أعتذر له بأن الزمن لا يُسعفني لتعدد انشغالاتي الجامعية والجمعوية، لتمر الأيام ويرحل إلى دار البقاء دون أن يتم إخراج الديوان"[5]. وفي ثنايا هذا التقديم نسجل، وكما نبه على ذلك أستاذنا عباس الجراري، أن جامع ومقدِّم الديوان ظل وفيا في ملاحظاته الأساسية التي اكتفى بها في هذا التقديم، لما كان يناقشه مع الشاعر في المناسبات المختلفة[6].

لن أنشغل ها هُنَا بتلخيص تقديم الأستاذ الجوهري؛ فهو غني بشكل يجعله مِهَادا لدراسة مستوفاة عن الديوان وصاحبه، بقدر ما يشغلني أن أرصد فقط تلك العلامات التي تترجم وفاءَ الجامع والمقدّم لصاحب الديوان؛ بحيث يشعُر الأستاذ الجوهري، "اللطيفُ واللبِقُ" كما وصفه الأستاذ خالص ذات قصيدة[7]، بدِيْن أخلاقي يطوّقه كيما يحقّق رغبة الشاعر في إخراج الديوان. و لعل هذا ما غذى طاقته المعنوية لإنجاز هذا العمل.

---

[4] أحمد خالص، عبد اللطيف، "**الخالصيات**"، ديوان شعر، جمع وتقديم مصطفى الجوهري، منشورات جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة، الرباط، 2017، ص.11.

[5] "**الخالصيات**"، م.س، ص.13.

[6] "**الخالصيات**"، م.س، ص.28.

[7] يكتب الأستاذ عبد اللطيف خالص في قصيدة بعنوان "جواب على عتاب أخوي من الأخ الأود الدكتور عباس الجراري":

فالشايُ يحلو في صفوفِ أحبةٍ ... مَعْ قهوةٍ تشفي الغليلَ فينعمُ
ويديرها الساقي الحبيبُ المصطفى ... فهْوَ الذي يرعى الجميعَ ويَخْدُمُ
بلطافةٍ ولباقةٍ معهودةٍ ... يدري الذي يهواها صِرفا ويعلمُ

("**الخالصيات**"، م.س، ص221.)

لقد كان على الأستاذ الجوهري أن يصنع ترجمة للشاعر عبد اللطيف خالص (1935م-2013م)، فيتتبع ولادته ونشأته ومراحل تكوينه، ويرصد قسمات ومميزات خبراته الإدارية والإعلامية والجمعوية، وتجاربه في التصوف والكتابة والبحث والإبداع. على أن الأستاذ الجوهري قد كشف عن الصعوبات التي واجهته وهو يهم بجمع الديوان وتقديمه؛ لذلك اعتبر أن عمله تعريفي، وأن المجموعَ الذي صنعه وبوَّبَه وعنونَ قصائده ورصدَ مناسباتِها، والذي يشكل مشروع ديوان "الخالصيات"، هو إشارةُ إخلاص وأمارةُ وفاء لما كان يجمعهما من محبة وصداقة وأخوة إنسانية. يكتب في خاتمة التقديم: "ولعلي بهذا العمل التعريفي المتواضع والمجموع الشعري الذي يُشكل ديوان "الخالصيات"، أكون قد قدمت جزءا يسيرا من كريم خصال الشاعر والأديب عبد اللطيف خالص، وجميل إبداعه وتجربته، إخلاصا لروحه واعترافا بما تقاسمته معه من حضور فاعل في الرأي والحوار والمحاضرة سواء في النادي الجراري أو في جمعية رباط الفتح، وكنت شاهدا على تجربته الشعرية وثقافته الموسوعية، وكتاباته الأدبية التي وسمت بالتألق في كل مراحلها زمانا ومكانا، مازلت أذكر له كثيرا من إشراقاتها المتميزة، مستفيدا من معطياتها التي لخصها في "الخالصيات" في زمن صار صدق اللسان وإخلاص القلب عملة نادرة شعرا ومجلسا ومجالسة"[8].

<u>الإضاءة الثالثة</u>: معالم النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات"

لنسجل بداية ملاحظتين مفتاحيتين:

أ-إن ديوان "الخالصيات" لا يستوفي كل نصوصِ الشاعر، كما أكد ذلك جامعُ ومقدّم الديوان، مما يجعل قراءتنا لمعالم النزعة الصوفية في ديوانه قراءةً أوّليةً، سواء باعتبار عدم كفاية المتن، أو باعتبار أوليةِ المقاربة التي سنقدمها هنا.

ب- إن أول ما نظمَهُ الشاعر عبد اللطيف خالص كان قريضا مولديا رأى النور عام 1957، وقد شجَّعه على مواصلةِ تجربته الشعرية وتطويرها علماءُ كبار من بينهم محمد

[8] "**الخالصيات**"، م.س، ص.33-34.

المختار السوسي ومحمد علال الفاسي وعبد الله بن العباس الجراري[9]. وهنا نفيد أمرين: أولهما أن تفتّقَ موهبتِه الشعرية كان ذا توقيع روحي يتعلق بولادة الفجرِ الأعظم صلى الله عليه وسلم؛ وثانيهما أن الشاعرَ قد حظي برعاية وعناية علماء كبار شجعوا تجربتَه الشعرية، مما جعلها مجالا للتعبير الإبداعي عن القيم الدينية والوطنية، في وشجٍ متناغمٍ بين الشعري والديني، بين العلمي والعملي، بين الوطني والإنساني، بين المحلي والكوني، بين الذاتي الفردي والهوياتي الجماعي.

وإذا نحن اقتربنا من الديوان في ضوء هاتين الملاحظتين، فإننا نلاحظ أن أبرز مجلًى للنزعة الصوفية في "الخالصيات"، يمكن الوقوف عنده في باب "المولديات"؛ أي القصائد التي نظمها الشاعرُ بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهي سبعة نصوص مولدية منها القصائد القصيرة والمتوسطة والمطولة[10]. وهذا حقل دلالي ضمن الحقول الدلالية التي تسبح في فلكها قصائدُ الديوان، حيث تتوزعها حقول "الإخوانيات" و"الغزليات" و"المرثيات" و"المساجلات" و"الوطنيات"[11]. وإذا كان حقل "المولديات" هو المجلَى الأبرز للنزعة الصوفية المذكورة، فإننا لا نعدم آثارا لها في الحقول الأخرى بين ثنايا السطور والأشطر واللغة والصور والإيقاع.

وكيما نستبينَ بعض معالم هذه النزعة في الديوان، لابد من توضيح وجيز لما نعنيه بـ "النزعة الصوفية". إننا نشير بهذا النعتِ إلى ذاك الميل الروحاني نحو الترقي عبر منازلِ مرتبة الإحسان في الدين؛ مثلما نشيرُ به إلى الاستلهامِ الذوقي من الموروث الصوفي تجربةً

---

[9] "**الخالصيات**"، م.س، ص.86.

[10] وبيان ذلك: "مولد النور"، 14 بيتا (**"الخالصيات"**، ص279)؛ "ذكرى تجدد روعة الإيمان"، 31 بيتا، (**"الخالصيات"**، ص.250)؛ "ذكرى مولد الرسول الهادي"، 32 بيتا، (**"الخالصيات"**، ص.86)؛ "ذكرى انطلاق الروح"، 39 بيتا (**"الخالصيات"**، ص.207)؛ "أهَلَّ على الوجود بنوره"، 62 بيتا (**"الخالصيات"**، ص.207)؛ "ذاتية الإسلام"، 95 بيتا (**"الخالصيات"**، ص.287).

[11] يمكن أيضا، تقديم تصنيف آخر لشعر الأستاذ خالص باعتماد توصيفهِ لشعرهِ من داخل نظمِه، وذلك استنادا إلى القصيدة التي وجهها للأديب والشاعر د. مصطفى الشليح، وهي بعنوان "عفوا أخي مصطفى" ، حيث يشيرُ الشاعر في قصيدتهِ إلى أنه نظم في "رياض الشعر" تارة في "المغاني"، وتارة في "المراثي"، وتارة في "المدائح"، وتارة في "التهاني"، وتارة في "المساجلة". (راجع: "**الخالصيات**"، ص125)؛ وإن كان التبني الإجرائي لهذا التصنيف يقتضي بنينةً شاملةً للأفق النظري النقدي الضامر في ثنايا نصوص الديوان، والتي تعَدُّ قصيدة "عفوا أخي مصطفى" مفتاحَهُ كما سنشير إلى ذلك لاحقا.

وأفقا، وذلك بما يجعل العلاقة في الدين مبنية على المحبة، محبةِ الرسول الأكرم ومحبة الحق سبحانه ومحبةِ قيم الكمال الإنساني، والتوسل لِذلكَ عبرَ محبة أرباب القوم من الأولياء والشيوخ والمريدين السالكين، والتعلق بمجالسهم وملازمة أورادهم، والتواجد على أذواقهم ومنشدَات سماعهم. ومعلوم أن الأستاذ عبد اللطيف خالص كان حراقيّ الطريقة، مُلازما أورادَها، مُعظِّما مشايخها، حافظا كلامَ القوم، وفي صدارته كلامَ شيخِها محمد الحراق الحسني (ت 1261هـ/1845م)، مشاركا في حلقِ الذكر، وفي صدارتها حلقُ طريقته الحراقية، لا تفارقُه سبحتُه، ولا يكتمُ وجدَه متى ما تحرَّك هُيامُه وتوهَّج حالهُ. ولقد طبعت هذهِ النزعةُ شخصيةَ الأستاذ خالص مثلما ارتقمتْ آثارُها في إبداعِه الشعري كما أشار إلى ذلك أستاذنا عباس الجراري في تصديره للديوان.

وإذا نحن تتبعنا معالم حضور هذه النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات"، وبعيدا عن ادعاء الاستقصاء أو الإحاطة الجامعة المانعة، يمكن أن نسجلَ أنها حاضرة في الديوانِ بشكل ظاهر وضامر. ويمكننا إجمالا أن نرصد بعض معالمها في ثلاثة: المَعْلَمْ الدلالي؛ والمعْلَم التناصّي؛ والمعلم الإيقاعي. على أن هذه المعالمَ جميعَها تجد سندها في مفهوم الأستاذ عبد اللطيف خالص للشعر، وهو ما انتبه إليه الأستاذ الجوهري في تقديمه[12]. وتكاد تختص قصيدة "عفوا أخي مصطفى" ببيان هذا المفهوم في المنظور الخالصي[13]، وهي قصيدة يمكن اعتبارُها في وضعية "ميثاق القراءة"، الذي يعقده الشاعر مع متلقيه على أرض الشعر، والذي يجبُ أن ينتظمَ كل قراءة تروم الاقتراب من القول الشعري الخالصي (نسبةً إلى الأستاذ خالص). وقوامُ هذا الميثاق، أن الشعر في مفهوم الأستاذ خالص يقوم على عناصرَ أربعة: عفوية الشعر، وصدقه، ورساليته، وإيقاعيته؛ عفوية النظم بلا تكلف أو تعمُّل؛ وصدق شعور صاحبه بلا كذب أو زيف أو ملق أو طلب زلفى؛ ورسالة يطلبها تخدم الدين والوطن والإنسانية، مع احترامِ جماليةِ الإيقاع، وبهاء موسيقاه في اللغة والعروض والمعنى.

---

[12] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 27-28.

[13] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 125.

في ضوءِ هذا الميثاق، يمكنُ أن نتلمس النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات"، من خلال تلك المعالم الثلاثة؛ المعلم دلالي، و المعلم تناصي، ثم المعلم إيقاعي.

1- المَعْلَم الدلالي

على مستوى هذا المعْلَم، تتبدى النزعة الصوفية واضحةً ومتلألئةً؛ ولاسيما في الأغراض الدلالية التي نظم فيها الأستاذ عبد اللطيف خالص ضمن باب المديح النبوي، أكان ذلك في المولديات أم في الاستشفاعيات أم في المعجزات أم في الشمائليات[14]. فمن نظمه في المولديات قوله:

لمَّـــا أتَـــى هـــذا الوجـــود محمـــدٌ ضـــاء الوجـــودُ بنـــورهِ البسَّـــامِ

وتهلَّلـــتْ أرجـــاءُ مكـــةَ نشـــوةً وتضـــوَّعتْ بالنشـــرِ أرضُ الشَّـــامِ

واهتـــزَّ هـــذا الكـــونُ فـــي مـــيلادهِ وغـــدا يـــردِّدُ أقـــدسَ الأنغـــامِ[15]

ونقرأ له في الاستشفاع قوله:

يـــا رســـول الإلـــهِ مـــدحُكَ أغلـــى مـــا ينـــالُ الضـــعيفُ منـــهُ مرامـــهْ

إن أكـــنْ شـــاعرا فهـــديُكَ وحْـــيٌ وجزائـــي الخـــلاصُ يـــومَ القيامـــةْ[16]

وقوله أيضا:

إنّـــي قصـــدتُكَ خاشـــعا متضـــرِّعا وطرقـــتُ بابَـــكَ للشـــفاعةِ راجيَـــا[17]

---

[14] يطلقُ عادة نعت "المولديات" على قصيد المديح النبوي الذي ينظم بمناسبة المولد النبوي الشريف، وإن تنوعت مساراته الدلالية ضمن باب المديح النبوي، لكننا نستعمل هذا النعت لتخصيص حقل دلالي مديحي دون غيره، وهو = =المتعلق بالفرح بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتعداد إرهاصات وبشائر ولادته، وما واكبها من معجزات وخوارق عادات، وكذا ما يتصل بهذه الولادة من إشارة إلى نسبه الشريف وما ارتبط برضاعته ونشأته قبل بعثته. ومن ثم نميز في باب المديح النبوي بين حقول "المولديات" و"الشمائليات" و"المعجزات" و"الصلوات" والحجازيات" والاستشفاعيات".
لمزيد بيان يمكن الرجوع إلى دراستنا في:
- "**فتح الأنوار ...**"، م.س، قسم الدراسة: 293-323.

[15] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 207.

[16] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 213.

[17] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 291.

وفي تعداد معجزات الرسول قولُه مثلا:

والمعجـــــزاتُ تعـــــدَّدتْ آياتُهـــــا وقضــتْ علَـى الإشْــرَاك والآنــامِ[18]

ونقرأ له من الشمائليات متغنيا بصفات المصطفى صلى الله عليه وسلمَ الخُلقية:

خلُـــــق الوفـــــاءِ ســـــبيلُه ورداؤه بَـــــرد الخـــــضرْ

فـــــدعا لطاعـــــةِ ربّـــــه بحديثــه العــذب الخــصرْ

وقضـــى فـــي شـــرحِ كتابِـــه القدســـي أوقـــات الســـمَرْ

والصـــــدق زيّـــــن قولَـــــه إذْ صيغ مـن عـذْبِ الـدّررْ[19]

ولا يقتصر الحضور الدلالي الصوفي في الديوان، فقط، على المديح النبوي، بل يشمل أبعادا دلاليةً أخرى مثل "الدعاء"، و هو ما نجدهُ حاضرا في نصوص المرثيات وفي غيرها، من ذلك مثلا قوله في قصيدة ألقاها الشاعر في الذكرى الأربعينية لوفاة الشاعر الأديب أحمد الزبيدي:

إلَهـــي إنِـــي بـــكَ مُســـتجيرٌ فقــد أوهَـى الحِمــامُ لـي اليراعــا[20]

أو قوله في قصيدته "حلّ داء وسقام" والتي نظمها بمناسبة الحمى الأسيوية التي عمت المغرب:

نَســـــألُ اللهَ شـــــفاء فمـــــن الله ســـــلامْ

كـــلّ مَـــن يرجـــو إلهـــا لا يخـــافُ لا يُضـــامْ[21]

أو قوله في رثاء العلامة عبد الله بن العباس الجراري:

إلهِي هــبْ لنــا فِي الــدين عونَــا يقِي الأوطانَ مـن هـذا الضَّـلالِ

---

[18] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 207.

[19] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 115.

[20] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 141.

[21] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 224.

وترعَـى حُرمـةَ الإسـلام فينـا ويحظَى العلـم بـالغيرِ الأوالِي[22]

إلى جانب المديحِ النبوي، تظهر النزعةُ الصوفيةُ في ديوانِ "الخالصيات" باديةً بسطوعٍ في تلكَ النصوص التي تنهل من أغراض كلامِ القوم[23]، مثل نظمه في "محبة القوم" أو الصالحين؛ يقول في أبيات قرضَها في حق أحد رجال مراكش السبعة الإمام السهيلي:

يا رَبِّ خلّد بفضلٍ منكَ سيَّدنا وليَّـك المرتـضى إمامَنـا السُّـهيلِي

هـو الإمـامُ الـذي عمَّـت مـآثرُه فـي العـالمينَ ومـا ضـمَّتْهُ مـن دولِ

فصـاحبُ "الـروض" مرفـوعُ خطَّـت يـداه لأهـلِ العلـم والمِلَـل

إن الريـاضَ إذا لاحـت بشـائرها لـن تبلـغ "الـروضَ" في وَشـي وفي حُلـلِ

فجـدْ عليـه بِعفـوٍ منك يَشـملُنا وخُصَّـهُ بالرِّضـا والمقـامِ الجَلِـي[24]

ويصل هذا الأفقُ مداه حين يخصص الشاعرُ أبياتا لمدح شيخه الصوفي مؤسس الطريقة الحراقية العارف محمد الحراق، وأخرى لحفيده سيدي عرفة الحراق، ووارث سرِّ هذا الأخير مولاي الغالي الحراق، وهما الشيخان اللذانَ عاشرهما الشاعرُ وارتشفَ من مذاق التجربة الروحية بصحبتهما؛ بل إن الأستاذ خالص، وحرصا منهُ على امتدادِ المشرب الصوفي الحراقي متوهِّجا، راح يمدحُ المرشحَ المستقبلي لحملِ مشعل هذه الطريقة الأستاذ الشابّ محمد نور الدين الحراق، مشجّعا إياهُ على التأهب لحمل الأمانةِ واقتفاءِ أثر أجداده في صونها والرقي بها. وقد ضمَّنَ ذلكَ في قصيدةٍ نظمها بمناسبة ختم الأستاذ عبد الواحد أخريف شرحَه على "همزية" الإمام البوصيري بالزاوية الحراقية بتطوان، يقول فيها:

---

[22] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 184.

[23] للتوسع في أغراض كلام القوم، يمكن الرجوع إلى: "**فتح الأنوار...**"، م.س، قسم الدراسة: 324-363.

[23] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 207

[24] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 198؛ انظر كذلك إشارةً أخرى إلى الإمام السهيلي في: ص.134.

فهُـمُ هـمُ واللهِ أعـلامُ الهُـدى ... وحِمى المريـدِ الخـالصِ المُتَعاهـدِ

فإمامُنَـا الحـراقُ قطـبُ طريقـةٍ ... فاقــتْ طرائــقَ كــلِّ غــادٍ واردِ

فمحمَّـد سـبطُ النبيِّ المُصـطفى ... ووسـيلةُ الفقـراء عمـق التعاضُـدِ

وهـــو المُربّـــي والمعلـــمُ أو لا ... وهـو المجلّي بـديعَ طـودِ قصـائدِ

وهـو المحـبُّ لِجـدِّهِ المختـارِ مَـنْ ... مَـاءُ الوُجـودِ بنُـورِهِ فِي المَوالِـدِ

وحفيـدُه الغَـالِي النبيـلُ المُرتـضَى ... شـيخُ الطريقـةِ في الزمانِ السَّائِدِ

إلى أن يقول مشيرا إلى الشاب محمد نور الدين الحراق أملِ الطريقة الحراقية ومستقبلِها:

أمحمَّـــدُ يـــا مرتجَـــى آمالِنَـــا ... ووريـث شـيخ في الطريـقِ مجاهـدِ

صُـنْهَا طريقــةَ جــدِّكُمْ وأبــيكُمُ ... وارفـعْ منـارَ الـذّكرِ رغـمَ شـدائدِ

وتمسَّـــكَنَّ بأحمـــدٍ وبدينِـــهِ ... وأصـالَةٍ تسـمُو بفـنٍّ خالـدِ[25]

وإجمالا، فإن حضور النزعة الصوفية على المستوى الدلالي تكادُ تتسلل إلى كل نصوص الديوان، وإن تعددت أغراضها وأبوابها حيث تحضر بشكل مباشر أو غير مباشر؛ إذ ما الصداقةُ التي ترفدُ مثلا أغراضَ "الإخوانيات" و"المراثي" و"المساجلات"، وما حبُّ الوطن الذي يتجسد في باب قصائد "الوطنيات"؛ وما الشعور الإنساني الرفيعُ الذي يشرق في قصيد "الغزليات"، إلا أوجهٌ لصفاء الجَنَانِ ومحبة الإخوان والإخلاصِ للأوطانِ ورحموتيةِ الوجدان والإشعاع على المحيط بالإحسان. وهي مما يربّى عليه شيوخُ الزاوية مريديهم. قلِ الأمر نفسَه على قيمِ الوفاء والاعتراف والاعتذارِ والكرمِ والجمال، وهي كلها قد تجد ممْتَحَها في أركانِ الطريقة الحراقية ذات المنزع الجمالي لا الجلالي، والقائمة على

[25] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 94.

قيمةِ الفضل وأخلاق الشكر وإظهار الجمال في الحس والمعنى، لا على البذاذة وأخلاقِ التجردِ وإظهارِ الجلال وتخريب الظاهر؛ إذ معلوم المنحى الصوفي الجمالي الذي لخصه الشيخُ الحراق بقوله: "دخلتُ من باب الفضل فلا أدل إلا عليه"[26]؛ ومعلوم أنهُ شيد طريقته على أركان أربعة: "ذكر ومذاكرة وعلم ومحبة"[27]؛ وهي أركانٌ يمكنُ في ضوئها قراءةُ جل نصوص الديوان مهما اختلفت آفاقها الدلالية.

2- المَعْلَم التناصّي

ونشير بهذا المعْلَمِ تحديدا إلى تلك الأشكال المختلفة من الحِوار والتداخل النَّصيين، بين أشعار ديوان "الخالصيات" ونصوص شعرية صوفية حاضرة بغيابها في الديوان، إذ تمثلُ نصوصا غائبة تظهرُ آثارها وأصداؤها في شعر الأستاذ عبد اللطيف خالص بهذهِ الصورةِ أو تلك؛ خاصةً وأن الشاعرَ كان يحفظ كثيرا من الأشعار الصوفية، وبشكل أخص أشعارَ شيخ طريقته الحراقية، وكذا الأشعارَ المديحية والعرفانية المتداولة في السماع الصوفي الحراقي عموما، والرباطي منه تعيينا.

ونجد ألوانا من هذا التنَاصّ حاضرةً في ديوان "الخالصيات" من خلال التضمين أو المعارضة[28] أو حضور آثارِ بعض الأساليب المشهورة في كلامِ العارفين؛ بل يمكن تلمّس حضور الذاكرة الشعرية الصوفية في المعجم الشعري لكثير من نصوص الديوان، والتي تستعمل معجما ذوقيا عرفانيا يمتحُ إيحاءاته من خصوصية اللغةِ الصوفية في الأحزاب والأوراد والصلواتِ والحِكَمِ وكلامِ القوم (من مفردات هذا المعجم تمثيلا: تصوف،

---

[26] الدلائي الرباطي، محمد بن العربي، "**النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق**"، مخ. م.و. بالرباط، رقم 275د: و.1/ب؛ الوزاني، التهامي، "**الزاوية**"، التهامي الوزاني، مراجعة وتقديم عبد العزيز السعود، منشورات مؤسسة التهامي الوزاني للثقافة والتراث-مركز التوثيق والدراسات حول شمال المغرب، تطوان، 1419هـ-1999م، ص.160.
وإلى هذا يشير الشيخ الحراق في مواضع متفرقة من ديوانه، منها قوله:
تَقَدَّمَ لِي عِنْدَ المُهَيْمِنِ سَابِقٌ مِنَ **الفَضْلِ** وَاسْتَدْعَاهُ حُكْمُ المَشِيئَةِ
(الحراق، محمد، "**شعر محمد الحراق الصوفي**"، تحقيق ودراسة وصفية تحليلية نعيمة بويغرومني، كتاب ناشرون، (لبنان)، 2018، ص.252).
وكذا قوله:
وَنَالَ الذِي يَهْوَى وَمَا ثَمَّ غَيْرُهُ رَقِيبٌ **وَبَابُ البَيْنِ بِالفَضْلِ مُغْلَقُ**
("**شعر محمد الحراق الصوفي**"م.س، ص.290.)

[27] "**النور اللامع البراق..**"، م.س: و. 1/ب.

[28] مع أن "المعارضة" وجهٌ من أوجهِ التناصّ، فإننا سنتناوَلُ بعض ملامحِها الحاضرَةِ في الديوان في المعلَمِ الإيقاعي، مادامت المعارضةُ في "الخالصياتِ" تتعلقُ أساسًا بالعروضِ والقافيةِ، أي بالإيقاعِ الخارجي، دونَ باقي مكونَاتِ المعارَضةِ، وما دام الإيقاعُ الخارجي يتفاعلُ مع مكونات الإيقاع الداخلي لنسجِ الأفق الصوفي في المَعلَم الإيقاعي؛ وهو ما يعني أن التمييزَ بين المعالِمِ الثلاثة لا يلغي ما بينها من تقاطعات وتوالجات، ويجعلُ من المماثَزَةِ بينها تمييزا إجرائيًّا ليس إلا.

صوفي، شيخ، مريد، زوايا، قطب، طريقة، حقيقة، ذكر، أنفاس، الساقي، الشراب الصرف، الشراب الممزوج، الصب، الغرام، الوصال، السر، أهل الهوى...). ويحتاج هذا الأفقُ بشِعَابهِ المتنوعةِ إلى دراسة خاصة يختلفُ مسارُها عن الاقتراب الأولي الذي ارتضته دراستنا هاتهِ لديوان "الخالصيات". لذا، سنكتفي هنا ببيان بعض الآثار والأصداءِ النصيّة في ديوان "الخالصيات" لثلاثة أعلامٍ من كبار الشعراء الصوفيين؛ ويتعلق الأمر بمحمد شرف الدين البوصيري (ت608هـ/1211م)، وعمر بن الفارض (ت632هـ/1235م)، ومحمد الحراق الحسني.

أ- من أصداء "همزية" الإمام البوصيري الشهيرة، "أم القرى في مدح خير الورى" في ديوان "الخالصيات" مثلا قولُ الأستاذ خالص في قصيدة رثى بها الفنان أحمد البيضاوي:

أطـربَ الســامعينَ منـكَ غنـاءٌ وجَّـهَ الشَّـعبَ للنضـالِ وجنَّـدْ[29]

والشاعر هنا ينظر لقول البوصيري في "همزية":

أطـربَ الســامعين ذكـرُ عُـلاه يـا لَـرَاحٍ مَالــتْ بِهَـا النُّـدماءُ[30]

وقول الشاعر في ختام نفس المرثيةِ:

مَـا أقَـامَ الصَّـلاةَ عبـدٌ مُنيـبٌ قَصـــدَ اللهَ دائمًـــا وتَعبَّـــدْ[31]

وهو في ذلك ينظر لختام "الهمزية"، في قول الإمام البوصيري:

مَـا أقـامَ الصـلاة مـن عبـد اللـ ـــهَ وقامــتْ بربهــا الأشــيَاءُ[32]

---

[29] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 78.

[30] البوصيري، محمد شرف الدين، "**ديوان البوصيري**"، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص.69.

[31] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 19.

[32] "**ديوان البوصيري**"، م.س، ص.73.

وقول الأستاذ خالص أيضا في قصيدة "إيليا أبو ماضي في ذكراه الثالثة":

لـمْ تـزَلْ في ضـمَائرِ الكونِ تحيَى مثـل الحـبِّ والإخـاءِ والأمانـهْ[33]

و فيه ينظر لقول الإمام البوصيري في "همزيته":

لـمْ تـزلْ في ضـمائرِ الكونِ تختَا رُلـــكَ الأمَّهـــاتُ والآبـــاءُ[34]

ب- ولشعرِ سلطان العاشقين عمر بن الفارض في ديوان "الخالصيات" آثار وظلالٌ تدلُّ على ولعِ الأستاذ خالص بقصائد ابن الفارض، وافتتانهِ بقريضهِ، من نماذجِ ذلكَ، قول الشاعر عبد اللطيف خالص:

إن الغـرامَ هـوَ الوصـالُ حقيقـةً لـيسَ الغـرامُ تمنيّـا ودعـاءَ[35]

وهو في ذلك يذكرنا بـ"رائية" عمر بن الفارض التي سبقَ لصديقهِ الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور أن سجَّلها، وبإيحاءٍ منه، مُلحَّنةً مع جوق الإذاعة للموسيقى الأندلسية في عمل سماعي رائد عام 1961 تحت عنوان "الكواكب اليوسفية"[36]؛ وينظر الشاعر خالص في البيت المذكورِ تعيينا لقول ابن الفارض:

إنّ الغـرامَ هـو الحيـاةُ فمُـتْ بـهِ صبًّا فحقُّك أن تموتَ وتُعذَرا[37]

ونجد كذلك صدى لهاتهِ الرائية في قول صاحب "الخالصيات":

قـــلْ للـــذينَ تـــردَّدُوا وتلكَّـــأوا واســتعْبَدُوا الأقــدامَ والأكْبَابَــا

العلْـمُ يـا أغمـارُ سـلطانُ الـورى والعقـلُ أصـبحَ أسّـه اسـتلابَا[38]

وهو في ذلك ينظر لقول سلطان العاشقين:

---

[33] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 253.

[34] "**ديوان البوصيري**"، م.س، ص.45.

[35] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 42.

[36] سجل الأستاذ بنمنصور عمله الفني على رائية ابن الفارض "الكواكب اليوسفية في الأمداح النبوية" لدار الإذاعة سنة 1961م، لكن هذا العمل لم يطبع ورقيا وينشر مزيدا ومنقحا إلا سنة 1970.

[37] ابن الفارض، عمر، "**ديوان ابن الفارض**"، تحقيق عبد الخالق محمود، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1995م، ص.369.

[38] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 45.

قلْ للذينَ تقدمُوا قبلي ومَن بعدِي ومَنْ أضحى لأشجَانِي يَرى

عنِّي خُذُوا وبيَ اقتدُوا ولِي اسمعُوا وتحدَّثُوا بصبابتِي بينَ الورَى[39]

ونجد صدى لهذين البيتين في غير هذا الموضع من الديوان[40].

ومن معالم فارضيةِ الذاكرة الشعرية الخالصية قولُه أيضا في الديوان، وتحديدا في قصيدة ألقاها بمناسبة تكريم الأستاذ الدكتور عباس الجراري بمراكش[41]:

عُودُوا لما كنتمْ عليه مِنَ الوَفَا لشعارِ أمَّتنا فأنتمْ جابرُهْ[42]

والشاعر هنا يضمِّن صدرَ قولِ ابن الفارض في "فائيته":

عُودُوا لَمَا كنتمْ عليهِ مِنَ الوفَا كرمًا فإني ذلك الخِلُّ الوَفِي[43]

ج- ولعل أبرز مجلًى للنزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات" على المستوى التناصِّي، هو الحضورُ المنتشِر في قصائدِ الديوان لآثارِ وأصداءِ وظلالِ أشعار شيخ الطريقة الحراقية ومؤسِّسها محمد الحراق الحسيني. وهو أمر لا يحتاج إلى تعليلٍ ما دام الوجدانُ الصوفي للشاعر قد تغذَّى روحيا على أذكارِ هذه الطريقة وأورادها، مثلما سلكَ على يد شيوخها، وتواجد في حلقاتِ أذكارها، وانتسجت أحواله ومذاقاته من رحيق شرابها؛ فالشيخ الحراق إمامُه في السلوك كما أشارَ إلى ذلك في قوله:

فإمامُنا الحراقُ قطبُ طريقةٍ فاقتْ طرائقَ كلِّ غادٍ وارِدِ[44]

وكيما نحرر القول بأمثلة، نقرأ في "الخالصيات" قول الشاعر:

بُحْ بالغرام ولا تخَفْ إفشاءَ واجهَرْ بمَنْ تهوَى صباح مَساءَ[45]

---

(39) **"ديوان ابن الفارض"**، م.س، ص.369.

(40) انظر مثلا: **"الخالصيات"**، م.س، ص.288.

(41) نُظم التكريم من 12 إلى 14 نونبر 1994.

(42) **"الخالصيات"**، م.س، ص. 137.

(43) **"ديوان ابن الفارض"**، م.س، ص.337.

(44) **"الخالصيات"**، م.س، ص. 93.

(45) **"الخالصيات"**، م.س، ص. 410.

وهو في ذلك ينظر لقوله "إمامِه" الحراق:

بُحْ بالغرامِ وبثَّهُ ترتاحُ واشرَحْ هواكَ فما عليكَ جُنَاحُ[46]

هذه "الحائية" نجد صَداهَا أيضا في قول الشاعر خالص أيضا:

وتسَابقُوا فرحًا إلى حلقاتِهِ واستمتَعُوا فيها بسرّ زائدِ[47]

وقوله في نفسِ القصيدة:

فتراقصتْ طربًا بنيل مُرادِهَا وتمايلتْ أرجاؤُهَا بأناشِدِ[48]

والأستاذ خالص ينظر في البيتين إلى قول الشيخ الحراق في "حائيته":

فتراقصُوا طربًا على لذاتهمْ وتواجَدُوا فيه بذاكَ وصاحُوا[49]

ونقرأ كذلك في "الدالية" التي رثى بها الأستاذ خالص الشاعر الفنان أحمد البيضاوي قولَه:

كيفَ أسْلُو وأنتُمُ الرُّوحُ مِنِّي كيفَ يحلُو الوُجُودُ بعدكَ أحمدْ[50]

والشاعر هنا يضمن صدْرَ قول الشيخ الحراق:

كيفَ أسلُو وأنتمُ الرُّوحُ مِنّي ودِمائِي حقيقةً وعِظامِي[51]

كما نجد الشاعر عبد اللطيف خالص يقول في نفسِ "الدالية":

منيةُ الصبِّ كنتَ لي خيرَ زادِ أذهبَ اليأسَ والجفاءَ وأبعَدْ[52]

---

[46] "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.275.

[47] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 92.

[48] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 94.

[49] "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.275. وفيه "فترقصوا"، وما أثبتناهُ أعلاهُ هو السائد والسائرُ في الرواية الشفاهية المتواترة بالزاوية الحراقية الرباطية.

[50] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 77.

[51] "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.298.

[52] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 78.

وهو في ذلك ينظر، أسلوبًا، إلى قول الشيخ الحراق في نفس "الميمية":

حكمــةُ الــشرع أثبتنـيَ لَمَّــا سمَّتِ الكونَ كلَّهُ بأسَامِي[53]

وفي الرائية الخالصية التي اعتبرنا آنفا أنها تتبوأ وضعية ميثاق القراءة بين الشاعر ومتلقيه، والتي يخاطب فيها الشاعرُ المبدعَ د. مصطفى الشليح، نجدُه يقول فيها عن "رجال النّادي الجراري":

هــمُ الرّجــالُ أدامَ اللهُ مجــدَهُمُ فكلُّهـمْ مُـدرِكٌ علّامـة كـالحبرِ[54]

وهنا يضمّن الأستاذ خالص صدْرَ آخرِ بيت في "همزية" الشيخ الحراق "لجَّ المعاتِبُ في لومِي فَقلتُ لَهُ.."، وهو البيتُ الذي سارَ في الزوايا الحراقيةِ مضربَ الأمثال، وأصبحَ من الشواهد الجارية على ألسن المريدين، وفيه يقول الحراق:

هــمُ الرجــالُ أدامَ الله مجــدَهُمُ والغيـرُ والله أوبــاشٌ وغوغــاءُ[55]

ونقرأ في نفس "الرائيةِ" الخالصية، قولَه عن رجال النادي الجراري:

ولا أريدُ ازوِرَارًا عَنهُمُ أبَدًا وإنني "خالصٌ" ما كنتُ بالمزورِ[56]

وهو هنا ينظر إلى قول الشيخ الحراق من قصيدة "نونية":

ولا أريــدُ اصــطبارًا عــنهمُ أبــدًا عنـدِي ولا أتمنَّى مَـا يُسـلّيني[57]

وعلى الجملة، فإن هذه مجردُ نماذجَ أردنا بها التمثيلَ لحضورِ آثار ثلاثة أعلام صوفيين في ديوان "الخالصيات"؛ أسماء لها اعتبارٌ خاص ومتوهج في حلقات الذكر بالزاوية الحراقية، وخصوصا في المدرسة السماعية الحراقية الرباطية؛ والتي كان يحرص الأستاذ عبد اللطيف خالص على العناية بحلقاتها والمحافظةِ على مميزاتها؛ ليس فقط في

---

(53) "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.249.

(54) "**الخالصيات**"، م.س، ص. 126.

(55) "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.239.

(56) "**الخالصيات**"، م.س، ص. 126.

(57) "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص.302.

النصوص المُنْشدَة، وإنما أيضا في طرائق وأساليب الإنشاد مما كانت تستوعبُه ذائقتُه وتحتفي به ذاكرتُه. ولعلَّ هذا هو ما يفسِّر حضور هذه الأصداء الشعرية البوصيرية والفارضية والحراقية في ديوان "الخالصيات". على أن ثمة آثارا وأصداءً لنصوص وموشحاتٍ أخرى في الديوان تحتاج، كما أسلفتُ إلى مقاربة موسَّعَةٍ، تُعيد قراءةَ مفهومِ التناصِّ بين نصوص "الخالصيات" وغيرها من نصوص القوم، انطلاقا من مكانٍ قرائي يعيدُ صياغةَ المفاهيم النقدية المتعلقة بحوار النصوص من منظور صوفي إشاري[58].

3- المعْلَمْ الإيقاعي

نشير بهذا المعلَمِ إلى ألوان الأثرِ، أثرِ الذاكرةِ الشعرية الصوفية أو أثرِ التجربة الروحية الذاتية، على الإيقاع الشعري في ديوان "الخالصيات"؛ سواء تعلق الأمر بالإيقاع الخارجي أو بالإيقاع الداخلي في قصيد الديوان، وسنمثِّل للأمرين بما يضيءُ هذا الأفق على غرار تناولنا للمَعْلَمَيْنِ الآنفين. فإذا نظرنا في ديوان "الخالصيات" على المستوى العروضي، والذي يشكّلُ أبرزَ مظهَرٍ للإيقاعِ الخارجي، وقفنا على هيمنة بعض البحور الخليلية، وفي مقدمتها بحور الكامل والوافر والخفيف؛ ووجدنا أن بناء بعض هذه البحور على صعيدِ العروض والقافية قد جاءَ متأثرا بنصٍّ من نصوص القوم، له في الوجدان الصوفي للشاعر أثر وصدى. من ذلك مثلا النصّ المولدِي الذي كان أوَّل ما افتتح به الأستاذ خالص قرضَ الشعر، أعني "رائيته" من مجزوء الكامل، والتي مطلعها:

ذِكـــراكَ يـــا خيـــرَ الـــبشرْ تُحيـــي مَناقِبَـــكَ الغُـــررْ[59]

فهي نسجٌ أنيقٌ على منوال العروض والتقفية في نص الشيخ الحراق الذي مطلعُه:

الصـــــبرُ بـــــابٌ للظفـــــرْ واللهُ يـــــرحمُ مَـــــنْ صـــــبرْ[60]

والمقارنة بين النصين تؤكد التواشج الدلالي والإيقاعي بينهما.

---

[58] يمكن الرجوع بهذا الخصوص إلى دراستنا: "**المعارضة الشعرية الصوفية في ديوان الشيخ محمد الحراق**"، مجلة "**عوارف**"، ع2007/2: ص:82-101.

[59] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 114.

[60] "**شعر محمد الحراق الصوفي..**"، م.س، ص277.

المثال الثاني في باب الإيقاع الخارجي، معارضةُ الأستاذ عبد اللطيف خالص مثلا لخفيف شمس الدين النواجي (ت859هـ/1455م)، وإن كانت المعارضة غيرَ تامة؛ إذ تشمل الوزن والقافية ولا تطول دائما الغرض والدلالة. يقول النواجي في مطلع قصيدته:

عَلِّلُوهُ بطيْبَةٍ وبرامَهْ وعُرَيْبِ النَّقَا وحيِّ تِهَامَهْ[61]

وهي من ألمع القصائد التي كان ينتشي لها الأستاذ خالص، ويطلبُ من شيخنا عبد اللطيف بنمنصور أن ينشدَهُ إياها في مجالس المديح النبوي؛ لذا نجد آثارَها الإيقاعية، عروضا وقافية، حاضرةً في عددٍ من نصوص ديوان "الخالصيات"، من ذلك المولديةُ التي مطلعها:

بينَ غارِ الحرا وَربوةِ شامَهْ بَزَغَ النُّورُ ناشِرًا أعلامَهْ[62]

وقد ظهر التأثر الإيقاعي لشاعرنا بهذا "الخفيف" في غير غرض المديح، كما هو شأنُ تحيتهِ الشعرية للأستاذ عبد الرحمن اليوسفي، والتي مطلعها:

أيُّهَا الرائدُ المجلِّي سَلَامِي ودُعَائِي لشخصِكُمْ بالسَّلامهْ[63]

أو كما هو الشأن مع قصيدته الرثائية للفقيه الصديق الشدادي، والتي مطلعُها:

عَطَّرَ اللهُ في الثَّرَى جُثْمانَهْ سيِّدٌ ينْدُبُ التقَى فقدانَهْ[64]

أو قصيدته المنظومة بمناسبة الذكرى الثالثة لرحيل إيليا أبو ماضي، ومطلعُها:

ينْدُبُ الشعرُ عهدَهُ وزمانَهْ وتُنَاغِي فنونُه شيطانَهْ[65]

وكذا في قصيدته الرثائية للمجاهد أبي بكر القادري، ومطلعُها:

---

[61] "**المجموعة النهانية في المدائح النبوية**"، جمعها يوسف بن اسماعيل النبهاني، دار الفكر، القاهرة، (د.ت)، ج4، ص.110-114.

[62] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 112.

[63] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 214.

[64] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 246.

[65] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 253.

سـيِّدٌ سـادَ بـالتُّقَى والأمانـهْ سـيِّدًا ينـدُبُ الـورى فقدانَـهْ[66]

وتحضر النزعة الصوفية في ديوان "الخالصيات" على المستوى الإيقاعي داخليا في مواضع متفرقة، لعل أوْهَجها ذاك التكرارُ الوَجدي لصيغة "الله حي" الذي تضمخَت به إحدى قصائد الديوان. وهو تكرار "حضَّاري"[67] تسبيحي يسري معَ الأنفاس الذَّاكِرة، ويُشيرُ إلى تواجدِ روح سيدي عبد اللطيف وتبَلُّلِها بماءِ الغيبِ في حلقات الذكر والعمارة أثناءَ محافل السماع الحراقي؛ حيث كان ينتفضُ منه الجسدُ وجدًا، وتشتاق روحه للعروج إلى الملكوت الأسمى، وهو يلهَج بلسانه ويسبِّح بأنفاسِه مرددا صيغة "الله حي". إيقاعُ الوجد هذا هو الذي سرى في ثنايا قصيدةٍ نظمها الأستاذ خالص بمناسبة الاحتفال بختمِ العلامة الشاعر عبد الواحد أخريف لدروسهِ في شرح الهمزية البوصيرية بالزاوية الحراقية بتطوان[68]، يقول فيها:

اللهُ حـيٌّ دعـوةٌ تجلـى بهَـا عنَّـا الهمـومُ وكـلُّ شـرٍّ بائـدِ
الله حـيٌّ دائـمٌ فـي قلبنـا وبروحِنـا نبـراتُ ذكـرٍ شـاهدِ
الله حـيّ صـيحةٌ مفعُولُهـا قـد ردد بهـا قلوبنـا بتـواردِ
الله حـيٌّ قولـةٌ مـأثورةٌ تسـري مـع الأنفـاسِ دون تسـاعدِ[69]

وكأني هنا بسيدي عبد اللطيف خالص يُلبسُ القصيدةَ سُبحتَه الذَّاكِرة، فيسري الوجدُ دبيبا روحانيا في أوصالها، لِتتوهج لغةُ قصيدتهِ بإيقاع الأصوات الخاشعةِ والأنفاس الهامسة، "وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا"(سورة طه، الآية 105). لغة بهذه الملامح "تُمرِّنُ قارئهَا على عشقِ الصمتِ، والانتشاءِ بالصدى؛ لأنها

---

[66] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 264.

[67] اسم لنوع خاص من الإيقاع الصوفي السماعي، يُستعمل في منشَدَاتِ حلقاتِ الذكر حين تتوهجُ المواجيد في حلقة "العمارة". لمزيد تفصيل يمكن الرجوع إلى: "**فتح الأنوار...**"، م.س، قسم الدراسة: 387 وما بعدها.

[68] نظم هذا الاحتفال بتاريخ 29 صفر 1418م (5يونيو 1997).

[69] "**الخالصيات**"، م.س، ص. 93.

تحتفظ بسرّها وهيبتِها، أعني هيبةَ العشق التي لا تعادلُها هيبةٌ. إنها لغة تستدعي ذوقَ القارئ لـ"يَحْتَسِيَ" معناها، فهي لا تكتفي بقولِه، بل إنها لا تقولُه، وإنما "تهمِس" به، تستشرفُه، تبذُرُه في مستقبَلِ قراءةٍ عاشقةٍ لها نكهة "الرقص""[70].

تلكَ مقتَضبَاتٌ وإشارات تُضيء النزعةَ الصوفيةَ في ديوان "الخالصيات" على مستويات المعالم الثلاثة، دلالةً وتناصا وإيقاعا. على أن هذهِ النزعةَ تنبعُ من التجربةِ الذاتيةِ للشاعرِ، والتي تسري في الديوانِ منذُ عنوانه. فتسميةُ الشاعرِ ديوانَهُ بـ "الخالصيات"، فيه دلالة على انغراسِ الذات في ما تكتبُه؛ إنه لا يكتب شعرا بما هو قول وصفي براني يرصدُ العالم في واقعيته الماديةِ الخارجة عن كل ذات، بل يقدم الشعر كتوقيع وجودي ذاتي؛ شعرًا "يخلِصُ" لهُ صاحبُه متودّدا لهُ أن يقولَ بعضا مِن أحلامهِ وآماله، من انهماماتهِ ورهاناته، من أحوالهِ ومواجيده؛ أو ليهمِسَ ببعضٍ مما لا ينقالُ بغير إشاراتِ الشعر وهمساته.

على سبيل الختام

وإجمالا، لم يكن لهذه المقاربة أي قصدٍ استفائي أو غاية استقصائية، وإنما كان القصدُ منها التعبير عن وفاء مزدوج؛ وفاء للمكرَّم الأستاذ الدكتور المصطفى الجوهري، أستاذا متمكنا، وأخا كريما، وصديقا عزيزًا؛ وكذا الوفاء لعزيزنَا وأخينَا وقسِيمِنا في المشرب الذوقي الصوفي الشاعر المرحوم سيدي عبد اللطيف خالص، من خلال الاقتراب من ديوان "الخالصيات" الذي تولى الأستاذ الجوهري جمعه والتقديم له. وهو ما أملى على هذه المقاربة الاقتراب من النزعة الصوفية التي تتخلل ديوان "الخالصيات"، والتي نبه عليها أستاذنا د. سيدي عباس الجراري في تصديره للديوان.

هكذا، شملت مقاربتنا لمعالمِ النزعة الصوفية في هذا الديوان مستوياتٍ ثلاثة: المستوى الدلالي والمستوى التناصي والمستوى الإيقاعي؛ وهو ما مكننا من أن نبرز بعض

[70] الحراق، محمد التهامي، "**إني ذاهبٌ إلى ربي...مقاربات في راهن التدين ورهاناته**"، دار أبي رقراق، الرباط، 2016، ص328.

علامات المنزع الصوفي في الديوان معنى ومبنى، دلالة وإيقاعا، ذاكرة وإبداعا. ولعل هذه العلامات هي التي تعلل، في وجه من الوجوه، خروجَ بعض مولدياتِ الشاعرِ إلى فضاء التلقي الغنائي العصري، مثلمَا تفسِّر استعمالَ بعض نصوصه المديحيةِ ضمنَ منشَداتِ البرامج الفنيةِ لبعض مجالسِ المديح النبوي؛ ساعدَ على ذلكَ اعتمادُ الأستاذ خالص لغة سلسة بسيطة واضحة بعيدا عن غريبِ الألفاظ وحوشيها، مما جعلَ لغتهُ الشعريةَ تُشرق في إيقاع قريبٍ عذب، يحتفي بتناغمِ الحروفِ، وتصادي مخارجها، وتجارسِ كلماتها، فضلا عن إيقاعيةِ العروض، واستثمار الشاعرِ لما فيه من تلويناتٍ وتشكيلاتٍ تأتي عفوَ مواجيدهِ؛ كل ذلك وغيرهُ أضفى غنائية خاصة على نصوصه أهَّلَها للترنيمِ والغناء.

وإذ نؤكد، في الختام، أن غنى التجربة الشعرية الخالصيةِ يستدعي مقاربتَها من أماكن قرائية متعددة ومتنوعة؛ وأن رحابةَ الموضوع الذي باشرنا تقديم إضاءات بخصوصِهِ في حاجةٍ إلى مزيدِ سبرٍ وتعميق، فإننا نَأمل أن يتوسّع ديوان "الخالصيات" في طبعة ثانية يطمح إليها د. مصطفى الجوهري لتستوعبَ نصوصا أخَرَ للفقيد، من شأنها أن تضيء بمزيدٍ من الأنوار هذا الأفقَ الصوفي في تجربتهِ الشعريةِ؛ بل وأن تفتح بصائرنا على ثراءِ هذه التجربة الثقافية والوجودية والروحية لعلَمٍ مغربي أصيل، حمَلَ الإخلاصَ في اسمه، وأودعَنَا نحن أحباءَهُ أمانةَ الإخلاصِ لصداقته ومحبتِه.

****

فكر الجراري التربوي : أسسه ومرجعياته من خلال كتاب "عبد الله بن العباس الجراري الأديب"

د. محمد أحميد*

في تاريخ المغرب شخصيات مرموقة، ملأت سمع الناس وبصرهم بما أسدته لبلادها خاصة والأمة العربية الإسلامية عامة من خدمات جليلة، وما قدمته في سبيل ترقية ناشئتها، والنهوض بأحوال التربية وأوضاعها، وتنوير أذهان المربين وصقل مهاراتهم، وتبصيرهم بما لهم وما عليهم، وتثبيت أقدامهم على الطرائق والاستراتجيات التربوية الآمنة والهادفة، وتعد هذه الشخصيات بالعشرات – إن لم نقل المئات- تركت بصماتها الجميلة على الأساتذة والطلبة والتلاميذ وعموم المواطنين في مجالات الحياة المختلفة المقاصد والاتجاهات والغايات، فبعضها استهواها عالم التنظير التربوي، وبعضها عشق التدريس والتأطير، وبعضها استأثر بها الأدب شعرا ونثرا، وبعضها أعجبت بمجالات أخرى وبرزت فيها، وكما قال الشاعر:

وللناس في ما يعشقون مذاهب وحكمة ربي في اختلاف المشارب

ويعتبر المربي الوطني الدكتور مصطفى الجوهري مفخرة مدينة الرباط خاصة والمغرب عامة من هذه الشخصيات اللامعة التي سجلت اسمها في سجل مثقفي الأمة المغربية ، لما له من حضور قوي في مجالات الأدب والثقافة والتربية الوطنية الصادقة.

والكتاب موضوع دراستنا " عبد الله بن العباس الجراري الأديب" لصاحبه الأستاذ مصطفى الجوهري، من الحجم الكبير يتكون من 278 صفحة، وهو من منشورات النادي الجراري -4 - الصادر عن دار "الهلال العربية للطباعة والنشر" سنة1995.

* أستاذ التعليم العالي، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم، الرباط.

وسنعتمد في تحليلنا لهذا الكتاب منهجا تحليليا شاملا لتقنية تحليل المحتوى باعتبارها (الأداة الكفيلة بتحليل مختلف أنواع الخطاب كتابية كانت أو شفاهية أو إشارات دالة ، فمجالها يتنوع بين:

- مجال اللغة المكتوبة
- مجال اللغة الشفاهية
- مجال اللغة غير المكتوبة أو المنطوقة) (1)

وهكذا سنحاول في مقاربتنا لهذا الكتاب الإجابة عن أسئلة الخطاطة التالية :

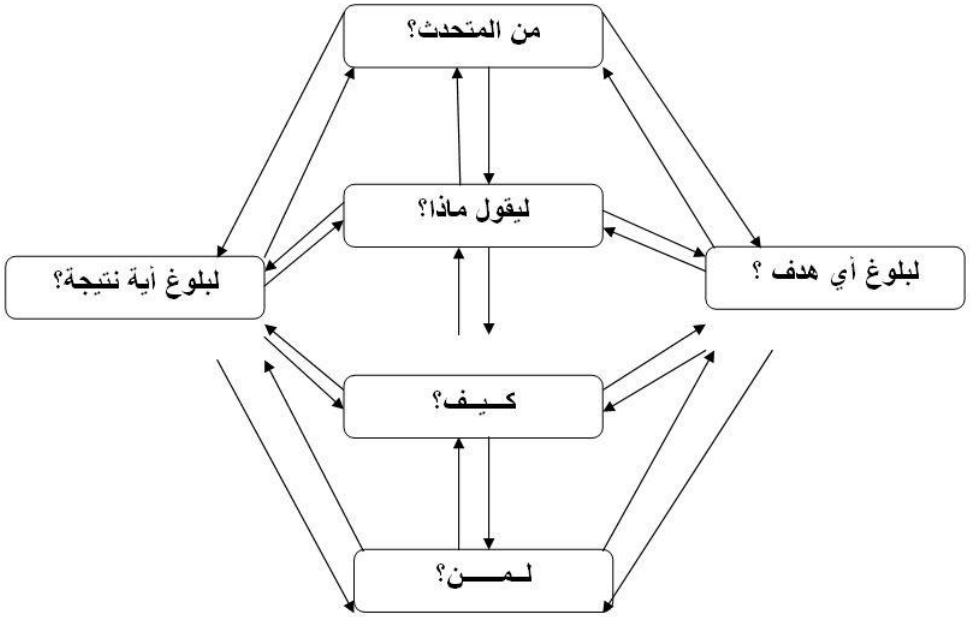

أولا، من المتحدث؟ من العناصر التي تحظى بعناية النقاد الأكاديميين المنطلقين من القراءة الداخلية للنص المؤلف ، تركيزهم على المؤلف، فهو منتج لغة كتابه ومشيد عالمها ومحدد أبوابها وفصولها ومباحثها، من هنا يصعب كثيرا فهم مقاصد الكتاب دون التعرف على صاحبه والإلمام بجوانب شخصيته، وهكذا وجدنا أكبر النقاد يحرصون على تتبع حياة الكتاب الذين هم بصدد دراسة مؤلفاتهم.

وصاحب هذا الكتاب هو الدكتور مصطفى الجوهري * أستاذ التعليم العالي وعضو النادي الجراري، واهتماماته الأكاديمية متنوعة بين علوم اللغة العربية وآدابها وعلوم التربية والديداكتيك والتراجم والأعلام والثقافة العربية الإسلامية عامة والمغربية خاصة، له عدة مؤلفات ومقالات علمية محكمة تقارب المائة.

ثانيا، ليقول ماذا؟ حدد المؤلف أسباب ودواعي التأليف في تصحيح النظرة الناقصة لمؤرخي الأدب العربي عامة والمغربي خاصة، التي ترى بأن (الأدب المغربي ليس إلا صورة لأدب المشرق ، وأن المغاربة اكتفوا بالمحاكاة والإتباع، فترتب عن هذا الظن نتائج مختلفة ما زال يأخذ بها بعض الباحثين بينما الحقيقة الفكرية خلاف ذلك.

إن من يستقرئ نواحي الثقافة الأدبية المغربية قديمها وحديثها، سيلاحظ أن الفترة الحديثة والمعاصرة من أخصب الفترات في الإنتاج الثقافي الإبداعي على تعدد أجناسه وفنونه، وتنوع محاور طروحاته، ولا شك أنه سيقف على العديد من الأسماء والرجال والأعلام الذين صنعوا النهضة الثقافية المغربية عامة. ورغم ظهور عدد من الدراسات التي تهتم بأدب الفترة، فإنها تبدو قليلة، بالمقارنة إلى ضخامة الإنتاج الأدبي وكثافة آثار الفكر وأعلامه مما يطرح بإلحاح المزيد من البحث لتتبع أسرار الإبداع، وأساليب الدراسة وإغناء البحث فيها). (2) وقد اختار الباحث مصطفى الجوهري أديبا مغربيا معاصرا متعدد الاهتمامات بين الأدب والتاريخ والتربية والثقافة والعلوم الشرعية، وهو المرحوم الأستاذ عبد الله بن العباس الجراري المتميز بعدة خصال أهمها:

(-سيرته الوطنية والاجتماعية والتربوية العميقة والأصيلة، والعطاء الأدبي والعلمي المتنوع الذي أبدعه، مساهما من خلاله في إرساء جوانب من بنيات أدبنا المغربي الحديث.

- موسوعية ثقافته وتفتحها ضمن الحركة السلفية/ الإصلاحية التي عرفت الصراع بين الأصالة والحداثة عبر مراحل التأسيس للنهضة الثقافية.
- انعكاس هذه الثقافة على إنتاجه، فجاء هذا الإنتاج متعددا وغزيرا، فيه المطبوع المتداول، وفيه المخطوط الذي ينتظر النور، وإن كان في أواخر حياته قد تفرغ لإخراجه وطبعه، لكن القدر لم يمهله ليكشف باقيه، وهو إنتاج يشكل أرضية خصبة لمحاور الدراسة ومباحثها، ويجمع لتنوعه بين: الأدب إبداعا وكتابة كالشعر،

والكتابة المسرحية، والنقد، واللغة، والسيرة بنوعيها الذاتية والموضوعية، والرحلة، والتربية، والسياسة، والوطنية، والتاريخ، والحضارة، والخطابة، والمقالة، والمحاضرة، وعلوم الفكر الإسلامي عامة.

- تعدد ملامح شخصيته، فعبد الله بن العباس الجراري لم يكن أديبا فحسب، بل كان علامة ومحدثا مشاركا، وخطيبا إماما، ورجلا وطنيا، ومؤرخا ومفتيا وأستاذا مربيا.
- مكانته المتميزة والملحوظة بين أدباء وعلماء المغرب منذ شبابه الأول إلى اليوم، بل إن ثمرات ثقافته وآثاره تمثل حلقة مهمة من مسير الثقافة المغربية زمن الحماية والاستقلال، إنه يقف بحق إلى جانب الأعلام الذين صنعوا تاريخ المغرب الحديث تربويا وأدبيا وعلميا ووطنيا وتاريخيا). (3)

وقد حصر الباحث مصطفى الجوهري موضوع دراسته في الإبداع والكتابة الأدبية، وذلك من خلال الأبواب والفصول التالية:

الباب الأول:" شخصية الأديب عبد الله الجراري وثقافته"، ويتوزع هذا الباب إلى فصلين، ارتبط الأول منه بالتعريف بنشأة عبد الله الجراري ومكونات ثقافته، والثاني بمجالات شخصية الأديب الجراري وثقافته وإنتاجه.

أما الباب الثاني المعنون ب "عبد الله الجراري المبدع "، فقد تضمن ثلاثة فصول ، قارب الأول تجربته الشعرية والثاني كتابته المسرحية والثالث سيرته الذاتية ، أما الباب الثالث "عبد الله الجراري الباحث الدارس "فإنه جاء شاملا لثلاث فصول عنون الأول بالدراسات الأدبية والثاني بعبد الله الجراري وأدب المقالة والثالث بالسيرة العامة الموضوعية .

وفرضت موسوعية فكر المرحوم عبد الله بن العباس الجراري وتعدد اهتماماته على المؤلف اعتماد عدة مقاربات مناسبة لجنس وطبيعة موضوع الدراسة، ولتجاوز هذا الإشكال المنهجي المتعدد التوجهات والمرجعيات سنحصر مقاربتنا لكتاب "عبد الله بن

العباس الجراري الأديب" في دراسة النهج التربوي الذي سلكه الباحث مصطفى الجوهري أثناء حصره لأسس ومرجعيات الفكر التربوي الجراري.

ثالثا، كيف؟ اعتمد الأستاذ مصطفى الجوهري في مقاربة الفكر التربوي للمغفور له الأديب عبد الله بن العباس الجراري منهجا تحليليا شاملا للعناصر التالية:

أ . المقاربة الاجتماعية التاريخية : تجلت واضحة في استهلال الدراسة بنشأة عبد الله بن العباس الجراري ومكونات ثقافته، حيث عرف بشجرة نسب هذه الأسرة معتمدا عنصر مقاربة النوع ذكورا وإناثا على عكس معظم شجرات النسب المتمحورة حول السلالة الذكورية فقط، كما كشف عن مكونات ثقافته الشاملة المبتدئة بالكتاب وحلقات الشيوخ العلماء والتحصيل الذاتي، والمنتهية بحصوله على عدة إجازات وشهادات علمية بلغت خمسة عشر إجازة صادرة عن علماء أجلاء من بينهم الفقهاء: محمد بن عبد السلام السايح ومحمد بن التهامي الرغاي وأحمد بن عمر بن جلون أبي شعيب الدكالي ومحمد بن علي دينية وأحمد سكيرج وأحمد بن عبد النبي ومحمد بن أحمد العلوي الزموري ومحمد بن عبد السلام الرندة والفقيه محمد الأمالي السوسي، ومحمد بن عياد التليدي الشفشاوني ومحمد الصبيحي، ومن إجازات المحدثين: واحدة لأبي شعيب الدكالي ومحمد بن عبد الحي الكتاني، إضافة إلى إجازتي المؤرخين محمد بن عبد السلام دينية، وعبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي، وإجازة المقرئ المكي بن أحمد بريش، وهدف الكاتب من وراء هذا الحصر الدقيق للإجازات* هو التعريف بالمكانة العلمية للشخصية المدروسة، والكشف عن أهمية الحفظ الجيد للمتون الشرعية واللغوية في تكوين شخصية صاحبنا، (فهذه الإجازات لا تكمن أهميتها في الاعتراف بمكانة المجاز العلمية، وبلوغه مرحلة الاستظهار الجيد والتمكن فحسب ، بل أهميتها تكمن أيضا في مساعدة الدارس لاستقراء جزء مهم من مظاهر الثقافة المغربية الأصيلة، ومدى عناية الشيوخ الأساتذة بطلبتهم، وكيف ما كان الأمر فهي "شهادة بنبوغ المجاز واستحقاقه بل وتبريزه فيما درس وأخذ" على حد تعبير المرحوم الجراري. (4)

ولم يكتف العلامة الجراري بهذا الانجاز العلمي الكبير المتمثل في الإجازات ، (وإنما كان دائم البحث عن كل جديد ، ولم يكن يرغب – كما يبدو – في الاكتفاء بعلوم الفقه

وما إليه، وإنما كان يريد – ولعل هذه أمنيته – أن يحقق معادلة فكرية تجمع بين علوم الدين التي ثقفها وخبرها، وبين الأدب الذي كان يميل إليه ويمارسه عن دراية وإبداع) (5)

أما أهم الشهادات العلمية المؤسسية المحصل عليها من طرف الشخصية المدروسة فقد حصرها الباحث في :

- شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة 1937
- شهادة التبريز في التدريب التربوي بثانوية مولاي يوسف سنة1938 الصادرة عن إدارة العلوم والمعارف المغربية
- شهادة الكفاءة التربوية لترسيمه أستاذا بالمدرسة اليوسفية بالرباط وأخرى بثانوية مولاي إدريس بفاس سنة 1938
- الإجازة التربوية من الجامعة الأمريكية ببيروت سنة 1964

ب - مقاربة التربية على القيم : كشف الباحث مصطفى الجوهري عن دور التربية الأسرية والدينية والوطنية، وملازمة حلقات الشيوخ والعلماء، والاعتكاف في الخزانات والمساجد في تشكل سلم قيم المرحوم عبد الله بن العباس الجراري المتمحور حول الأخلاق الإسلامية السامية والعلاقات الاجتماعية الراقية ، والقيم الإنسانية الكونية القائمة على التعايش والتسامح وقبول الاختلاف والآخر، بدليل قوله :

(إن مدرسة الأديب العلامة عبد الله الجراري التي تخرج منها أجيال متعددة، يصعب على الدارس تحديد عدد المنتمين إليها، لأنه لم يختر عن العمل العلمي والتربوي بديلا، فقد ظل يشتغل بالدرس والكتابة إلى آخر يوم من حياته رحمه الله ملتزما برسالة مدرسته التي اختار لها من المبادئ "الحياة عقيدة وجهاد، وأن العالم الحق والمثقف الحق مسؤول وصاحب رسالة"، كما يقول الدكتور عباس الجراري. هذه المدرسة التي امتدت إلى كل بلاد المغرب، وكل المتطلعين للثقافة العلمية والأدبية، مدرسة أعطت الكثير من الروح والعزيمة الوطنية، والعمل الجاد، فضرب بها المثل في المسؤولية والجهاد العلمي والوطني والديني، وفي الاستقامة والاعتماد على النفس، ومكارم الأخلاق المرتبطة بالكرامة العلمية، والإحساس بالأمانة وصدق الرسالة)(6)

ج- المقاربة التربوية : شكلت المهام التربوية والتدريسية للمرحوم عبد الله بن العباس الجراري موضوع دراسة عميقة من طرف الأستاذ مصطفى الجوهري الذي كشف عن دور (التربية الصارمة والموجهة لأبويه ، ومناخ البيئة الثقافية التي نشأ فيها، ومكوناته العلمية والأدبية، نجده يتحمل مسؤولية التدريس في سن مبكرة جدا، وهو طالب ما زال يختلف إلى مجالس الشيوخ العلماء . وأول تجربة سيفتتح بها حياته التعليمية الحافلة، تدريسه القرآن الكريم بإحدى الكتاتيب القرآنية ، قبل أن يلتحق بهيئة التدريس بمدرسة الزاوية المباركية، التي كان يديرها الأستاذ محمد بن القاضي أحمد بناني(1370هـ /1950م) ، وتشرف عليها هيئة تتكون من الأستاذ بناصر والزهراء والأستاذ عبد الواحد بركاش، دعي إليها بواسطة الأستاذ الحاج عمر بن امحمد القباج – أحد رفقائه بكتاب المهدي متجنوش – وكانت هيئة التدريس فيها تتكون من "خيرة المثقفين والعلماء جعلت أفواج التلاميذ والطلبة يقبلون عليها في شوق")(7)، فالعلامة عبد الله بن العباس الجراري لم يقف عند حدود التدريس بقدر ما أسس له مدرسة مستقلة هي: "المدرسة العباسية " التي يمكن اعتبارها (مدرسة نموذجية في تسييرها وتنظيمها ومواد برامجها ، استحضر صاحبها الطرق التربوية الملائمة، وطعمها ببرنامج للنشاطات المدرسية الموازية كحفلات نهاية السنة الدراسية، وتوزيع الجوائز على المتفوقين ، تبلورت في تأسيس فرقة تمثيلية من بين تلامذتها سماها "جوق السعي والفضيلة"، كانت من بين الفرق المسرحية الأولى برباط الفتح، وأضافت " المدرسة العباسية" سبقا آخر يتمثل في تنظيم دروس لمحو أمية الكبار، نقول سبقا، لأن قضية محو الأمية سوف تنطلق دروسها في بعض سنوات الخمسين ، لكنها لن تنتظم إلا بعد الاستقلال حين رسم انطلاقتها المغفور له محمد الخامس، وسينتخب المرحوم الجراري رئيسا لعصبة محاربة الأمية بفرع الرباط سنة 1956.

وتشهد المدرسة حسنة ثالثة تتمثل في إعداد الشباب للعمل الوطني، فصاحبها سيكون أول من سيتزعم المواجهة والمقاومة ضد الاستعمار بسبب "الظهير البربري "،وسيشكل هذا العنصر منعطفا آخر في حياته العلمية والوطنية)(8)

وقد كشفت مقاربة الباحث مصطفى الجوهري عن المرجعيات الدينية والوطنية والإنسانية الكامنة وراء هذا العمل التربوي ، وذلك في قوله(إن اختيار الأستاذ عبد الله الجراري للعمل التعليمي كان ينطلق عنده من كونه عملا روحيا، فقد أثر عن الرسول

"ص" "أفضل ما يتصدق به العبد أن يتعلم العلم ثم يعلمه غيره" . وينطلق كذلك عنده من كونه جهادا وطنيا ورسالة إنسانية من جهة ثانية ، وكونه إذا وجد الرجل المناسب يضمن سلامة تربية النشء" على روح ديني، وتربية إسلامية طاهرة نشلا لهم مما يبيته الاستعمار لهم من تعثر وانحراف وإلحاد يبثه في صدورهم الخالية من تعاليم سامة، ومبادئ فاتنة تجعلهم حيارى في دينهم وأخلاقهم وعاداتهم " (9)

وانطلاقا من هذه المرجعيات فصل الباحث مصطفى الجوهري القول في ممارسات عبد الله بن العباس الجراري التربوية المتنوعة بين:

- الإشراف على إعداد الكثير من المؤسسات الابتدائية الحرة، وتنظيم وإعداد برامج الزيارات والتفتيش وحلقات التأسيس والتدشين للمغفور له محمد الخامس.
- التدريس بالمعهد المولوي
- الإشراف التربوي على نوع جديد من التعليم الجديد يومئذ (تعليم البنات) تأسيسا وتتبعا وتقويما وتفتيشا، ووضع برامجه وانتقاء أساتذته.

ولم تحجب هذه المهام الرسمية المرحوم الأستاذ عبد الله بن العباس الجراري عن حلقات التدريس في مساجد وزوايا الرباط على غرار شيوخه العلماء، لأنه يعتبر التربية شاملة للتدريس والتدبير والإرشاد وتوجيه السلوك وتنمية القيم الدينية والوطنية والإنسانية الكونية، إضافة إلى استمراريته في النشر والتأليف.

وقد خلص الباحث من جرده لمهام ومسؤوليات* المرحوم عبد الله بن العباس الأديب في فترتي الحماية والاستقلال إلى القول بأن (الأستاذ عبد الله الجراري لم يجد بديلا يطمئن إليه، لتوظيف حصاد فكره المتعدد، وتجربته الذاتية الخصبة، غير العمل التربوي والثقافي ممارسة وتنظيرا عملا بالقول المأثور عن رسول الله "ص" : "أفضل ما يتصدق به العبد أن يتعلم العلم ثم يعلمه غيره)(10)، وقد كشف الباحث مصطفى الجوهري عن الخدمات التربوية الجليلة التي قدمها المرحوم عبد الله بن العباس الجراري أستاذا مبرزا ومفتشا مقتدرا لمنظومتنا التربوية في مرحلتي الاستعمار والاستقلال ، حيث كان يعتبر التعليم جهادا وطنيا، ساهم فيه وهو ابن 15 سنة، وأهم مكونات الرقي والازدهار ، لذلك اتخذ التعليم سبيلا لتربية النشء وتهذيبه وتطهير نفسه وتطييبها وتغذيتها بالتربية النافعة المتخذة من أخلاق رسولنا الكريم ومواقف الخلفاء الراشدين

والسلف الصالح نموذجا للاقتداء، ويمكننا حصر سمات هذه الشخصية الجرارية في - إطار ما يسمى اليوم "ببيداغوجية القدوة"- فيما يلي :

1. الأستاذية : مارس الأستاذ عبد الله بن العباس الجراري مهام التدريس انطلاقا من ثقافته الإسلامية وحضارته المغربية المتعددة الروافد، والاثنيات واللغات، مع الانفتاح الواعي والمسؤول على مستجدات الثقافة الإنسانية من رياضيات وجغرافية وتاريخ وحضارة...والتنشئة التربوية المتمركزة حول المتعلم بهدف إشراكه في بناء التعلمات من خلال منهجية ديداكتيكية قائمة (على التقويم والعرض والمنافسة والتحليل المفصل المصحوب بالشرح والأمثلة والشواهد المتعددة) (11) ، وهو في ذلك كله يلامس أهم النظريات التربوية الحديثة ومن بينها: التربية الفارقية، بيداغوجية الأهداف والكفايات، بيداغوجيات حل المشكلات والتقويم والدعم.

2 . الإشراف التربوي (التفتيش): كشف الدارس مصطفى الجوهري عن تجاوز المرحوم عبد الله بن العباس الجراري مفهوم التفتيش القائم على التربص وتصيد الأخطاء والهفوات وممارسة السلطة الإدارية إلى تقديم ملاحظات وتوجيهات تربوية هادفة، والقيام بندوات تربوية، تعقبها دروس تجريبية وتطبيقية مفيدة للأطر التربوية القديمة والحديثة على حد سواء.

ومن بين الإشارات الذكية للباحث مصطفى الجوهري التي تماثل ما هو ممارس اليوم في المنظومات الإشرافية الحديثة التي تعتبر المفتش ممثلا رسميا للدولة، في شخص ممثل صاحبة الجلالة في انجلترا وممثل الأمة في برلمان الدول الديمقراطية المتطورة، قوله عن ممارسة عبد الله بن العباس الجراري للإشراف التربوي بدل التفتيش (لم ينظر إلى التفتيش كسلطة إدارية تتحكم في مصير الترقية الإدارية وترصد السلبيات بقدر ما كان يحوله رحمه الله إلى دروس تربوية توجيهية مفيدة، ويجعلها مناسبة لتمرير بعض المستجدات في علوم التربية . ونستطيع أن نستخلص من هذه الخاصية بعض بيانات المراقبة والتفتيش الذي أتيح لنا الاطلاع عليها، وهي تكشف عن ما كان يعرف به من صدق وصرامة وصراحة، سواء في تفتيش الاختصاص - مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية- أو التفتيش العام لمؤسسات التدريس، بعد أن أصبح يزاول – بأمر مولوي – تفتيش التعليم الأولي ، وتفتيش التعليم الحر، وتفتيش تعليم البنات ،وتفتيش المعهد

المولوي) (12) علما بأن تقارير التفتيش كانت (ترفع مباشرة إلى المغفور له محمد الخامس ، رغم الإشراف الإداري الموكول لإدارة الحماية "إدارة المعارف العمومية" ثم "إدارة المعارف الإسلامية" فيما بعد. ولم يرض قط التعامل معها، رغم أسلوب التضييق والملاحقة الذي عانى منه الشيء الكثير، لأن الرفض عنده ينطلق من مواقفه الوطنية المعروفة، وتؤكد بعض الوثائق / الرسائل الصادرة عن القصر الملكي، والتي تخبر بتوصل المغفور له محمد الخامس بكل تقارير التفتيش المنجزة من طرف الأستاذ المفتش عبد الله الجراري، ففي إحدى هذه الرسائل المسجلة تحت عدد: 213 جاء ما يلي:

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله محبنا الأعز الأرضي الفقيه العالم المفتش السيد عبد الله الجراري أمنكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله من خير سيدنا أيده الله.

وبعد، فقد قدم لمولانا المؤيد برنامج تفتيشكم بالمعاهد المنوطة بكم، وصار بباله الشريف. وبه الإعلام. وعلى خالص المحبة والسلام) (13)

ويمكننا إجمال العناصر الرئيسة لتقارير التفتيش كما أوردها الباحث مصطفى الجوهري في بنود الشبكة التالية:

بنود شبكة التفتيش	الملاحظات والتوجيهات
1- مكونات الدروس: تشمل تقويم مدى صلاحية : - التوزيع السنوي للمواد - تحديد الأهداف - إعداد الدروس - توظيف الوسائل المساعدة - تقويم المحتوى الدراسي 2- مردودية الأستاذ(ة): تنصب على تقويم مدى: - قدرته على التقويم - استيفائه الجانب المغربي والتربوي - إشراكه التلاميذ في بناء الدرس - ضبطه القسم تنظيما وتنشيطا - مراعاته الطرائق والأساليب التربوية وقدرات	

المتعلمين وحاجاتهم المعرفية والتربوية 3- التقويم العام للمدرس: عبارة عن خلاصة تجميعية للملاحظات والتوجيهات، وتقويمية شاملة لمدى: - نشاط وكفاءة أو نقص وضعف الأستاذ (ة) - إدراكه لنفسه واستجابته لحاجيات تلاميذه المعرفية والتربوية - طموحه وكفايته في تحقيق الرسالة التربوية - اهتمامه بحقوق المربين ورغباتهم 4- المناخ الدراسي العام	

وقادت مقاربة الباحث مصطفى الجوهري للملاحظات والتوجيهات الواردة في تقارير التفتيش إلى الكشف عن مناقشة المرحوم عبد الله الجراري بعض القضايا التربوية الهامة من قبيل طرائق التدريس وتقنيات التنشيط التربوي وأساليب التقويم وإجراءات الدعم، وأسس بناء وتطوير المنهاج التعليمي وتقويمه، ويمكن اعتبار هذه التقارير متنا تربويا مهما، لكن لم يكثرت له عموم المهتمين بالبحث التربوي في بلادنا.

ويمكننا الجزم بأن مفهوم التفتيش، كما مارسه العلامة عبد الله بن العباس الجراري وكشف عنه الباحث مصطفى الجوهري، يتجاوز كثيرا مفهوم التفتيش التخصصي الممارس الآن إلى التفتيش العام الذي ينصب على التسيير والتنظيم والالتزام بالمذكرات التربوية الرسمية، إضافة إلى الجانب التربوي، المرتبط بالتأهيل التربوي للمدرسين وتكوينهم المستمر المواكب للمستجدات التربوية، إذ الإشراف التربوي - في نظره- (قيادة تربوية ووظيفة تأطيرية تشمل عمليات المراقبة والتوجيه والإرشاد والتتبع والتقويم والدعم لأنشطة وقطبي العملية التعليمية – التعلمية، ومحيطها الإداري والتربوي، تستهدف إبراز مواطن القوة والضعف فيها، واقتراح الحلول المناسبة للعلاج والتطوير وتنمية الكفايات المهنية لمختلف الفاعلين في المنظومة التربوية) (14)

3 - التأليف المدرسي: شغل موضوع التأليف المدرسي المسؤولين التربويين من بداية الاستقلال إلى الآن ، حيث مرت تجربة التأليف المدرسي بعدة مراحل أهمها:

- تأسيس اللجنة الملكية الأولى للتأليف المدرسي، وتتكون من السادة الأساتذة عبد الله الجراري، وعبد الرحمان بن زيدان ومحمد بن علي الدكالي ومحمد الفاسي ومحمد الناصري وجعفر الناصري وعبد الكريم بن المدني الحسني ومحمد المهدي الحجوي وعباس المعروفي ... وفي إطارها ألف المرحوم عبد الله الجراري الجزء الخامس من سلسلة (دروس التاريخ المغربي) الخاص بالدولة العلوية.
- تأسيس اللجنة الملكية الثانية سنة 1364 هـ 1945 م، والمكونة (من ثمانية عشر أستاذا كان الأستاذ المفتش عبد الله الجراري في طليعتها وتضم أعضاء من مديري وأساتذة المدارس، ورجال الثقافة أمثال: محمد بن عبد الله العلوي، والطيب العلوي، والعربي المسعودي، ومحمد العلمي، ومحمد بن العباس القباج، و عبد الرحمان الفاسي، وأحمد بوستة، و عبد المالك السليماني ، وعبد الهادي بوطالب، ومحمد بن سالم بن كيران، وعبد القادر زمامة، ومحمد الركراكي، والتقي العلوي، ومحمد التازي، وعبد الكبير بن الحسني، وعبد الهادي الشرايبي، ويونس فكرون، ورغم تأليف بعض الكتب المدرسية ، فإن أزمة الكتاب المدرسي ظلت مطروحة إلى فترة الاستقلال، وإن كان المغرب استعان ببعض التآليف المصرية واللبنانية، كما استعان بأساتذة شرقيين ضمن ما كان يعرف بالبعثات التعليمية) (15)
- وإذا كان التأليف المدرسي في فترة المرحوم عبد الله بن العباس الجراري واضحا وشفافا، فإن الوزارة الوصية لجأت بعد ذلك لمسألة انتقاء لجنة مجهولة الهوية، حيث أصبحت تصدر الكتب المدرسية خالية من هوية وصفة المؤلفين والاكتفاء بعبارة (مجموعة من المؤلفين) مما يجعل الوزارة تتحمل قسطا كبيرا من المسؤولية في حالة وجود هفوات، أو نواقص بهذه المؤلفات المدرسية.

وتحقيقا للأمانة العلمية والمقاربة الموضوعية لمشاركة المرحوم عبد الله بن العباس الجراري في التأليف المدرسي الرسمي وفي اللجنتين الملكيتين الأولى والثانية ، أشار الباحث مصطفى الجوهري إلى دواعي وأسباب تأليف الجراري لكتاب دروس في التاريخ المغربي في قوله:(كان تأليفه لكتاب "دروس التاريخ المغربي"، ليس لسد هذا الفراغ فحسب، بل لما لاحظه أيضا من بعد عن المنهج في تدريس المادة واضطراب في المعلومات، ليساهم في

تصحيح أهداف تدريس المادة وفق معايير تربوية ومنهجية حديثة يفيد منها المعلم والمتعلم معا، وتفيد منها الثقافة العربية الحديثة في بعدها الوطني والتربوي في غرس تاريخ السلف، وبطولاته من أجل استنهاض الهمم ومقاومة الاحتلال، فكان لهذه الدروس فضل السبق في التأليف التاريخي التربوي، ظلت معتمدة في المدرسة المغربية منذ تأليفها إلى ما بعد الاستقلال، بل إن الدراسات التي ألفت في هذا الباب كانت تجعل من دراسة الأستاذ عبد الله الجراري الدراسة النموذج) (16)

وللتدليل بالحجة والدليل على خصوصية هذا التأليف الخاضع للنقل الديداكتيكي المستحضر لخصوصية المتعلم المغربي كمتلق مستهدف أورد الأستاذ مصطفى الجوهري عناوين هذه الموسوعة التاريخية الشاملة للأجزاء التالية:

(خص الجزء الأول: لتاريخ الأدارسة والمغراويين واليفرنيين

والجزء الثاني: لتاريخ الدولة المرابطية والموحدية

والجزء الثالث: لتاريخ الدولة المرينية والوطاسية

والجزء الرابع: لتاريخ الدولة السعدية

والجزء الخامس: لتاريخ الدولة العلوية) (17)

إن هذا الاختزال لتاريخ المغرب في كتاب مدرسي مطلوب تربويا، لأنه ييسر على التلميذ مسألة العودة لمختلف المصادر التاريخية القديمة والحديثة شريطة إعداده من طرف باحث مقتدر كالعلامة الجراري، فموسوعته التاريخية (تشمل زبدة ما كتب حول تاريخ المغرب والأندلس، ورغم تمثلها لمجالات معرفية متعددة، فإن الأستاذ عبد الله الجراري وفق في استخلاص القضايا التاريخية توفيقا يدعو إلى الإعجاب، يتعلق جانب منها بأهمية المصادر والمظان، وصعوبة انتقاء المناسب منها وتكييفه مع المستويات التربوية، ثم تنظيم المادة التاريخية وصياغتها بأسلوب تربوي ملائم ومفيد، ولا يدرك قيمة هذا العمل إلا من جرب البحث في التراث ومظانه، وزاول التدريس بمختلف أشكاله)(18)

وقد نالت هذه الموسوعة في زمانها إعجاب وثناء العلماء والأدباء، ويتجلى ذلك في تقاريرهم ومراسلاتهم المنوهة بها، إضافة إلى الرسالتين الملكيتين الموجهتين من المغفور له محمد الخامس وولي عهده آنذاك جلالة المغفور له الحسن الثاني بعد إخراجه للجزء الخامس من دروسه التاريخية، وفيما يلي نص الرسالة الأميرية (الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الفاضل الأريب والكاتب الأديب عبد الله الجراري، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من خير سيدنا المؤيد بالله، أما بعد:

فقد سرحت النظر في الجزء الخامس من سلسلة أجزاء تاريخ المغرب الذي ألفته لتلاميذ المدارس، وأجلت الفكر في فصوله، فوجدته مسبوك التركيب سهل التناول، جامعا لأصول التاريخ الذي يقرب المقصود للشباب المتعلم، ويسهل له أن يتصور عماد تكوين المملكة الشريفة بعد جهود أعيان دولها، ومواصلة العمل في تأليف وحدتها يمكنه إذا درج لما هو أعلى أن يؤسس خبرته التاريخية على دعامة إتيان البيوت من أبوابها، والصعود من أيسر الوسائل إلى صعابها، وهو أول ما ينبغي أن يراعيه من يعاني تأليف كتب التعليم، فلقد قمت في ذلك بأحسن واجب ، إذ سهلت بتأليفك حسن المسير للطالب فلك به جزيل الشكر، وحميد الثناء، وعلى المحبة والسلام.

في 7 ربيع الثاني عام 1366هـ الحسن بن محمد ولي عهد المملكة المغربية) (19)

وقد كشف الباحث مصطفى الجوهري عن تجاوز المرحوم عبد الله بن العباس الجراري مسألة تأليف وتتبع وتقويم البرامج والمناهج التربوية إلى تقديم اقتراحات عملية لتطويرها، ويمكن إجمالها في الآتي:

- اقتراح بعض الكتب والفصول لإغناء محتويات برامج التربية الإسلامية المقررة من قبيل فصول من كتاب "الشفا" للقاضي عياض للمسلك الثانوي بطوريه.
- اعتماد كتاب "مشارف الأنوار " لجعله ضمن مواد التعليم العالي بدار الحديث الحسنية، حيث يدرس عبر مرحلتين الأولى في سنة الماجستير والثانية في سنة الدكتوراه.

ج-المقاربة الأندراغوجية:

يحدد المفهوم الوطني الأمي في (الشخص الذي لا يستطيع التواصل مع الغير بواسطة خطابات خارج الخطاب الشفهي وغير القادر على استخدام تلك الخطابات في تطوير خبراته وكفاءاته المهنية لتحسين المردودية والإنتاجية، وتجد صعوبة في الانخراط بوعي ودراية، بحقوقه وواجباته وسلوكياته، ومواقفه تجاه الذات والمحيط البيئي والإنساني والثقافي) (20)

وقد شغل موضوع محاربة الأمية السلطتين السياسية والتربوية بالمغرب بدليل أن المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، كان يعتبر محاربة الأمية والقضاء عليها أول لبنة في تقدم بلادنا، حين خاطب الشعب المغربي في خطاب العرش سنة 1946 قائلا: (تعلموا، فأول سبيل الرقي بين الإنسان :العلم ووسيلة تهذيب الأخلاق التي عليها مدار العمران، العلم سلاح مجاراة الأقران، العلم) (21)، لذلك عمل المغفور له محمد الخامس بمعية الوطنيين على رفع شعار إجبارية تعليم القراءة والكتابة لكل الأميين باعتبارها أدوات فعالة في محاربة الاستعمار وتحقيق استقلال البلاد وتطوره، ومباشرة بعد حصول المغرب على استقلاله بشكل رسمي سيفتتح المغفور له محمد الخامس دروس محاربة الأمية في شهر رمضان 1375هـ موافق أبريل 1956 بمدارس محمد الخامس بالرباط لفائدة عموم الأميين كبارا وصغارا .

وقد كشف الباحث مصطفى الجوهري عن وعي المرحوم عبد الله بن العباس الجراري المبكر بخطورة داء الأمية حين (أسس "المدرسة العباسية" ووضع لها برنامجا خاصا لاستقبال الكبار ليلا بهدف تعليمهم أصول القراءة والكتابة، وتقوت هذه التجربة الأولية بالعمل المتواصل في حقول تعليمية كثيرة، أذكت طموحه في محاولات متعددة لاستئصال هذا الداء الخطير، مقتنعا أن الجهاد العلمي سيعجل لا محالة بذهاب الاستعمار) (22)

وتكشف عبارة (برنامجا خاصا لاستقبال الكبار) عن وعي الجراري بخصوصية الطرائق الأندراغوجية المنصبة على تعليم الكبار، والمتمركزة حول الخصوصيات والمقومات التي يتميز بها الراشد وأهمها:

(-يتحكم الراشد في حياته، ويتخذ قراراته بنفسه، ويتبنى اختيارات واضحة انطلاقا من حاجاته ومصالحه الخاصة.

- يعود الراشد -وباستمرار – إلى خبراته وتجاربه لكي يتعلم، مما يشكل لديه مصدرا غنيا للتعلم.
- يكون الراشد على استعداد للتعلم، إذا ما شعر بأن المعارف التي يكتسبها ستقويه على مواجهة وضعيات الحياة الحقيقية.) (23)

ولخص الباحث مصطفى الجوهري سبل محاربة الأمية لدى المرحوم العلامة المربي عبد الله بن العباس الجراري في العناصر التالية:

(1-الإكثار من المدارس الأولية وتعميم انتشارها في البوادي والمدن.

2-ضرورة تعليم الكتابة والقراءة لكل فئات الأميين من الصغار والكبار.

3-أمر القضاء على الجهل موكول للمتعلمين واقتناعهم بالتطوع في الحملة.

4-إشراف المدرسين المختصين والمتمكنين من طرق التواصل التربوي.

5-توعية الشباب بضرورة مكافحة الأمية وتنظيم حملات لذلك.

6-تعميم حركة محاربة الأمية في كل الأقاليم المغربية.

7-تأسيس خلايا للإشراف التربوي على مكافحة الأمية.

8-تأليف كتب ميسرة للعملية تناسب مرحلة المحاربة.

9-إصدار مجلات مفيدة معدة في شكل مبسط لهذه الغاية.) (24)

وبتأمل هذه العناصر يتضح أن عبد الله بن العباس الجراري كان على وعي مسبق بخصوصية الفئات المستهدفة، بمحاربة الأمية كبارا وصغارا، وبضرورة إعداد أساتذة مكونين لهذا الغرض التربوي، وتكليف خلايا للإشراف التربوي على عمليات مكافحة الأمية بموازاة القيام بحملات مكثفة في أوساط عموم المواطنين كبارا وصغارا، رجالا ونساء، ومواكبة ذلك تواصليا وإعلاميا من خلال الحملات المباشرة وإصدار مجلات مبسطة

ومفيدة ومحققة لهذه الغاية، ومما يثير الاستغراب في موضوع محاربة الأمية، أنه ظل الشغل الشاغل لجميع المسؤولين الحكوميين المشرفين على قطاع التربية والتعليم، لكن النجاح لم يتحقق، حيث لا زال هذا الموضوع حاضرا في تدبيرنا الحالي لشأننا التربوي، ولو اتخذت اليوم شكل وكالة وطنية لمحاربة الأمية وتعليم الكبار والتربية غير النظامية .

رابعا، لمن؟ يفيدنا هذا السؤال في معرفة المرسل إليه، وقد حصرها الباحث مصطفى الجوهري في الفئات التالية:

- فئة الأساتذة: إن مؤلفات المرحوم عبد الله بن العباس الجراري موجهة لعموم المربين دونما تحديد لمواصفاتهم المعرفية والبيداغوجية، لكي يحثهم على الإخلاص في العمل التربوي، ومواكبة المستجدات التربوية، والمشاركة في النهضة الحضارية المنشودة، باعتبارهم المسؤولين عن ترجمة التوجيهات التربوية الرسمية إلى أهداف إجرائية وأنشطة تعليمية تعلمية قابلة للقياس والتقويم، ولن يتسنى لهم تحقيق هذه الأهداف التربوية إلا بمراعاة المبادئ التالية:

- تكييف الأساتذة منهجية التدريس مع خصوصية المادة الدراسية ومستويات المتعلمين وانتظاراتهم وتطلعات مجتمعهم، مع ضرورة التمييز بين طبيعة التدريس المدرسي والتكوين الأكاديمي، وممارسة النقل الديداكتيكي للمعرفة العالمة، لكي تصبح معرفة مدرسية.

- تنمية الأساتذة الكفايات القرائية لدى المتعلمين وخلق بوادر التنافس المعرفي وتعميق الحس الوطني لديهم، بواسطة الأنشطة الموازية من مسرحيات ومسابقات شعرية وثقافية وفنية ورياضية.

- تحقيق الأساتذة امتدادات التعلم عن طريق تحديد مصادر ومراجع التكوين والبحث، ولتيسير القيام بهذا الإجراء جمع المرحوم عبد الله بن العباس الجراري بين التأليف المدرسي والأكاديمي واقتراح بعض المؤلفات لاعتمادها مصادر للتعلم والتكوين في المراحل التعليمية الثانوية والجامعية.

- فئة المفتشين: يلعب المفتشون دورا كبيرا في وضع المناهج والبرامج التعليمية والكتب المدرسية إضافة إلى دورهم التتبعي والتقويمي لعمل الأساتذة المنفذين للتوجيهات الرسمية، وقد توصل الباحث الدكتور مصطفى الجوهري من خلال دراسته المستفيضة لتقارير التفتيش والأنشطة التكوينية التي مارسها المغفور له عبد الله بن العباس الجراري (ندوات تربوية/ ورشات / دروس تجريبية/...) إلى الجزم بأنه كان يقوم بتقويم ودعم مستمرين للممارسة التربوية للأساتذة من جهة والبرامج والمناهج والكتب المدرسية من جهة أخرى بهدف التأسيس لمدرسة تربوية وطنية قوامها قول الرسول (ص) (أفضل ما يتصدق به العبد أن يتعلم العلم، ثم يعلمه غيره).

خامسا، لبلوغ أي هدف/أي نتيجة؟

يقودنا هذا السؤال نحو معرفة الهدف الرئيس الذي يريد الباحث مصطفى الجوهري إقناع متلقي كتابه به، وهو أن العالم المشارك المرحوم عبد الله بن العباس الجراري غير معروف بما فيه الكفاية لدى عموم القراء والمهتمين بالثقافة والأدب في بلادنا وغيرها من الأقطار العربية، لذلك سبر أعماق فكره وأدبه وإنتاجه التربوي بهدف تصحيح بعض التصورات الخاطئة عنه كعالم فقط، (فالعلامة الجراري اشتهر في حياته بالأستاذ المربي، والعلامة الضليع في علوم الفقه ومذاهبه، وأن إنتاجه الأدبي، لا يعرف منه إلا القليل المنشور والمتداول. بينما أعماله الأدبية والإبداعية وأهمها ظلت غير معروفة، فكان من الضروري إنجاز دراسة من هذا النوع تنفذ إلى عمق تجربته الأدبية عامة، قصد التعمق في قدراته الفنية والأدبية في الإبداع الشعري، والتجربة المسرحية، والسيرة الذاتية، والدراسة الأدبية كتابة ونقدا ومقالة وبحثا في مكونات السيرة الموضوعية بجميع أنماطها. وهي مجالات تساهم في تقييم معالم ثقافته وشخصيته التي لا نريدها أن تنحصر فيما اشتهرت به في حياته العلمية. وسيتضح لنا أن الأدب كان في طليعة أعماله وهواجسه، يؤكده إنتاجه الأدبي الغزير والمتنوع، الذي مس مجالات أدبية مختلفة.) (25)

وخلاصة القول إن الفكر التربوي الجراري لم يكن أسير جدران المؤسسة التربوية تدريسا وتفتيشا وتأليفا بقدر ما حطم هذه الجدران من خلال انفتاحه على مستجدات الفكر التربوي شرقا وغربا، حيث استطاع بفكره الإصلاحي المتنور وغيرته الوطنية تطوير أساليب التدريس وإجراءات التفتيش واستراتيجيات التأليف المدرسي بشكل أهله ليكون من المؤسسين الأوائل للسياسة التعليمية في بلادنا.

****

الهوامش:

1- أحمد أوزي "تحليل المضمون ومنهجية البحث" ص: 22، الشركة المغربية للطباعة والنشر، 1993.

*انظر لائحة الإنتاج الأدبي الفكري المطبوع والمنشور للدكتور مصطفى الجوهري

2-مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" ص:6 منشورات النادي الجراري -4- الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط 1995

3-نفسه ص:6-7

*للتوسع في هذه الإجازات والشهادات انظر : د مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الأديب" ص : 20-21

4-الدكتور مصطفى الجوهري (عبد الله بن العباس الجراري والأديب) ص: 21

5- مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" ص:21

6- المرجع السابق ص:29

7- نفسه ص:30

8- نفسه ص:31

9- نفسه

*انظر هذه المهام مفصلة في : مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الجراري الأديب "ص : 34

10- المرجع السابق ص:35

11- نفسه ص:39

12- نفسه

13- نفسه ص:39-40

14- محمد أحميد "الإشراف التربوي وبناء وتطوير المناهج التعليمية: نماذج وتجارب" ص:25-26 دار أبي رقراق للطباعة والنشر –الرباط ط:2019/1

15- مصطفى الجوهري (عبد الله بن العباس الجراري الأديب) ص: 44-45

16- المرجع السابق: 45

17- نفسه ص:45-46

18- نفسه ص 46

19- نفسه ص:47

20- فاطمة ياسين "ذاكرة محو الأمية بالمغرب: مقاربة تحليلية نقدية"ص:23 المكتبة الوطنية – المحمدية يونيو2009

21- من خطاب العرش سنة 1946 نقلا عن مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" ص :42

22- المرجع السابق ص:43

23- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي: مديرية محاربة الأمية "القرائية من أجل التمكين " ص:15 مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، ط:1 /2010

24- مصطفى الجوهري "عبد الله بن العباس الجراري الأديب" ص:43

25- نفسه ص:7-8

****

واجهة التحقيق عند الأستاذ مصطفى الجوهري "هذه مذكراتي" لعبد الله الجراري أنموذجاً

د. سي محمد أملح*

على سبيل التقديم

لا أحد ينكر أن تحقيق التراث المغربي يعد، اليوم، من الأولويات التي يجب أن ينهض به الدارسون المغاربة، سواء في الرسائل والأطروحات الجامعية أو غيرها؛ ذلك أن رصيد المغرب من المخطوطات، على غزارته وتنوعه، يستلزم مضاعفة الجهود لأجل إنقاذه من جهة، ولأجل بناء الذات المغربية وإعادة كتابة تاريخها في فروعه المختلفة.

وإذا كان تحقيق التراث على هذا القدر من الأهمية اليوم، فإن توسله بالمنهج الإقليمي أصبح ضربة لازب؛ وهو المنهج الذي ما فتئ يؤكد عليه عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري في دراساته وأبحاثه، ويدعو إلى ترسيخه في دراسة الأدب المغربي عامة، لما له من نتائج حسنة في كشف تراث الجهات والحواضر المغربية من أجل تكوين نظرة شمولية حول هذا الأدب وخصائصه وخصوصياته.

ولما كانت الرباط واحدة من تلك الحواضر المغربية المتميزة بتاريخ حفيل وتراث غزير ومتنوع، ازداد ثراءً فكرياً وعلمياً وأدبياً زمن الحماية، فقد جذبت إليها ثلة من الباحثين والدارسين الذين شغفوا بأعلامها وتراثها شغفاً كبيراً، حتى قصروا عليها مشاريعهم العلمية والفكرية. ويعد الدكتور مصطفى الجوهري في طلائع تلك الثلة المباركة، التي سخرت قلمها لكشف الحجاب عن جزء مهم من ذلكم التراث تعريفاً ودراسة وتحقيقاً[1].

---

* أستاذ باحث، تطوان.

[1] - انظر ترجمته في كتاب "من تاريخ الأندية الأدبية في المغرب "النادي الجراري بالرباط لمؤسسه العلامة عبد الله الجراري"، لمحمد احميدة، ص 414.

لن يفوت المتأمل فيما يحبره هذا الباحث الرصين من أبحاث ومقالات[2] أن يقف على كون شغفه بالتراث الرباطي هو أشد من شغف الشاعر القديم بسلمى وسليمى والرباب وزينب؛ ذلك أن الرجل يشتغل في إطار مشروع علمي دقيق لا تخفى أهميته، مشروع محصور في فضاء الرباط أعلاماً وأعمالاً. كما أن قسماً كبيراً منه يتمحور حول إبراز التراث العلمي والأدبي والتاريخي للأسرة الجرارية. وخدمة لذلك، تنوعت عطاءات الدكتور الجوهري بين التأليف والتحقيق والمقالة والمحاضرة. وسنهتم في هذا الموضوع بجهوده في مجال التحقيق ومدى إسهامه في بعث النصوص التراثية في هيأة علمية تمتثل لضوابط علم التحقيق ومراحله. وسنقتصر على رصد منهجه في تحقيق كتاب "هذه مذكراتي" للعلامة عبد الله بن العباس الجراري.

* * * * * *

1 - دوافع اختيار النص.

لعل مسألة اختيار النصوص أول ما يجابه الباحث في الحقل التراثي المغربي خاصة، كما في التراث العربي عامة؛ وهي مسألة تنقلنا إلى سؤال إشكالي كان مثار جدل بين علماء التحقيق عموماً. ويتمحور هذا السؤال حول ماهية النصوص الأجدر بالتحقيق. ولعل هذا السؤال يرتبط أساساً بأهمية النصوص ومدى حاجة المكتبة المغربية إليها في كشف زوايا مختلفة من ثقافتنا. وإذا علمنا بغزارة التراث المغربي وتنوعه، أدركنا صعوبة الإجابة عن هذا السؤال.

ومن منطلق هذه الأهمية، جاء اختيار الأستاذ الجوهري للكتاب سالف الذكر. وقد حركه على ذلك دافعان اثنان:

ذاتي: يتمثل في شغفه بشخصية العلامة عبد الله الجراري، والعمل على استكمال الصورة التي رسمها لها منذ أن ألّف حوله دراسة وافية نشرت بعنوان "عبد الله بن العباس الجراري الأديب"؛ فقد أبرز فيها ما لهذه الشخصية من الإنتاج الغزير، «الذي يكشف عن تطلعات فكرية وأدبية وثقافية متشعبة، شملت جميع المعارف الإنسانية

[2] - راجع نبذة عن أعماله ضمن المرجع السابق.

دراسة وإبداعاً. وهي جميعها تعتبر إرثاً ثقافياً وإضافة جادة إلى التراث المغربي الحديث بكل مستوياته الفكرية والإبداعية، وتعكس بصدق عمق ونضج ثقافته وتجربته»[3].

موضوعي: يتعلق بأهمية النص بالنظر إلى المواد المعرفية المشكلة له؛ فالمذكرات الجرارية جراب معرفي كبير، يتأسس على هيكل معماري ذاتي وجماعي، بحيث يرتبط الذاتي منه بشخصية المؤلف عبد الله الجراري من جوانب حياتية عديدة تمتد عبر «الدرس والتحصيل، والتثقيف والتطور، والممارسة والتنظير، والجهاد والمعاناة والسجن، والتأليف، والمهام الصعبة...»[4]. فيما يقوم الشق الجماعي على كشف «ما عرفه المغرب من محطات فاعلة وتطورات عديدة بدءاً بعهد الحماية والظهير البربري، والأحداث الوطنية الكبرى، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية، والحربين الأولى والثانية، وجسامة الأحداث الصعبة والمعقدة يومئذ اجتماعياً ووطنياً وثقافياً وبيئياً»[5].

وتبعاً لتلك الطبيعة التكوينية المتشعبة، فإن المحقق الجوهري كان على دراية من كونه يجابه تراكماً معرفياً يطرح، كما جاء على لسانه، «صعوبات كبيرة في التحقيق، سواء تعلق الأمر بالأعلام أو الأشخاص، أو ما اتصل بكثير من النصوص والشواهد والكتب الغميسة»[6]؛ وهو الأمر الذي شهد به أيضاً الدكتور عباس الجراري، الذي تولى تقديم الكتاب، حيث اعتبر موسوعية العلامة عبد الله الجراري في "هذه مذكراتي" مما «يثير صعوبة في الدراسة، ولا سيما في التحقيق؛ بما يقتضي من تعريف بأسماء الأعلام الكثيرة، وتوثيق الشواهد والإحالات العديدة، وما إليها من نقول وإشارات لمخطوطات ومدونات ومسموعات، مما يستدعي دقة التحري والتثبت، وتوسيع دائرة المصادر والمراجع»[7].

[3] - عبد الله بن العباس الجراري الأديب، ص 80.

[4] - المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، 97/1.

[5] - نفسه.

[6] - نفسه، 14/1.

[7] - نفسه، التقديم، صفحة "ج".

2 - تأصيل النص وقراءته.

سلك المحقق مصطفى الجوهري في تحقيق المتن المذكراتي منهج التحقيق كما رسمه رواد هذا العلم. وما دام التحقيق العلمي لا يقوم إلا بتوفر شرطين أساسيين هما: تأصيل المتن، وقراءته قراءة صحيحة مضبوطة، فقد اعتمد المحقق الجوهري في تأصيل المتن على ثلاث نسخ متباينة:

الأولى: بخط الكاتب. وهي غير تامة.

الثانية: مرقونة تامة، لكنها مليئة بالأخطاء المطبعية.

الثالثة: مرقونة ومبتورة في بعض الأوراق. كما لحقها اضطراب في ترتيب بعض الصفحات.

وإذا كان المحقق قد اتخذ النسخة الثانية أصلاً، وجعل النسختين الباقيتين للمقابلة، فإنه توسل، إلى جانب ذلك، بجملة من تآليف العلامة عبد الله الجراري التي تتقاطع في موادها مع ما تضمنته هذه المذكرات، خصوصاً رحلاته الداخلية المتعددة زمن الحماية؛ كل هذا بغية ضبط النص ونشره على الهيئة التي أرادها المؤلف. وقد تم للمحقق ذلك، حيث أخرج النص بأمانة تامة ممتثلاً لقواعد التحقيق، وعلى رأسها المحافظة على ترتيب مواد النص. فعلى الرغم من كون المؤلف جعل ملحقاً في القسم الثاني من مذكراته يستدرك فيه بعض مواد القسم الأول المتعلق بالذات، فإن المحقق حافظ على ذات الترتيب دون التصرف فيه، وكأننا به يقول: "النص حُبسٌ على صاحبه". وقد علل المحقق هذا الصنيع من المؤلف بكون «ذاكرة الإنسان مهما كانت قوية وحاضرة وهي تستقرئ وتسترجع ذكريات الذات ومعطيات الحياة، لا بد أن تمس بقليل أو كثير من النسيان دون قصد»[8].

غير أن ما يعوز المحقق في هذه المرحلة مسألتان:

الأولى: زيادة وصف النسخ فيما يتعلق بعدد صفحاتها ومقياسها وأولها وآخرها، وكذا إيراد نماذج مصورة لبعض صفحاتها، خصوصاً فيما يتعلق بالنسخة الأولى المكتوبة

[8] - المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، 13/1.

بخط المؤلف، لأجل أن يتعرف عليه الباحثون والدارسون المهتمون بخطوط العلماء أو بالخط المغربي في واجهات متعددة.

الثانية: ضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وأسماء الأعلام البشرية والجغرافية بالشكل التام؛ لتلافي تحريفها أو التباس مدلولها.

3 - التوثيق والتعليق.

بعد استواء المتن جاهزاً للقراءة، ورصد الفروق الجوهرية بين نسخه، انتقل المحقق عملاً بقواعد التحقيق إلى مرحلة على قدر كبير من الأهمية، وهي فك مستغلقات المتن توثيقاً وتعليقاً. وقد أفصح عن منهجه في ذلك خلال مقدمة الكتاب قائلاً: «كما سلكنا أيضاً التوثيق والشرح والتعليق والتوضيح حين يتطلب الرأي ذلك، من خلال هوامش توثيقية تضبط إحالات النصوص والشواهد والتآليف، والوقائع والأخبار، والأحداث الوطنية والتاريخية، بنسق مرجعي مما اطلعنا عليه من مصادر مختلفة ومراجع متعددة من كتب ودواوين وفهارس ووثائق وموسوعات ومعاجم متخصصة فتت جانباً من تلك الصعوبات، وبلورت تراكم المذكرات من مستويات متشعبة ذاتاً وأحداثاً وثقافة»[9].

ولن يفوت المطالع لما وشح به المحقق هوامش الكتاب أن يدرك دقة التعليقات ونفاسة التوثيقات في تراجم الأعلام، وضبط الأشعار، ونسبتها إلى قائليها، ورصد تعدد رواياتها، ناهيك عن ضبط أسماء الكتب والتعريف بها، ثم شرح المفردات الصعبة؛ وهو ما ينم عن تبحر في المكتبة العربية والمغربية، مع الاستعانة بعدد من المصادر الأجنبية.

إلى جانب هذا الضبط والتوثيق، لم ينس المحقق وهو يعالج النص ويضيء مستغلقاته أن يملأ الفراغات التي تركها المؤلف، سواء فيما تعلق بسنوات وقوع بعض الأحداث، أو أرقام بعض المخطوطات ومكان وجودها وما عرض له من هذا القبيل؛ فقد اجتهد المحقق في ملئها وتتميمها مشيراً إلى ذلك في الهامش. ومن نماذج ذلك، ما أشار إليه بخصوص حديث المؤلف عبد الله الجراري عن كناشة الأديب علي مصباح الزرويلي. قال عبد الله الجراري: «أما الكناشة التي تقع في نحو ثمانية مجلدات، فهي عبارة عن

[9] - المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، 14/1.

مجموعة من المسائل العلمية والتاريخية، توجد بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم...»[10]. وكتب المحقق متمماً: «توجد نسخة مصورة (ميكروفيلم) خ ع رقم: 791».

ولعل الفاحص لهذه الهوامش أيضاً، قد يصادف أحياناً عبارات من قبيل "لم أقف عليه"[11]، أو "لم أقف على نسبة الكتاب" وما إلى ذلك[12]. وما نخال المحقق انتهى إلى هذه العبارات إلا بعد اجتهاد حثيث في البحث والتقصي عن المواد المتشعبة والدقيقة للمتن المذكراتي؛ وهو الأمر الذي حدا به إلى أن ينبه إليه القارئ -وبتواضع- في المقدمة قائلاً: «والحق أن إشكالات كثيرة تظل مطروحة رغم محاولتنا، جهد المستطاع، توجيهها وضبطها. وهي إشكالات ترجع بالأساس إلى تداخل التجارب، ومحطات الوقائع، وطروحات القضايا»[13].

وعلى العموم، فقد أثبت المحقق، خلال هذه المرحلة، أنه حجة في الثقافة المغربية زمن الحماية، من خلال معرفة الأعلام والأسر والمنشآت الثقافية والدينية كالخزائن والمكتبات والمساجد والزوايا، ثم المؤلفات المغربية المغمورة. ويزداد الأمر دقة إذا تعلق بالحاضرة الرباطية التي نشأ فيها المحقق وترعرع بين أحضانها ودروبها، وعايش أحداثها عن كثب وجالس شيوخها وعلماءها مدة تزيد على النصف قرن.

4 - مقدمات التحقيق.

يقول الدكتور شوقي ضيف متحدثاً عن أهمية المقدمة في تحقيق النصوص: «كل كتاب ينهض بتحقيقه شخص، ينبغي أن يقدم له بترجمة مختصرة عن مؤلفه... ثم يوضح منهج تأليفه، وخاصة إذا كان معقداً، ثم يتحدث عن مصادره التي حشدت فيه، وأخذت مادته... ثم يتحدث عن قيمته، ثم يصف نسخته أو نسخه التي اعتمد عليها في نشره... ويوضح المحقق الطريقة التي اتبعها في تحقيق الكتاب»[14].

---

[10] - المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، 212/3.

[11] - نفسه، 192/3 و206/3.

[12] - انظر مثلا تعليقه على قول المؤلف "ذكر المقدسي في مسالكه". قال المحقق: «لم أقف على نسبة الكتاب، هل هو للمقدسي الجغرافي محمد بن أحمد، أو للمقدسي المؤرخ مطهر بن مطهر». المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، 229/3.

[13] - نفسه، 15/1.

[14] - البحث الأدبي، ص 203 – 204.

إذا علمنا هذه الشروط التي نص عليها العلماء في التقديم للكتاب المحقق، أدركنا الأهمية الكبيرة لما قدم به المحقق الجوهري المتن المذكراتي لعبد الله الجراري؛ ذلك أنه استوفى الشروط المذكورة، بل تجاوزها إلى الدراسة المستفيضة المنبسطة التي تحيط بالمؤلَّف والمؤلِّف ممتثلاً في ذلك ما تمم به الدكتور شوقي ضيف كلامه السابق قائلاً: «ولا بأس من أن يتوسع المحقق أحياناً في مقدمة الكتاب الذي ينشره، إذا كان ذا فائدة علمية طريفة أو فوائد جليلة»[15].

وعلى هذا الأساس، جاءت دراسة المتن في سفر مفرد يمتد إلى أكثر من ثلاثمائة صفحة، موزعة على أربعة أبواب كبيرة، تنطلق من التعريف بجنس المذكرات، وتؤطر له في الأدب العربي، وتضع الحدود بينه وبين مجموعة من الأجناس الأدبية القريبة منه. ثم تتجه الدراسة إلى تفصيل مكونات المتن المذكراتي في أبعاده المختلفة والمتشعبة الذاتية والفكرية والتربوية والوطنية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفنية والعلمية والأدبية. وقد أثبت المحقق، من خلال تفكيك النص وإعادة بنائه وفق مكوناته وسياقاته المتآلفة، عمقَ قراءته لشخصية العلامة عبد الله الجراري.

ثم إن المحقق الجوهري إذ خرج عن المعهود به في مثل هذه النصوص، عندما لم يترجم للمؤلف عبد الله الجراري، فإن عمله ذاك راجع إلى أمرين اثنين:

الأول: يكمن في أن تحقيق الكتاب - وهو مما لاشك فيه - امتداد للتأليف المفصل الذي أنجزه المحقق حول العلامة عبد الله الجراري بعنوان "عبد الله بن العباس الجراري الأديب"؛ فقد برع، من خلال الكتاب الأخير، في تسليط الضوء على مختلف الجوانب العلمية والمهنية لشخصية العلامة عبد الله الجراري ليبرهن للقارئ على كونها كانت شخصية علمية مشاركة بما تحمله هذه الصفة في عرف القدماء.

الثاني: كون هذه المذكرات أشبه بالسيرة. وعلى تشعب موادها، فقد تقاطع فيها الذاتي بالموضوعي. والمحقق في ذلك، وقف وقفة متأنية مع الشق الذاتي في الباب الثاني، حيث تتبع طفولته وشبابه كما وردت عنه في مذكراته. ناهيك عن إشارات كثيرة حول

[15] - نفسه.

حياته حفل بها الشق الموضوعي. وتبعاً لذلك، يكون عقد باب منفصل في ترجمة المؤلف عبد الله الجراري ضرباً من التكرار.

5 - توابع التحقيق.

سبق الحديث عن أهمية المتن المذكراتي لعبد الله الجراري، عندما ألمحنا إلى طبيعته التكوينية المتشعبة. ولعل هذا الزخم المعرفي المتنوع الذي يكتنزه الكتاب لا يمكن الاهتداء إليه والاستفادة منه في غياب الفهارس، التي وإن كانت تعد من مكملات التحقيق، فإن لها «المقامَ الأولَ بين هذه المكملات، إذ بدونها تكون دراسة الكتب عسيرة كل العسر. فالفهارس تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التهدِّي إليها»[16].

وانطلاقاً من هذه الأهمية، زوّد المحقق العمل بفهارس شاملة ومفصلة بلغت ثلاثة عشر فهرساً لا غنى عنها للباحثين. كما اجتهد المحقق في إضافة فهارس نوعية بالنظر إلى مواد الكتاب؛ من قبيل فهرس "الأسر والبطون والهيئات السياسية والحكومية والوفود واللجن المختلفة"، وفهرس "الخزانات والمكتبات"، وفهرس "المؤسسات التربوية والجامعية"، وغيرها من الفهارس التي تسهل على القراء والباحثين ولوج الكتاب والتنقل بين صفحاته في سهولة ويسر، وتذلل أمامهم مشاق البحث وعناءه.

* * * * * *

على سبيل الختم

وختاما، لا يسع القارئ للتحقيق الذي وضعه الأستاذ مصطفى الجوهري لكتاب "هذه مذكراتي" لعبد الله الجراري إلا أن يشهد بأنه أمام عمل علمي ضخم، منضبط إلى قواعد التحقيق؛ تغلب فيه المحقق على مجمل الصعوبات بفضل ما يملكه من خبرة وكفاية وتخصص في التراث الرباطي عامة، والجراري خاصة. ولا شك في أن محققه أفنى فيه سنوات من عمره، واستنفد منه جهداً كبيراً في البحث والتنقيب، والشرح والتفسير، والتصويب والتعليق، والتحليل والدراسة والنقد، حتى بلغ إلى القراء في هيأة سائغة واضحة المعالم، جاهزة للفائدة. ولا أدل على ذلك من غزارة المصادر والمراجع التي عاد إليها المحقق، سواء في تحقيق النص أو دراسته، والتي فاقت الخمسمائة عنوان، تنوعت

[16] - تحقيق النصوص ونشرها، ص 92.

بين المصادر المخطوطة والمطبوعة، والكتب والمجلات، المغربية منها والعربية. كما ضمت هذه اللائحة أكثر من عشرين عنواناً باللغة الأجنبية.

والواقع أن المحقق الدكتور مصطفى الجوهري، باتجاهه إلى تحقيق هذه المذكرات، فقد لفت الانتباه إلى مثل هذا الجنس من النصوص التي تزخر بها المكتبة التراثية المغربية، والتي تختزن في جعبتها خبايا تاريخية وأدبية وعلمية متنوعة. ومن ثمّ، فإن الكشف عنها وتعميق البحث في أنماطها وأخبارها سينير عتمات كثيرة ظلت مجهولة عند الدارسين، وسيملأ فراغات عديدة في الثقافة المغربية على نحو ما تطالعنا به كتب الكناشات[17].

فما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الطينة من المحققين المدققين، الذين يسهرون على بعث التراث ونشره بجد وعناية، والذين يتخصصون في تراث منطقة معينة، أو يبذلون جهوداً في رسم معالم إحدى الشخصيات العلمية ترجمة وتعريفاً وتحقيقاً. وما ذلك الأمر بغريب عن الأستاذ مصطفى الجوهري، الذي يعد أحد أبرز ثمار الجامعة المغربية في درس الأدب المغربي؛ وهو الدرس الذي سعى عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري إلى ترسيخه، وفق مشروع علمي وفكري كبير لخصه الدكتور محمد البوري في "الدعوة إلى بعث وإحياء الأدب المغربي بتحقيق مخطوطاته، ودراسة قديمه وحديثه بمختلف لغاته وأجناسه وألوانه، وترسيمه مجالاً من مجالات الدراسة الأدبية الجامعية، ودعم حضوره في الأنظومة التعليمية المغربية، والساحة الثقافية الوطنية، وذلك باعتباره مكوناً أساسياً من مكونات هوية الأمة المغربية"[18].

* * * * * *

[17] - انظر حول أهميتها "الكناشات المغربية ودورها في الكشف عن الدفائن التاريخية"، لمحمد المنوني، مجلة المناهل، العدد 2، 1975، ص 196. وانظر "الكناشة في العرف المغربي"، لعبد العزيز بن عبد الله، مجلة المناهل، العدد 37، ص 22. وانظر "الفهرسة والكناشة في نشاط المغرب الفكري"، لعبد العزيز بن عبد الله، مجلة التاريخ العربي، العدد 7، السنة 1998، ص 123.

[18] - دراسة الأدب المغربي في مشروع الدكتور عباس الجراري الأكاديمي: المفاهيم والإجراءات دراسة تحليلية تركيبية، لمحمد البوري، ضمن كتاب جهود الأستاذ الدكتور عباس الجراري في إثراء التنمية الثقافية المستديمة، ص 231.

مسرد المصادر والمراجع

1 - البحث الأدبي "طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره"، لشوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1992م.

2 - تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة 1998م.

3 - دراسة الأدب المغربي في مشروع الدكتور عباس الجراري الأكاديمي: المفاهيم والإجراءات دراسة تحليلية تركيبية، لمحمد البوري، ضمن كتاب جهود الأستاذ الدكتور عباس الجراري في إثراء التنمية الثقافية المستديمة، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، 2017م.

4 - المذكرات في الأدب المغربي "هذه مذكراتي لعبد الله الجراري"، تحقيق دراسة مصطفى الجوهري، منشورات النادي الجراري، رقم 60، الطبعة الأولى 2013م.

5 - من تاريخ الأندية الأدبية في المغرب "النادي الجراري بالرباط لمؤسسه العلامة عبد الله الجراري"، لمحمد احميدة، منشورات النادي الجراري، رقم 28، الطبعة الأولى 2004م.

6 - عبد الله بن العباس الجراري الأديب، لمصطفى الجوهري، منشورات النادي الجراري، رقم 4، الطبعة الأولى 1995م.

7 - "الكناشات المغربية ودورها في الكشف عن الدفائن التاريخية"، لمحمد المنوني، مجلة المناهل، العدد 2، 1975م.

8 - "الكناشة في العرف المغربي"، لعبد العزيز بن عبد الله، مجلة المناهل، العدد 37، 1989م.

9 - "الفهرسة والكناشة في نشاط المغرب الفكري"، لعبد العزيز بن عبد الله، مجلة التاريخ العربي، العدد 7، السنة 1998م.

***

الدّكتور مصطفى الجوهريّ محقّقا
"الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" نموذجا

د.إدريس الشراوطيّ*

تقديم:

كَتب المؤلِّفون المغاربة إبّان القرن العشرين مؤلَّفات قيّمة خاضت في مختلف الفنون، إيمانا منهم بأنّ الدّفاع عن حوزة الوطن لا ينحصر في السّلاح، بل إنّ مفعول القلم أنجع وأبقى، وبذلك تصدّوا لكتابة وتدوين تراث بلدهم الزّاخر، فما يُكتب يبقى، وما لا يُكتب يضيع ويُنسى، وقد عمل العديد منهم على حصر كلّ كتاباته أو جلّها في تاريخ مدينته، مثلما فعل المؤرّخ عبد الرحمن ابن زيدان المكناسيّ حين ألّف كتابه "إتحاف أعلام النّاس، بجمال حاضرة مكناس"[1]، ومثله القاضي عباس ابن إبراهيم المراكشيّ حين جمع مؤلَّفه "الإعلام، بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام"[2]، ومحمّد داود حين أرّخ لمدينته تطوان في مصنَّفه "تاريخ تطوان"[3].

وقد سار مجموعة من العلماء والأساتذة والمحقّقين على نفس النّهج حين تخصّصوا في تحقيق تراث مدنهم المخطوط، لمعرفتهم العميقة والدّقيقة بتاريخها وأعلامها وأماكنها، مثلما هو الحال مع الأستاذ الدّكتور المحقّق جعفر ابن الحاجّ السّلميّ التّطوانيّ الّذي حقّق ولايزال أهمّ المؤلّفات التّطوانيّة، منها "عمدة الرّاوين، في تاريخ تطّاوين"[4]، والدّكتور مصطفى الجوهريّ الّذي يحقّق التّراث المخطوط الرّباطيّ، حيث أخرج من ظلمة المخطوط إلى نورانيّة المطبوع كتاب "هذه مذكّراتي" للعلّامة المؤرّخ عبد الله الجرّاري، ثمّ

---

* أستاذ باحث، القنيطرة.

[1] - إتحاف أعلام النّاس، بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرّحمن ابن زيدان، 5 أجزاء، المطبعة الوطنيّة.

[2] - تحقيق عبد الوهّاب ابن منصور، 10 أجزاء، المطبعة الملكيّة، الرّباط، 1974 – 1983م.

[3] - تاريخ تطوان لمحمد داود، منشورات معهد مولاي الحسن ، ثم المطبعة المهدية بتطوان، بين 1959م و1976م.

[4] - عمدة الرّاوين، في تاريخ تطّاوين، أبو العباس أحمد الرّهونيّ، 11 جزءا، تحقيق أ.د جعفر ابن الحاجّ السّلميّ، إعداد الفهارس: د إدريس الشراوطي، منشورات جمعيّة تطّاون أسمير، مطبعة الخليج العربيّ، تطوان، المغرب.

"الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" للمؤلّف نفسه، فما هي خطّة ومنهجيّة المحقّق الدّكتور مصطفى الجوهريّ في التّحقيق من خلال هذا المصنّف؟

كتاب "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة":

وصف الكتاب:

طُبِع كتاب "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" لعبد الله الجرّاريّ عام 2005م، وهو من منشورات النّادي الجرّاريّ رقم 32، مطبعة بني يزناسن بسلا، في 140 صفحة، كُتِب أعلى وجه غلافه اسم المؤلّف (عبد الله الجرّاريّ)، وفي وسطه عنوان الكتاب (الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة)، ثمّ في يمين الأسفل توثيقٌ للعمل الّذي ارتبط بهذا الكتاب، وهو (تحقيق)، مع اسم المحقّق، وهو (الدّكتور مصطفى الجوهريّ)، بينما في يساره توثيقٌ لمن قام بالتّقديم وهو (الدكتور عبّاس الجرّاريّ)، وفي أدنى الأسفل إشارة إلى الجهة النّاشرة، والمتمثّلة في النّادي الجرّاريّ (منشورات النّادي الجرّاريّ)، والّتي تحمل رقم 32، بينما ظهر الغلاف فقد عَلَتْهُ صورة المحقِّق مع اسمه تحتها، ثمّ كلمة مجتزأة من تقديم الأستاذ الدّكتور عبّاس الجرّاريّ الواردة في بداية هذه الرّحلة، وقد تضمّن هذا الكتاب:

1 – إهداء:

سمّاه المحقّق إهداءَ الوفاء، لأحد عشر عضوا من أعضاء النّادي الجرّاريّ، رحلوا إلى دار البقاء، تجمعهم بالمحقِّق علاقة مشيخة وأستاذيّة وصداقة.

2 – صورة العلّامة المؤرِّخ، مؤلّف الرّحلة عبد الله الجرّاريّ، وهو في مرحلة شبابه، وتحتها اسمه.

3 – صورة العلّامة أحمد سكيرج وتحتها اسمه.

4 – تقديم[5] لفضيلة الدّكتور عبّاس الجرّاريّ:

من أربع صفحات، تضمّن الإشارة إلى نبوغ المغاربة في فنّ الرّحلة، الّتي منها الخارجيّة بقيامهم برِحْلات غايتها الأساس أداء فريضة الحجّ، وأحيانا قصد السّفارة أو التّجارة أو السّياحة أو غيرها من الغايات، ومنها كذلك الدّاخليّة بين مدن المغرب وقُراه

[5] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: أ.

وأماكنه المتعدّدة المتنوّعة، طلبا للعلم والإجازة أو السّياحة وغير ذلك، مشيرا إلى أشهر الرّحالة المغاربة الّذين عُرِفوا بهذا الصّنف من الرِّحْلات، ومنهم والده - طيّب الله ثراه - العلّامة المؤرِّخ عبد الله الجرّاريّ، الّذي جاب البلاد طولا وعرضا، ودَوَّن رِحْلاته الّتي كتب منها سبعا، ولعلّ ذلك راجع إلى التّيمّن بالدّلالة الرّمزيّة للعدد سبعة، هذه الرِّحلات السّبع حُقِّقت منها ثلاث، اثنتين من إنجاز الأستاذ عبد المجيد بنجيلانيّ، ضمن أطروحته (مقاربة دراسيّة لرِحْلات عبد الله الجرّاريّ)[6]، وثالثة على يد الأستاذ الدّكتور، خرّيت المكتبة الجرّاريّة الخبير بكنوزها، مصطفى الجوهريّ، وهي "الرّحلة السّطاتيّة أو السّكيرجيّة" وهي رحلة علم ومشيخة قام بها المؤلِّف للأخذ عن شيخه العلّامة أحمد سكيرج حين كان قاضيا بمدينة سطّات، وقد أشار فضيلة الأستاذ عبّاس الجرّاريّ في هذا التّقديم القيّم إلى الصّعوبات الّتي اكتنفت تحقيق هذه الرّحلة، لما تزخر به من قضايا وجزئيات وأسماء أعلام، ما كان ليقوم بها أحسن قيام سوى الدّكتور مصطفى الجوهريّ، الّذي تربطه بالمكتبة والنّادي الجرّاريّين العامرين وصاحبيها صلة تمتدّ لعقود من الزّمن[7].

5 – مقدّمة[8] المحقِّق:

اِستهلّ المحقِّق الدّكتور مصطفى الجوهريّ مقدّمته الّتي امتدّت تسع صفحات بالحديث عن نوعَي الرِّحلة العربيّة عامّة والمغربيّة خاصّة، وهما الرِّحلة الخارجيّة الّتي ذاع صيتها وشدّت الانتباه إليها، ثمّ الرّحلة الدّاخليّة الّتي بقيت مركونة في زاوية قلّما يُنتبَه إليها، ولَكَمْ في الزّوايا من خبايا، وقد أشار المحقِّق إلى بعض هذه الرِّحْلات الدّاخليّة وأشهر أعلامها، كما صنّفها تبعا للهدف من القيام بها، فمنها الرّحلة الدّاخليّة الغيريّة، وهي الّتي قام بها سلاطين البلد داخليّا، وأمروا غيرهم ممّن كان مرافِقا لهم بتدوينها، ومنها الرّحلة الفهرسيّة، وهي الّتي قام بها صاحبها طلبا للإجازة والمشيخة.

بعد هذا عرّج المحقِّق على الرِّحلات السّبع[9] للعلّامة المؤرِّخ عبد الله الجرّاريّ، ليخصّص الحديث عن هذه "الرِّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة"، الّتي بيّن أنّها رحلة

---

[6] - مقاربة دراسية لرحلات عبد الله الجراري، عبد المجيد بنجلالي، منشورات النادي الجراري، الرباط 2001م

[7] - من تاريخ الأندية الأدبيّة في المغرب، النّادي الجرّاريّ بالرّباط لمؤسّسه عبد الله الجرّاريّ/ محمد احميدة: 414 – 418.

[8] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 1.

[9] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 5.

مشيخة وتحصيل علميّ، تميّزت بتنوّع مضمونها الغنيّ الّذي شمل التّاريخ والعلوم والفنون، فضلا عن التّصوّف والمجتمع، ثم الاقتصاد وتراجم الأعلام.

وقد ختم المحقِّق تقديمه بالحديث عن نسخ الرِّحلة، وهي ثلاث، واحدة بخطّ مؤلِّفها العلّامة عبد الله الجرّاريّ، وثانية نسخة مخطوطة، وثالثة مرقونة.

6 – الرّموز[10] المعتمدة في التّحقيق:

خصّص المحقِّق صفحة للرّموز الّتي اعتمدها في تحقيقه للرّحلة، تيسيرا لمعرفة القارئ القصدَ منها.

7 – متن الرّحلة:

متن "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" حافل بقضايا متنوّعة، يحتاج التّخصيص فيها إلى مجلّدات ضخام، ذلك أنّها جمعت بين قاصد ومقصود يُعَدّان من علماء المغرب البارزين، الّذين أفادوا البلاد والعباد بعلمهم الغزير وتآليفهم الغنيّة، وهما العلّامة المؤرِّخ عبد الله الجرّاريّ والعلّامة الشّيخ أحمد سكيرج، علاوة على علماء آخرين استنارت مجالس هذه الرّحلة بمذاكراتهم العلميّة والدّينيّة والأدبيّة.

لقد استهلّ العلّامة عبد الله الجرّاريّ، الّذي آثر استعمال ضمير الغائب – هو – في الحديث عن الذّات (فكم تاقت نفس الكاتب عبد الله الجرّاريّ لزيارة القلعة السّطّاتيّة[11] – ومن تقديره لصديقه الجرّاريّ هذه القصيدة الرّائيّة الّتي أبدى فيها عواطفه الصّادقة نحوه[12]، وقد ضمّت الرّحلة مواضيع متنوّعة، منها:

– التّاريخ:

إنّ مؤلِّف الرّحلة العلّامة عبد الله الجرّاريّ من أبرز المؤرّخين المغاربة الّذين ملأوا ثغرات كثيرة بفضل كتاباتهم التّأريخيّة، ومنها هذه الرّحلة الّتي استهلّها بتاريخ[13] تأسيس مدينة سطّات وموقعها الجغرافيّ، وهي المكان الّذي احتضن ماجرياتها، فضلا عن عدد

[10] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 10.

[11] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 11.

[12] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 25.

[13] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 11.

سكّانها[14] وجنسياتهم يومئذ، كما عرّف بوليَّيْها[15] الشّهيرين صاحبي الضّريحين المعروفين بالمدينة، الأوّل هو سيّدي الغنيميّ، والثّاني هو سيّدي بوعبيد معمريّ السّعيديّ، هذا إضافة إلى ترجمته للعديد من الأعلام الّذين التقاهم في رحلته السّطّاتيّة هذه، وعلى رأسهم العلّامة الشّيخ أحمد سكيرج الّذي تدور هذه الرّحلة كلّها في رحابه، فقد ضمّت إفادات قيّمة عنه، شملت جلساته العلميّة، وكتبّه المتنوعة، ثمّ معرفته الموسوعيّة، والعلماء الّذين كانت له معهم مذاكرات متنوّعة القضايا والاهتمامات، وممّن ترجم لهم كذلك الأديب الشّاعر العلّامة مبارك بن عبد الله الأمرانيّ العلويّ[16] رئيس جامعتَي ابن يوسف بمرّاكش والقرويّين بفاس، ثمّ العربيّ بن الحسن السّليمانيّ[17] خليفة الباشا الكلاويّ، وكذلك محمّد بن العبّاس المنجرة السّعديّ[18]، ناهيكم عن القاضي محمد بوعشرين الأنصاريّ المكناسيّ[19]، بل لقد ترجم في هذه الرّحلة كذلك لمن التقى معه في رحلة أخرى لمدينة سطّات، مثل محمّد العربيّ الشّرايبيّ[20]، ممّا ينمّ عن حسّ تأريخيّ واع بضرورة الكتابة والتّدوين، فمن أرَّخ لعالم فقد خلّد ذكراه وأخرجه من غياهب النسيان.

– مسائل علميّة:

لقد حوت "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" مسائل علميّة عديدة، كانت مذاكرةً بين العالِمَيْن عبد الله الجرّاريّ وأحمد سكيرج، ثمّ علماء آخرين كانوا يقصدون الشّيخ السّكيرج، البحر الفيّاض بمعرفته الغزيرة، ومن هذه القضايا كَلِمَتا علم وعمل[21]، وعدد أسماء الله الحسنى في آية الكرسيّ[22]، ثمّ الأصيل والدّخيل من الكلمات[23]، وأيضا مسألة الرّوح وانسلاخها عن الجسد[24]، فضلا عن إعراب البسملة[25]، وغير ذلك.

---

[14] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 12.
[15] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 83 – 85.
[16] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 58.
[17] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 59.
[18] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 71 – 72.
[19] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 74 – 76.
[20] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 69 – 73.
[21] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 31.
[22] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 35.
[23] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 61.
[24] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 64.
[25] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 60.

- **مسائل اجتماعيّة:**

إنّ العلّامة عبد الله الجرّاريّ وبفضل كثرة أسفاره منذ شبابه الأوّل، واحتكاكه الدّقيق بمختلف البيئات المغربيّة[26]، قد امتلك معرفة دقيقة بقضايا مجتمعه المغربيّ، ويتّضح ذلك من المسائل الاجتماعيّة الّتي أثارها في رحلته هذه، ومنها مسألة العداوة بين الرّباطيّ والسّلاويّ بحكم المجاورة الّتي تجمع بينهما[27]، حيث عمل العلّامة الجرّاريّ على إبطالها وبيان زيفها (تنمّ بظاهرها الكاذب عن عداوة باطنة لا أساس لها، إنْ هي إلّا ترّهات وخرافات لا تنبني على حقيقة)[28]، ومنها كذلك قضيّة تعليم البنات[29]، الّتي حسمها العلّامة السّكيرج بأنّ الإناث من حقّهنّ التّعلّم، لكنْ مع ضرورة الالتزام والانسجام مع تعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف، وغيرها من القضايا الّتي تفيد القارئ وهو يطّلع على الرّحلة.

- **مسائل دينيّة:**

من المسائل الدّينيّة الّتي تناولها العلّامة عبد الله الجرّاريّ في رحلته قضيّة الإفتاء[30]، الّتي رأى أنّها لم يبق لها من جدوى مع إنشاء المجلس الأعلى للاستئناف، زِد على ذلك مسألة صوت المرأة[31]، هل هو عورة أم لا، ثمّ تلحين قراءة القرآن[32]، وكذلك مسألة الرّقص هل هو جائز أم لا [33] ، وغيرها من القضايا.

- **تقريظ الكتب:**

لقد ضمّت الرّحلة السّطاتيّة أو السّكيرجيّة تقاريظ متبادلة بين قطبَيْها العالِمَيْن الجليليْن، فقد قرّظ عبد الله الجرّاريّ كُتُب أحمد سكيرج مثل "منهل الورود الصّافي

---

[26] - من تاريخ الأندية الأدبيّة في المغرب، النّادي الجرّاريّ بالرّباط لمؤسّسه عبد الله الجرّاريّ: 256. منشورات النادي الجراري 28، الطبعة الأولى، مطبعة الأمنية بالرباط 2004م.

[27] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 27.

[28] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 27.

[29] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 22.

[30] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 54.

[31] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 57.

[32] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 48.

[33] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 62.

والهدي في فتح الكافي في شرح الشّافي من عِلمَي العروض والقوافي"[34]، و"الظّل الوريف في محاربة الرّيف"[35]، أمّا كتب الجرّاريّ الّتي قرّضها له السّكيرج فمنها "دروس التّاريخ المغربيّ"[36]، وكتاب "القول المحتّم في لبس الخاتم"[37].

تحقيق الرّحلة:

يعدّ الدّكتور مصطفى الجوهريّ أكثر المحققين تأهلا لتحقيق التراث الجراري المخطوط، لكونه من أبرز أعضاء النادي الجراري، حيث التحق بعضويته منذ العام 1983م، وهو من أكثرهم صلة بالمكتبة الجرارية، والخبير بكنوز وجواهر ما ألفه مؤسس النادي صاحب الرحلة عبد الله الجراري، فضلا عن تخصصه في تكوينه الأكاديمي بدراسة جزء من هذا التراث، فقد كان موضوع رسالة دبلوم الدراسات العليا (عبد الله الجراري الأديب)، بإشراف الدكتور عباس الجراري، بينما موضوع أطروحة دكتوراه الدولة فهو (المذكرات في الأدب المغربي، هذه مذكراتي لعبد الله الجراري دراسة وتحقيق)، بإشراف الأستاذين الدكتور حسن جلاب والدكتور محمد الظريف.

عمل المحقق:

لقد قام المحقق الدكتور مصطفى الجوهري في تحقيقه "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" باتّباع خطوات التّحقيق العلميّة الرّصينة، الّتي جعلتها تخرج في حلّة قشيبة نالت رضا كلّ من يطّلع عليها ويقرؤها بعين الفاحص المتخصّص، وقد تمثّلت هذه الخطوات في:

أوّلا: تقسيم الصّفحة إلى قسمين، قسم علويّ للمتن، وآخر سفليّ للهوامش:

لقد قسّم المحقّق صفحات التّحقيق إلى قسمين، قسم علويّ يضمّ المتن المحقّق، مع الإشارة برموز التّحقيق المعروفة إلى كلّ ما رَمَّم به النّصّ من مصادر أخرى، ثمّ كتابة اسم البحر الشّعريّ فوق كلّ بيت أو أبيات شعريّة، وآخر سفليّ يشمل الهوامش

[34] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 13.

[35] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 17.

[36] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 38.

[37] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 41.

الّتي حملت أرقاما تتجدّد عند بداية كلّ صفحة جديدة، وقد حفلت هذه الهوامش بما يخدم المتن ويقرّبه من القارئ، دون إطالة أو إغراق لها بما لا فائدة منه، أو بإشارات معروفة متداولة، وقد ضمّت هذه الهوامش:

1 - تخريج الآيات القرآنيّة:

وذلك بالإشارة إلى أرقامها، والسّور الّتي تنتمي إليها.

2 - تخريج الأحاديث النّبويّة:

قام بتخريجها من مصادرها، مع تتمّة الأحاديث الّتي استشهد المؤلِّف بجزء منها.

3 - تخريج الأعلام:

خَرّج المحقّق الأعلام الواردة في المتن من أهمّ مصادر ترجمتها، مع التّعريف بها عند ورودها للمرّة الأولى، وذلك بالتّعريف بها تعريفا مقتضبا، يشمل في أغلب الأحوال الاسم الكامل، وتاريخَي الميلاد والوفاة إذا توافرا، ثمّ أهمّ ما يرتبط بالعَلَم، مثل المهنة والعلوم التي عُرِف بها في حياته، ثمّ ذكر أهمّ المصادر الّتي ترجمت له، دون إكثار منها، كما أنّه أحيانا لا يترجم للعَلَم حين وروده للمرّة الأولى، وذلك حين تكون ترجمته آتية في اللّاحق، حيث يشير إلى ذلك بأنّ ترجمته سترد لاحقا، وتتّضح من تخريجات الأعلام معرفة المحقّق الدّقيقة بها، ولا سيما الرّباطيّين، حيث كثيرا ما يورد المؤلّف العَلَم بذكر لقبه فقط، علما أنّ العديد من الأعلام يحملون نفس اللّقب، فيقوم المحقّق بتحديده بدقّة[38].

4 - تخريج الأماكن:

قام المحقّق بتخريج الأماكن الواردة في المتن حين يرد ذكرها للمرّة الأولى، وذلك بالتّعريف بها، مع ربطها بالمصادر الّتي توجد بها، وقد حفل تخريج الأعلام الجغرافيّة بإفادات قيّمة من المحقّق، تنمّ عن ثقافة واسعة، مع تريّث وتثبّت في تحقيق النص.

[38] - أُنظر مثلا الصفحة 40 الهامش 1.

5 - تخريج الكتب:

وفيما يخصّ الكتب، فإن المحقّق يُعرّف بها[39]، هل هي مخطوطة، مع الإشارة إلى الخزانة الّتي توجد بها، أم مرقونة، أم مطبوعة، سواء طبعة حجريّة أو حديثة، علاوة على إظهاره مناسبة[40] تأليف الكتاب، والاختلافات[41] المرتبطة بعنوانه، والقضايا التي يثيرها، ممّا يفصح عن محقّق عارف، نَهَلَ معرفته من تراكم القراءات والاطّلاع الواسع.

6 - تخريج الأشعار:

حفلت الرّحلة السّطاتيّة بمادّة شعريّة مهمّة، وقد عمل المحقّق على تخريجها من مصادرها، ونسبتها إلى ناظمها حين لا يشير الكاتب إلى ذلك في المتن، مع مناسبة نظمها، وقبل ذلك بتحديد البحر الذي نُظمت فيه.

7 - تحيين المعلومات الواردة في متن الرّحلة مع زمن تحقيقها:

عمل الأستاذ الجوهريّ على تحيين كلّ المعلومات الّتي تغيّرت بفعل الزّمن الفاصل ما بين فترتي التّأليف (1938م) والتّحقيق (2005م)، مثلما هو الحال مع عدد سكّان[42] سطّات الّذي كان زمن التّأليف نحو 17000 نسمة، بينما زمن التّحقيق 116570 نسمة، وكما هو الأمر حين ذكر المؤلّف الجرّاريّ كُتُب السّكيرج الّتي كان عددها يومئذ يربو على 140 كتابا، في حين أنّها بلغت بعد ذلك 162 كتابا[43].

ثانيا: إنجاز كشّاف للفهارس:

أنجز المحقّق الدّكتور مصطفى الجوهريّ كشّاف فهارس متنوّع، بلغ اثني عشر فهرسا، جعلت من الوصول إلى المراد من قراءة نصّ الرّحلة ميسّرا، وقد شملت هذه الفهارس بداية فهرس الآيات القرآنيّة[44]، ففهرس الأحاديث النّبويّة[45]، ثمّ فهرس الأمثال

---

[39] انظر مثلا الصفحة 14 الهامش 2، والصفحة 17 الهامش 4.
[40] - انظر مثلا الصفحة 21 الهامش 6.
[41] - انظر مثلا الصفحة 26 الهامش 4.
[42] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 12.
[43] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 13.
[44] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 90 – 91.
[45] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 92.

والحكم[46]، إضافة إلى فهرس الأشعار[47]، وكذلك فهرس الأعلام[48]، دون الإشارة إلى التّراجم الّتي كان حريّا بها أن تُمَيّز عن الأعلام الّتي وردت مع السّياق، فضلا عن فهرس الكتب والقصائد والمقالات[49]، وأيضا فهرس القبائل والمدن والدّول والشّعوب[50]، علاوة على فهرس الأماكن[51]، وبعدها فهرس الطّوائف والمذاهب[52]، ثمّ فهرس العلوم والفنون[53]، وفهرس المصادر والمراجع[54]، وأخيرا فهرس المحتويات[55].

وخلاصة القول، فإنّ تحقيق الأستاذ الدّكتور مصطفى الجوهريّ لكتاب "الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة" لعبد الله الجرّاريّ قد تمثّلت فيه خصائص عديدة، منها الإلمام الدّقيق بقواعد التّحقيق العلميّ المتين، ثمّ الشّخصية المثقّفة الواسعة الاطّلاع، فضلا عن إثبات البصمة المغربيّة في عمليّة التّحقيق، من خلال اعتماد التّرتيب المغربيّ للحروف الأبجديّة، فمعلوم أن ترتيب المغاربة لها مخالف لمثيله المشرقيّ، وفي ذلك اعتزاز بالهويّة المغربيّة، وتخلّص من عقدة النّمط المشرقيّ، وتذكير في الوقت ذاته بهذا التّرتيب الّذي لا يعرفه الجميع، والّذي هو من أساسيّات المدرسة المغربيّة الأصيلة، الممتدّة في عمق التّاريخ، كما أنّ الحلّة الجميلة للكتاب تفصح عن رجل راكم خبرات طويلة في عالم التأليف.

****

[46] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 93 – 94.
[47] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 95 – 97.
[48] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 98 – 105.
[49] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 106 – 111.
[50] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 112 – 113.
[51] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 114 – 115.
[52] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 115.
[53] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 116 – 118.
[54] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 120 – 137.
[55] - الرّحلة السّطّاتيّة أو السّكيرجيّة: 139 – 140.

الجهود العلمية للدكتور مصطفى الجوهري في العناية بالتراث الفكري والأدبي للأسرة الجرارية

د. محمد احميدة*

تنوعت اهتمامات الأستاذ مصطفى الجوهري العلمية والتربوية، فبالإضافة إلى مهمة التدريس والتأطير التربوي والمساهمة في تكوين أساتذة التعليم التأهيلي الثانوي، لم يغفل مجال البحث العلمي وتبدى ذلك من خلال ما أنجزه من أبحاث ترتبط أساساً بحقل الدراسات الأدبية المغربية.

وحينما ننظر في المسيرة الأكاديمية للأستاذ الجوهري، ونقف على منجزه العلمي، نجد أن من أهم مميزاته، ذلك الارتباط الكبير بالتراث الفكري والأدبي للأسرة الجرارية، وهي من الأسر العلمية التي ساهمت بحظ وافر في تاريخ الثقافة المغربية، في مرحلتيها المعاصرة والراهنة، وتجلت هذه المساهمة فيما صنّفه العلامة عبد الله الجراري، وما أنتجه ابنه الدكتور عباس الجراري، وهي مساهمة تمتد على مدى القرن العشرين إلى العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين. ومن ثم كان التفات الأستاذ مصطفى الجوهري إلى هذا التراث الجراري، التفاتاً إلى شخصيتين علميتين بصمتا الحياة الفكرية المغربية المعاصرة بميسم واضح.

ولما كان التراث الجراري غنياً ومتنوعاً وخصيباً، فقد كان في حاجة إلى من يتناوله بالتعريف والتحليل والدراسة، بل إلى إخراج بعض نصوصه التي ظلت مخطوطة، سواء من كتابات الأب عبد الله الجراري أم من إنتاج ابنه الدكتور عباس الجراري. لذا كان اشتغال الدكتور مصطفى الجوهري بهذا التراث، خدمة كبيرة لفكرنا وأدبنا المغربيين. فكيف تعامل الأستاذ الجوهري مع هذا التراث الجراري ؟

* أستاذ جامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، تقاعد سنة 2013.

يتكون تراث الأسرة الجرارية من المخطوط والمرقون والمطبوع، ويتميز بتنوعه الفكري والأدبي. فتنوعت بذلك جهود الأستاذ الجوهري في التعامل مع هذا الإنتاج، ومن ثم نجد هذا الباحث يعمد حيناً إلى تحقيق نص، وحيناً آخر إلى إعداده ليقربه من المهتمين، ويمهد السبيل لتحقيقه أو دراسته، وآناً آخر يعمد إلى الدراسة والتحليل لبعض الكتابات، سواء كانت من تصنيف العلامة عبد الله الجراري، أم لعميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري.

وهكذا يقدم لنا المنجز العلمي للأستاذ الجوهري، ثلاثة مستويات للتعامل مع التراث الجراري:

يتمثل المستوى الأول في التحقيق. فقد ظل الكثير مما أنجزه الجراري الأب أو ابنه عباس، مخطوطاً، رغم ما بذله ويبذله الجراري الإبن من جهود لطبع هذا التراث ونشره، حفظاً له من الضياع، ومساهمة في إغناء الحركة الفكرية والأدبية ببلادنا، فجاء انصراف الدكتور مصطفى الجوهري إلى إخراج بعض هذه النصوص، إسهاماً له قيمته العلمية الكبيرة، خاصة حينما يعمد إلى إخراجها محققة؛ والمهتمون بالبحث العلمي في الجامعة، يعرفون ما تتطلبه عملية تحقيق النصوص من جهود، وما يفرضه هذا العمل العلمي من امتلاك للعُدّة العلمية، فضلا عما يتطلبه العمل من زمن قد يستغرق سنوات.

ساهم الأستاذ الجوهري في مجال تحقيق النصوص بإخراج نصين للعلامة عبد الله الجراري، وهما: هذه مذكراتي، والرحلة السطاتية أو السكيرجية. وكانت هذه الرحلة هي النص الأول الذي عمد إلى تحقيقه من تراث الجراري الأب، مستحضراً ما يتطلبه إخراج نص محقق، لذلك سنجده يقول في المقدمة التي وضعها لهذه الرحلة: «وقد سعيت جاهداً لإخراج هذا النص الرحلي في الحلة التي جاء عليها مساهمة منّي في العناية بتراث العلامة الأديب عبد الله الجراري، الغزير والمتنوع»[1]. ويؤكد الباحث وجود هذه الصعوبات حينما تصدى لتحقيق هذه النصوص، في المقدمة التي وضعها لأطروحته «المذكرات في الأدب المغربي: هذه مذكراتي لعبد الله الجراري، فتحدث قائلاً: « إن التراكم المعرفي في «هذه مذكراتي»، يطرح صعوبات كبيرة في التحقيق، سواء تعلق الأمر بالأعلام

(1) الرحلة السطاتية أو السكيرجية، عبد الله الجراري، ص، 8، منشورات النادي الجراري رقم: 32، ط، 1، يونيو 2005.

أو الأشخاص، أو ما اتصل بكثير من النصوص والشواهد والكتب الغميسة، جعلنا نسلك التعريف بالأعلام الواردة على تعددها وتشابهها ..... وإن كانت ثمة إشكالات كثيرة تظل مطروحة، حاولنا جهد المستطاع توجيهها وضبطها»[2].

ويتضح من عمل الأستاذ الجوهري، أنه حينما انبرى إلى التحقيق، فإنه كان يمزج أحياناً بين التحقيق والدراسة كما هو الشأن في عمله الأكاديمي «المذكرات في الأدب المغربي: هذه مذكراتي لعبد الله الجراري» الذي صدر في ثلاثة أجزاء.

أما المستوى الثاني في تعامل الباحث مع تراث الأسرة الجرارية، فقد تمثل في إعداد بعض النصوص وإخراجها، ليضعها بين أيدي الباحثين والمهتمين، وإن لم تكن محققة التحقيق العلمي المطلوب. انبرى إلى هذا النمط من العمل إسهاماً منه في تهييء السبيل لمن يرغب في الاشتغال بهذه النصوص التي كانت ثاوية في الرفوف. وفي هذا الإطار أخرج الأستاذ الجوهري نصاً قيماً يرتبط بالجانب التاريخي للمغرب المعاصر، هو كتاب «حياة بطل التحرير محمد الخامس»، من تأليف عبد الله الجراري. ومن خلال شخصية الملك الراحل، رسم الكاتب صفحة من تاريخ المغرب، تتميز بأن كاتبها عايش أحداثها عن كثب، بل كان صانع بعض وقائعها، مما يضفي قيمة علمية كبيرة على هذه الوثيقة، التي بذل الأستاذ الجوهري جهداً علمياً ملحوظاً لإخراجها، ليصبح النص في متناول الباحثين، ويسَّر السبيل للاطلاع على وثيقة دوّنها صاحبها في «تتبع دقيق وموثق لجميع الأحداث والوقائع التي سجلها، بروح وطنية وأمانة تاريخية»[3]. وقد وضع نشر هذا الكتاب، حدّاً للتصرف في مادته من طرف البعض دون الإشارة إلى ذلك، «وكان المؤلف يأسى لهذا التصرف، لاسيما وقد كان يلاحظ - كما لوحظ بعد وفاته- أن بعض الذين كتبوا عن هذه الفترة وجهاد بطل التحرير، كانوا يرجعون إليه و«يعتمدونه» من غير أية إشارة إليه»[4].

([2]) المذكرات في الأدب المغربي، هذه مذكراتي لعبد الله الجراري، تحقيق ودراسة، د.مصطفى الجوهري، ج، 1، ص، 14، منشورات النادي الجراري، رقم: 60، ط، 1، 2013.

([3]) حياة بطل التحرير محمد الخامس، تأليف العلامة المؤرخ عبد الله الجراري، إعداد وتقديم، مصطفى الجوهري، توطئة، عباس الجراري، ص، 10، منشورات النادي الجراري، رقم: 37، ط، 1، 2006.

([4]) نفسه، ص، 10.

وتمثل المستوى الثالث لاهتمام الجوهري بالتراث الجراري، في انصراف الباحث إلى إنجاز دراسات لجانب من هذا التراث، فصرف عنايته في البداية إلى الإنتاج الأدبي الذي صنّفه العلامة عبد الله الجراري، واتخذه موضوعاً لبحث جامعي، نال به دبلوم الدراسات العليا، وقد تميز هذا البحث بشموليته ودقته، ليضع بذلك دراسة علمية، لشخصية أغنت الساحة الفكرية والأدبية المغربية خلال القرن العشرين، بعطاآت علمية متعددة وغنية، لمست مجالات معرفية مختلفة، وهو الأمر الذي حدا بالأستاذ الجوهري إلى متابعة الاهتمام بإنتاج هذه الشخصية، فانبرى إلى دراسة أنماط أخرى من كتابات عبد الله الجراري، سعياً إلى استكمال الصورة، فكتب عن جهوده في خدمة القرآن الكريم، مبرزاً إنجازاته في هذا الباب، وما كتبه في مواضيع ذات ارتباط بمجال الدراسات القرآنية، كالتجويد والتفسير وإعجاز القرآن، ومشاركته في وضع المعجم القرآني[5]. ولما كان التاريخ جزءاً من الاهتمامات العلمية للعلامة علد الله الجراري، سنجد الأستاذ الجوهري يعمد كذلك إلى تناول هذا الجانب، سواء فيما ألّفه الجراري حول تاريخ المغرب بشكل عام كما في كتابه «دروس التاريخ المغربي»، أم حينما ينحصر تناوله في مجال زمكاني محدد، كما تمثَّل في كتابه «من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا»[6]، باعتباره تأريخاً للثقافة في العدوتين في المرحلة المعاصرة.

ويعتبر النادي الجراري امتداداً للعمل الثقافي للأسرة الجرارية، وقد دوّن مؤسسه العلامة عبد الله الجراري جانباً من مساهمة هذا النادي في الحياة الثقافية المغربية خلال النصف الأول من القرن العشرين[7]، بالإضافة إلى ما كتبته أقلام أخرى حول هذا

([5]) أُنظر البحث الذي قدمه الأستاذ مصطفى الجوهري بعنوان: العلامة المقريء سيدي عبد الله بن العباس الجراري رجل القرآن، ضمن ندوة عبد الله الجراري، الحلقة الثانية، وكان محورها «العناية بالقرآن الكريم وعلومه في المغرب»، ص، 81. منشورات النادي الجراري، رقم: 5، ط، 1، 1995.

([6]) أُنظر، تاريخ الثقافة برباط الفتح من خلال أعلام العلامة المؤرخ المرحوم عبد الله الجراري، مصطفى الجوهري، ضمن «ندوة عبد الله الجراري»، الحلقة الأولى، ومحورها: كتابة تاريخ العدوتين، منشورات النادي الجراري، رقم: 2، ط، 1، 1987.

وأُنظر كذلك، العلامة المجاهد عبد الله الجراري واجهات وطنية متعددة، مصطفى الجوهري، ضمن كتاب: الوطني المجاهد العلامة عبد الله الجراري، واجهات وطنية متعددة، منشورات جمعية رباط الفتح، تنسيق مصطفى الجوهري، ط، 1، 2002.

([7]) أُنظر كتاب المجالس الأدبية لعبد الله بن عباس الجراري الرباطي: دراسة وتحقيق عائشة نوایر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف د.عباس الجراري، كلية الآداب، الرباط، السنة الجامعية 1989-1990، مرقون.

المجمع الأدبي الذي مازالت مساهماته في الساحة الثقافية المغربية مستمرة إلى اليوم. من ثم لم يكن للأستاذ الجوهري أن يغفل هذا العنصر، فخصص بعض كتاباته لتناوله، وجاءت منصبة على المرحلتين اللتين تشكلان تاريخ هذا النادي.

فكان الحديث عن المرحلة الأولى منذ تأسيسه سنة 1930، معتمداً في تناوله «كتاب المجالس الأدبية»، حيث أبرز دور النادي، خلال هذه المرحلة، في إيقاظ الشعور الوطني، إلى جانب إرفاد الساحة الفكرية والأدبية في مغرب النصف الأول من القرن العشرين[8]؛ ثم انبرى في دراسة أخرى إلى الحديث عن المرحلة الثانية من حياة هذا النادي[9]، بعد أن تولى الأستاذ عباس الجراري رئاسته وتنظيم أنشطته وتوسيعها وتنويعها، فبيّن طبيعة العمل في هذه المرحلة، وما لحق مجالس الجراري الأدبية من تطوير، سواء من حيث توسيع دائرة الملتحقين به، وتنوع مجالاتهم المعرفية، أم من حيث المجالات التي اقتحمها النادي في هذه المرحلة، خاصة مجال المنشورات، حيث عمد الأستاذ عباس الجراري، إلى المساهمة في حركة النشر في بلادنا، من خلال «منشورات النادي الجراري»، التي بلغ عددها إلى حدود بداية سنة 2019 اثنين وثمانين عنواناً (82)، نشرت بمجهودات فردية من طرف رئيس النادي؛ وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الأستاذ مصطفى الجوهري، أفرد إلى جانب هذا، حيزاً في دراسته «عبد الله بن العباس الجراري الأديب» للحديث عن النادي الجراري باعتباره فضاءً تلتقي فيه نخبة من الأدباء، وعلامة دالة على الاهتمامات الأدبية للجراري الأب.

إن الجهود العلمية التي صرفها الدكتور مصطفى الجوهري في الاهتمام بتراث الأسرة الجرارية، لم تنحصر في تراث الجراري الأب، بل سنجد هذا الباحث يعمد كذلك إلى الاهتمام بالامتداد العلمي لهذه الأسرة، ممثلا في الانتاج الفكري والأدبي للجراري الابن، عميد الأدب المغربي.

([8]) أُنظر « الأندية الأدبية بمدينة الرباط، النادي الجراري من خلال كتاب المجالس الأدبية »، مصطفى الجوهري، ضمن كتاب « ظاهرة الأندية الأدبية في المغرب »، ندوة عبد الله الجراري، الحلقة الثالثة، منشورات النادي الجراري رقم: 14، ط، 1، 1998.

([9]) أُنظر « النادي الجراري بين التأسيس والامتداد، مجلس الدكتور عباس الجراري نموذجاً»، مصطفى الجوهري، ضمن كتاب « زهرة الآس في فضائل العباس»، ج، 1، ط، 1، 1997، مطبعة دار المناهل، الرباط.

وقد تعددت مستويات هذا الاهتمام، الذي انبرى إلى إبراز جوانب عديدة للجهود العلمية الذي بذلها الأستاذ عباس الجراري، وتم هذا الأمر على مستوى نمط من الكتابة الأدبية ظلت غير معروفة عند عموم المهتمين بكتابات عميد الأدب المغربي. وتبدى ذلك، في اشتغال الدكتور الجوهري بإخراج نص مخطوط بعنوان «ثلاثون يوماً في الولايات المتحدة الأمريكية»، الذي يعتبر تدويناً لأول رحلة قام بها الدكتور عباس الجراري إلى الديار الأمريكية.

وتقدم هذه الكتابة، صورة الآخر من وجهة نظر مفكر مغربي، وقف عن كثب، على جوانب متعددة للمجتمع الأمريكي، كما رآه في بداية سنوات الثمانين من القرن العشرين. وقد ظلت الكتابة الرحلية، شكلا من أشكال الكتابة الأدبية غير معروف فيما نشره عميد الأدب المغربي من نصوص أدبية، على مدى عقود من الزمن. وبإعداد هذا النص وإخراجه إلى دائرة التلقي الواسع، يكون الأستاذ الجوهري قد وضع متناً جديداً بين أيدي الباحثين، يضيف خلاله عنصراً آخر لاستكمال صورة مجالات الاشتغال الأدبي عند الدكتور عباس الجراري. وتجدر الإشارة في هذا السياق، أننا حين نشير إلى ما قدمه الدكتور الجوهري من التراث الجراري، بانه إعداد، هو في حقيقة الأمر، عمل يتطلب جهداً كبيراً، وتدقيقاً وحرصاً، مما يقربه كثيراً من عملية التحقيق.

وهناك وجه آخر لاهتمام الأستاذ الجوهري بكتابات ودراسات العميد، يتمثل في تناول العديد من مؤلفاته، معرِّفاً بها، أو محللا لمضامينها، مبرزاً قيمتها العلمية في المجال الذي يتناوله كل مؤلَّف، محدّداً مكانة تلك التصانيف في سياق المشروع العلمي للدكتور عباس الجراري. وفي هذا الباب، تناول الأستاذ الجوهري مؤلفات عديدة، نذكر منها «تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر من 1830 إلى 1990»، وكتاب « ثقافة الصحراء»، و«صُبابة أندلسية»، و«بقايا كلام في الثقافة» و«ثلاثون يوماً في الولايات المتحدة الأمريكية». ولم يحصر الأستاذ الجوهري كتاباته في دائرة الدراسات الأدبية التي انجزها العميد، بل سنجده يعمد إلى تناول المنجز الجرَّاري خارج مجال الأدب، فيما كتبه حول قضايا الثقافة العربية في شموليتها، إلى غير ذلك، مما شغل فكر عباس الجراري، في ارتباطه بمجتمعه المغربي، أو هموم الأمة العربية الاسلامية بشكل عام، على غرار ما نجده في مصنفات «الذات والآخر»، «هويتنا والعولمة»، «الاسلام واللائكية»، و«لا تطرف ولا إرهاب في الاسلام»، و«الاصلاح المنشود» وغيرها، مما انصرف إليه الدكتور مصطفى

الجوهري، بالتعريف أو التحليل والدراسة، وتوسل إلى هذا الأمر بأشكال مختلفة، فانبرى إلى الدراسة من خلال الأبحاث التي شارك بها في العديد من الندوات العلمية التي نظمت تكريماً للأستاذ الجراري، أو أدارها منظموها حول جانب من الثقافة المغربية، كما اتخذ من صفحات الجرائد، وخاصة جريدة «العلم» وملحقها الثقافي، نافذة للتعريف بما يصدره العميد، معرِّفاً بالكتاب وباسطاً مضامينه لعموم القراء، بمجرد صدوره؛ كما كانت مجالس النادي الجراري، مجالاً آخر، سمح للأستاذ الجوهري بتقديم مجموعة من العروض، التي كانت تتخذ من تآليف الأستاذ الجراري محوراً لها.

ومن خلال هذه الجهود العلمية التي بذلها الدكتور مصطفى الجوهري، والتي أدارها حول تراث المدرسة الجرارية، ممثلة في الإنتاج العلمي للعلامة عبد الله الجراري، وابنه عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري، تتجلى الإضافة التي تحققت من خلال المنجز العلمي للأستاذ الجوهري، وهي إضافة تسهم في سد بعض الثغرات في أدبنا المغربي في فترته الحديثة والمعاصرة من خلال ما أعدّه الدارس من نصوص، أو حققه من متون، إلى جانب ما أنجزه من دراسات ترتبط بهذا التراث الجراري الذي يشكل مادة غنية وخصيبة، تسهم دراستها في كتابة جزء من تاريخنا الأدبي.

* * *

كتاب « عبد الله بن العباس الجراري الأديب » للأستاذ مصطفى الجوهري مقاربة في مقومات بحث جامعي ومكونات منهجه *

د. محمد البوري **

نشر الأستاذ مصطفى الجوهري، دراسة جامعية متكاملة، حول شخصية عبد الله الجراري وأدبه. ولموضوع هذه الدراسة أهمية خاصة في الأدب المغربي المعاصر، لأن عبد الله الجراري أديب مغربي من مواليد سنة 1905، عاش القرن العشرين بكل أحداثه المغربية الكبرى، من فرض الحماية إلى إعلان الاستقلال، مروراً بالظهير البربري، وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ونفي محمد الخامس قدس الله روحة، وما تخلل ذلك كله من حركات مقاومة الاستعمار، وما تلاه من جهود استهدفت تطوير المجتمع وبناء الدولة الحديثة.

وقد تفاعل عبد الله الجراري مع تلك الأحداث، وعبر عنها بأشكال متعددة ومتنوعة، في مواقفه وكتاباته، لأنه كان متفتحا على مجتمعه، اشتغل بالتعليم، وهو نافذة واسعة يطل الاستاذ منها على مسيرة المجتمع الفكرية، ولأنه ساهم في حياة مجتمعه الثقافية بتأسيس الجمعيات والأندية الأدبية، وإلقاء الخطب والمحاضرات، والمشاركة في الندوات العلمية، ونشر المقالات الصحافية.

وكان أدبه غزيراً ومتنوعاً، فقد نظم الشعر، وحرر المقالات وكتب السيرة الذاتية فضلاً عن الدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية والإسلامية. وكان من رجالات المغرب الرواد الذين صاغوا مقدمات النهضة الأدبية كمحمد المختار السوسي وعبد الله گنون، إذ تمثلوا الثقافة العربية السائدة عهدئذ، وهي ثقافة دينية خالصة، قوامها الفقه، وعلوم

* نشر هذا المقال في مجلة "المناهل"،ع، 50، مارس 1996، وأعيد نشره في هذا الكتاب، تعميما للفائدة.

** أستاذ جامعي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

القرآن والحديث واللغة واستهواهم الأدب فانصرفوا إليه بكل جوارحهم، ومارسوا الابداع في الشعر والنثر، والكتابة في النقد والدراسة الأدبية وتاريخ الأدب. وبذلك أصبح الأدب، بمعناه الواسع والعريض تقليداً من تقاليد حياتنا الثقافية.

وهؤلاء الرواد هم الذين مهدوا الطريق لخريجي كليات الآداب المغربية، فمنذ مستهل الستينيات توالى تخرج المجازين المختصين في الأدب، وظهر في صفوفهم جيل من النقاد والباحثين الجامعيين طوروا النقد الأدبي، وأخصبوا الدراسة الأدبية، إلى جانب طوائف عديدة من المبدعين في الشعر والرواية والقصة والمسرحية وقد مضوا جميعهم على درب الرواد، فأحدثوا النهضة الأدبية وأعطوا للمغرب مكانة متميزة في الساحة العربية الأدبية.

ويعني ذلك كله أن الرسالة في جوهرها نظرة أكاديمية فاحصة في مكون أساسي من مكونات النهضة الأدبية الحديثة في المغرب.

ولدراسة شخصية عبد الله الجراري وتحليل تراثه الأدبي، قسم الباحث الأستاذ مصطفى الجوهري رسالته إلى قسمين رئيسيين، أفرد أولهما للشخصية، وخصص الثاني للأدب.

وفي قسم دراسة الشخصية نجد تحليلا للعناصر التالية :

أولاً- تعريف بأسرة عبد الله الجراري، ونشأته، وتعليمه، وتكوينه الثقافي، والمبادئ الأخلاقية التي آمن بها، والمهام التي تقلدها، والمناصب التي تقلب فيها.

ثانياً- تحليل للجوانب الأساسية في الشخصية، والمتمثلة في: جانب تربوي تعليمي، وجانب اجتماعي اصلاحي، وجانب سياسي وطني، وجانب ثقافي.

ثالثاً- إبراز مؤهلات الشخصية الثقافية، وتعريف بالإنتاجات الإسلامية والاجتماعية والتاريخية والأدبية، الشعرية والنثرية، التي خلفتها.

أما في قسم دراسة الأدب، فقد حلل الباحث تراث الشخصية الأدبي في بابين: خصص أولهما للأدب الابداعي كالشعر والمسرحية والسيرة الذاتية، وجعل الثاني للأدب الوصفي، وضم أدب المجالس والدراسات اللغوية، والدراسات النقدية، وأدب المقالة، والتراجم، ودراسة الشخصيات.

وقد مهد الباحث لكتابه بمقدمة وضح فيها مواقفه العلمية الموضوعية، والوجدانية الذاتية، من موضوع البحث والأهداف التي حققها بإنجازه، كما أشاد بفضل توجيهات الأستاذ المشرف العلمية، ونوه بالرعاية التي حظي بها لديه.

وقد توجت الرسالة بتقديم كتبه الدكتور عباس الجراري باعتباره مشرفاً على إنجازها، حدد فيه الموضع الذي تحتله في ساحة البحث الجامعي في تاريخ الأدب المغربي. وأبرز مؤهلات الباحث العلمية.

وأنهى الباحث رسالته بخاتمة لتلخيص أهم نتائج البحث والتطلع إلى آفاق تطويره.

وتتميز هذه الدراسة بكثير من مواصفات البحث العلمي الجاد كالعمق في المعالجة، والتماسك بين الأقسام، والتناسب بين الأبواب، والزيادة في الاكتشاف والكشف.

- فهي دراسة معمقة، لأنها اعتمدت على أكثر من تسعين ومائة مصدر ومرجع (190) ما بين مخطوط ومطبوع، بالإضافة إلى العديد من المجلات والجرائد. وقد رجع الباحث إليها كلها، وحاورها، وأحال عملياً عليها في هوامش متن بحثه .

- وهي رسالة متماسكة، لأن دراسة الشخصية موجهة لتفسير الإنتاج، ولأن تحليل الإنتاج موجه لتعميق فهم الشخصية، ولا يمكن أن نقرأ قسم دراسة الشخصية في معزل عن قسم تحليل الإنتاج، ولا يمكن أن نقرأ قسم تحليل الإنتاج بدون استحضار كثير من معطيات قسم دراسة الشخصية.

- وهي دراسة متناسبة الأبواب، ويبدو ذلك واضحاً حين نلاحظ أنها متكونة من ثلاثة أبواب: أولها لدراسة الشخصية، وثانيها لدراسة الأدب الإبداعي، والثالث لدراسة الأدب الوصفي. وإن كل باب يستغرق من صفحات الكتاب حوالي ثمانين صفحة[1].

- وهي دراسة رائدة في موضوعها، بإحاطتها بكل مكونات الشخصية، وتركيزها على الجانب الأدبي - في إنتاجاتها- فقبلها ليس هناك إلا دراسات جزئية حول موضوعها[2]. وإن كانت قد تمت في دوائر جامعية، كبحوث الإجازة، والمركز الوطني لتكوين المفتشين، فهي درجات علمية أقل من مستوى دبلوم الدراسات العليا الذي نوقشت هذه الرسالة في إطاره.

وقد استطاعت هذه الرسالة الجامعية أن تؤدي دورها الطبيعي، في تطوير نتائج البحث العلمي في الموضوع الذي تعالجه، إذ انتهت إلى نتيجتين أساسيتين :

أولاهما: رسم صورة كاملة وواضحة لشخصية عبد الله الجراري، تظهر المؤثرات التي أسهمت في تشكيلها، والمواقف والسلوكات التي ميزتها. وتعرف بالإنتاج الذي قدمته، وتؤكد بجلاء أن قوة هذه الشخصية ترد إلى شمولية ثقافتها، وتفتحها على العصر، وإسهامها في وضع قواعد النهضة الأدبية المغربية الحديثة، وما تميزت به من «روح المساءلة والمناظرة[3]» وتجاوب «مع الفكر السني والإصلاح السلفي[4]» وما استهدفته من «مواجهة الإستعمار وتحقيق كرامة الإنسان المغربي». وبعبارة الباحث نفسه الجامعة، فشخصية عبد الله الجراري «تمثل هذا الجانب الذي ساهم بعمق ووعي في صناعة الفكر النهضوي الحديث، علماً وأدباً وسيرة ووطنية وإنتاجاً، انطلاقاً من موسوعية عطائه وتواصله وكفاحه الطويل، وشخصيته القوية، في مجالات متعددة»(6).

وثانيتهما: أن إنتاج عبد الله الجراري تميز بالسبق والإستمرارية والتنوع والخصوبة :

- فقد كان عبد الله الجراري رائداً في كتابة المسرحيات بالفصحى وإعداد دراسات عن بعض الأعلام المغاربة.

- وواظب على الكتابة والنشر منذ أوائل العشرينيات إلى آخر أيامه سنة 1982.

- وفي إنتاجه الشعر والمسرحية والسيرة الذاتية والدراسة الأدبية، والتاريخية والإسلامية واللغوية.

- وكان أدبه أدباً خصباً لأنه كان أدباً هادفاً، ميزته «الوطنية الحارة[7]» و«الغيرة الذاتية على الأدب المغربي بجميع أشكاله»[8]. وقد أراد بكثير منه تقديم «خدمات جادة للأدب المغربي في جوانب ظلت خفية»[9] لأنه «أخرج إلى الحياة شخصيات ونتاجات لم تكن لتنال بحثاً وشهرة لولا جهوده والتفاتاته الدقيقة إليها[10]» .

- وكان أدبه أدباً موجهاً لدعم الجبهة الداخلية المقاومة للإستعمار. فكتاباته التاريخية «تميزها الروح الوطنية، التي تجعل وحدة المغرب في مقدمة الأهداف المتوخاة من دراساته عامة[11]. وما كتب من مسرحيات ومثل، كان بالفصحى، دعماً للتعريب في

مواجهة سياسة الفرنسة الاستعمارية[12]. وكتاباته اللغوية صيانة للعربية «لأنها موجهة نحو تحسين لغة القراء ذوي الثقافة المتواضعة والضحلة. وتطوير أسلوب قراءة هذه الطائفة، وتوعيتها في لغتها وقضاياها الدينية والإجتماعية[13] .

- وهو أدب يحتفظ بقيمة تاريخية لا تنكر. ففي سيرته الذاتية «صورة شمولية للمجتمع المغربي على امتداد نصف قرن[14]» وما كتب من تراجم «يشكل بنية أساسية لدراسة المجتمع المغربي، منذ أواخر القرن الماضي إلى وفاته - رحمه الله -، سلوكاً وثقافة وتدبيراً وتحريراً وإبداعاً[15]». لأنه درس في سير الاعلام «نواحي المعرفة ونهضة التأليف، وتطور الشعر، ومنهج التدريس، وباقي العلوم[16]».

ومنهج هذه الدراسة علمي لأنه قائم على الوصف والتحليل والتدرج من تقديم المعطيات إلى استنتاج الملاحظات واستخلاص الخصائص والمميزات. فالمعطيات الأساسية المتعلقة بالشخصية والتي تخص الميلاد والأسرة والنشأة والتكوين والمهام والإنتاج، تقدم أولا، ثم يعقبها تحليل يتعمق دراسة الجوانب الأكثر أهمية في الشخصية، والكفيلة بإبراز جوانب تفردها، وبالتالي تفسير سلوكها، ومواضيع إنتاجها الأدبي والفكري.

ومكونات إنتاج الشخصية الفكرية والأدبية تقدم ككتابات، تعين عناوينها، ومواضيعها وعناصرها، ثم تحدد خصائصها ومميزاتها، وتحصر قيمتها العلمية والفنية.

وفي العمق، فمنهج هذه الدراسة منهج تاريخي .وللمنهج التاريخي، في دراسة الأدب المغربي تاريخ، وأصول نظرية، وله رجالات وقادة، ومنجزات عملية وعلمية.

فهو منهج يعتمد على أساس مبادئ الإستقراء، وتوثيق النصوص، ويقوم على الوصف والتحليل، ويقتضي من الباحث كثيراً من الصبر والأناة والحذر. ففيه الصبر على مشاق تجميع مواد متناثرة من مظان أكثرها مغمور، وفيه الأناة عند استنباط الخصائص وتقرير الأحكام، لأن صورة الواقع لم تكتمل بعد في ذهن الباحث، وفيه الحذر العلمي لأن الدارس يقوم بمهام المحقق ومهام المؤرخ معا في آن واحد.

وهو منهج اكتشاف يمكن الباحث من تسليط الأضواء العلمية الكاشفة على الوقائع والرجالات والآثار المغمورة التي طواها النسيان، ويهددها الزمن بالفناء والإضمحلال.

ويتبنى هذا المنهج في عمومه، جيل من الأكاديميين المغاربة الذين تخرجوا من كليات الآداب، ويقودهم أستاذنا الجليل الدكتور عباس الجراري الذي ورث تراث الجيل الأسبق[17] الرائد، وطوره وعمل منذ منتصف الستينيات[18] على توجيه الدراسة الأدبية في المغرب، نحو الأدب المغربي قديمه وحديثه، تأكيداً للشخصية المغربية، ودعماً للهوية الوطنية[19]، وحماية للتراث القومي.

وقد استهل هذا التوجيه بإقرار تدريس حصص كافية للأدب المغربي، في السلكين الأول والثاني من كلية الآداب في قسمها العربي، وتطور نحو فتح قسم خاص به في السلك الثالث. وبين هذا وذاك، شجع الطلاب على إعداد بحوث الاجازة، ورسائل دبلوم الدراسات العليا، وأطروحات الدكتوراه، في دراسة مختلف جوانب الأدب المغربي دراسة متكاملة. وبعد مرور أكثر من ثلث قرن على بداية هذا التوجه، نستطيع أن نرى نتائجه في الرسائل والأطروحات[20] التي أشرف عليها الدكتور عباس الجراري نفسه، بوضوح، ففيها ترى :

- **دراسة الشخصيات**، كرسالة محمد بوجندار الشاعر الكاتب لمحمد احميدة.

- **ودراسة البيئات**، كرسالة الحياة الأدبية في الزاوية المعينية لمحمد الظريف.

- **ودراسة الأجناس الأدبية**، كرسالة فن المقامة بالمغرب في العصر العلوي لمحمد السولامي.

- **ودراسة القضايا**، كرسالة نشأة خطاب السلفية المغربية لعبد السلام الطاهري .

- **ودراسة الفترات التاريخية**، كأطروحة بناء القصيدة المغربية في فجر الدولة العلوية لعبد الجواد السقاط. إلى جانب تجميع النصوص وتحقيقها. وجلي للعيان أنها بحوث تتعدد وتتنوع وتتكامل، وتفضي إلى كتابة تاريخ الأدب المغربي، كتابة منهجية.

ويتميز هذا المنهج بالأصالة والفعالية، فهو منهج جامعي عريق في دراسة الأدب العربي، لأنه منهج الجامعيين في كليات الآداب العربية بالمشرق، وخاصة في مصر، ونحن نرى سماته المميزة في أعمال مختلف أجيال الجامعيين المشارقة. فهو منهج طه حسين في كتابه «تجديد ذكرى أبي العلاء» ومنهج تلميذيه نجيب محمد البهبيتي في كتابه «أبو تمام

الطائي» وشوقي ضيف في كل ما كتب عن شخصيات بعض الأدباء العرب ككتابيه «البارودي رائد الشعر الحديث» و «شوقي شاعر العصر الحديث».

ويعنى هذا المنهج، حين يوجه نحو دراسة الشخصيات، بمعالجة ثلاثة محاور أساسية هي: محور العصر، ومحور الشخصية، ومحور الإنتاج. وغالباً ما يخصب المنهج بمفاهيم نفسية، واجتماعية حين تدرس الشخصية، وجمالية فنية حين تحلل النصوص.

وقد تمرس الدكتور عباس الجراري، وهو خريج جامعة القاهرة، بهذا المنهج الأكاديمي، الذي يبدو حاضراً بكل مواصفاته النموذجية في كتابه « **الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي عصره حياته شعره**»، الذي هو في الأصل رسالة اعدت لنيل شهادة الماجستير[21]، ونوقشت في سابع مايو سنة 1965 بجامعة القاهرة .وكان ممن ناقشوها الدكتور شوقي ضيف تلميذ طه حسين.

ويحضر هذا المنهج بمكوناته الأساسية، وهي العصر والشخصية والإنتاج، في عمل آخر من أعمال الدكتور عباس الجراري وفي فترة لاحقة. وهو كتاب «عبقرية اليوسي». وذلك سنة 1981، ولكن بطريقة مبتكرة، تتداخل فيها دراسة الشخصية مع وصف العصر، ويمتزج تحليل الإنتاج بالحديث عن العصر والشخصية. وكل ذلك لتأكيد عبقرية الشخصية المدروسة.

وهذا المنهج، من ناحية ثانية، فعال لأنه يكتشف جوانب خفية من التراث الأدبي ويقدمها للمختصين وعموم القراء بطريقة علمية منهجية وموضوعية .وقد أبان عن فعاليته وكفاءته، في كتابة تاريخ الأدب العربي بالمشرق جاهلياً وإسلامياً وعباسياً وحديثاً ومعاصراً. ولاشك أن اعتماده في دراسة الأدب المغربي خلال هذه المرحلة الرائدة ضروري لأن توظيف المناهج الأخرى بجدية ونجاح، يقتضي تطور دراسات موازية ومساعدة وممهدة تطوراً كافياً.

فلابد للمنهج الاجتماعي مثلاً من دراسات موسعة في كل أبعاد الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية ... ولابد قبل هذا وذاك، من تجميع النصوص وتحقيقها، ومن ضبط وتحديد المعلومات الأساسية حول الشخصيات الفاعلة في حياة المجتمع الروحية والفكرية والأدبية ... وبعد ذلك يكون الإقدام على دراسة شخصية أو فترة أو ظاهرة بهذا

المنهج مفيداً وناجعاً.

وللتمثيل لنجاحات المنهج التاريخي، في دراسة الأدب المغربي، والذي اعتمدته رسالة الأستاذ مصطفى الجوهري، يكفي أن نشير إلى أن مكانة مدينة الرباط، كمركز من مراكز الثقافة المغربية، كانت في أذهان كثير من الباحثين غير معروفة، أو غير محددة في أحسن الأحوال. ولكن يفضل رسائل جامعية عديدة أصبحت ذات مكانة بارزة متميزة. وقد أعدت تلك الرسائل كلها في إطار هذا المنهج، وتحت إشراف الدكتور عباس الجراري، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة محمد بوجندار الشاعر الكاتب لمحمد احميدة ونوقشت سنة 1986.

- ورسالة شعر عبد الله القباج لعبد القادر فراجي. ونوقشت سنة 1988.

- ورسالة عبد الله بن العباس الجراري الأديب المصطفى الجوهري. ونوقشت سنة 1990.

- ورسالة شعر محمد بن اليمني الناصري لعبد الحق بنطوجة ونوقشت سنة 1991...

وفي أعقاب إنجاز هذه الرسائل، بات بالإمكان الانتقال إلى دراسة أشمل، تخص الحياة الثقافية بالرباط في النصف الأول من القرن العشرين مثلاً، انتقالاً تدريجياً ومنطقياً وتلقائياً.

ومرة أخرى ففي رسالة الأستاذ مصطفى الجوهري، يحضر المنهج التاريخي بكل أصوله وأهدافه وفعاليته، حضوراً قوياً. وقد أكد ذلك الأستاذ المشرف الدكتور عباس الجراري، حين وضع الرسالة في سياق جهود هذا الجيل من الباحثين الذين يعملون تحت إشرافه، ويعتمدون هذا المنهج في دراسة الأدب المغربي ويسعون « بعناء ومشقة تمازجها المتعة واللذاذة إلى التنقيب في خفايا الإبداع المغربي والكشف عن خباياه. وهم بذلك يتطلعون إلى إظهار بنيات ولبنات عساها إن اجتمعت أن تكمل أجزاء الصورة وتوضح ملامحها وتبرز مكانها[22]». وهي في رأيه ومثيلاتها «مضمومة إلى غيرها مما يبلور في النهاية واقع الأدب العربي وحقيقته في عمومه وشموليته» [2].

وأكد ذلك بطريقة أخرى حين كشف مؤهلات الباحث الأستاذ مصطفى الجوهري، وهي كلها مؤهلات باحث يعتمد المنهج التاريخي، قائلا «أنه بذل جهدا محموداً في التقاط مكونات هذا الموضوع الدقيق، وكذا في تحليلها، والاستنتاج منها، مما يجعله يوفق في إنجاز رسالة حظيت بالثناء الفائق، والتنويه اللائق لما طبعها من تميز وإجادة، وما كان له أن يدرك هذا الشأو، لولا صبره، وأناته، وتثبته ودأبه على الاتقان في غير تسرع ولا ملل، ودونما تباطؤ أو كلل. وأشهد أني كنت أشعر بطول نفسه، وعمق نظره، ودقة تحريه، كلما أثار معي بعض الاستفسارات والاستيضاحات أو سألني وثيقة نادرة أو كتاباً مخطوطاً...(24)».

والحق أن من قرأ هذا الكتاب بإمعان، سيرى بوضوح، الجهد الجهيد الذي بذله الاستاذ الباحث، في ظل هذا المنهج للجمع، والتوثيق، والتنسيق، والتحليل، والتركيب، ليقدم للقراء وللتاريخ صورة جلية للشخصية التي يدرسها، ووصفاً دقيقاً لأدبها. ويكفي أن نشير إلى طريقته في تقديم المعلومات حول الشخصية، استناداً إلى ما كتبه عبد الله الجراري نفسه في مذكراته، ولكن بالمصادقة عليه بشهادات معاصريه التأكيدية، التزاماً منه بالحذر العلمي... وأن نشير إلى ما انتهى إليه بعد البحث والتحري من أن عبد الله الجراري كتب ثلاث مسرحيات لا مسرحيتين ... وأن نشير مرة ثالثه إلى تشككه في نسبة كتاب معروف الى مؤلف معين[25]... أو اعترافه بعجزه الآن على التعرف على شخصية كاتب حاور عبد الله الجراري و ناقشه و رد عليه[26].

وإذا كان من تقاليد هذا المنهج التوسع في دراسة العصر من نواحيه السياسية والاجتماعية والاقتصادية تمهيداً لدراسة الشخصية، وقبل الانتقال إلى تحليل الإنتاج. فإن الباحث تبعاً لطول الفترة الزمنية التي استغرقها عطاء الشخصية الأدبي، وكثرة الأحداث التي عاصرتها، فضل أن يتحدث عن ملامح العصر من خلال الشخصية، وعن قضاياه من خلال الإنتاج. وبذلك بدت الشخصية واضحة من خلال العصر، كما بدا العصر جلياً من خلال الإنتاج. وهذا اجتهاد محمود لا يخل بروح المنهج، ولا يؤثر سلبياً في فعاليته.

وأخيراً نعتقد أن هذه الرسالة، وفي ظل المنهج التاريخي الذي تبنته، كانت ستعزز

حتماً إمكانيات الإكتشاف والكشف العلميين، لو ذيلت بمعجم للأعلام، يعرف بإيجاز وتركيز بالأعلام الذين أحالت على تراثهم، وهم كثيرون ومغمورون أو غير مشهورين على أوسع نطاق، وبذلك نفتح للباحثين آفاقاً أخرى جديدة وعديدة لتطوير البحث مادامت دراسة الأعلام تشكل المدخل الطبيعي لدراسة الحقب والفترات والبيئات والمذاهب والإتجاهات، لأنها تفرز مادة التأريخ أو إعادة كتابة التاريخ.

والخلاصة هي :

- أن هذه الرسالة تعالج موضوعاً هاماً في الأدب المغربي المعاصر معالجة متشبعة بكثير من شروط البحث الأكاديمي الجاد، تشبعاً مكنها من الوصول إلى نتائج علمية قيمة .

- أن منهج الكتاب ينتمي انتماء صريحاً لمنهج له أصوله النظرية، وتطبيقاته العملية، ويتبناه جيل من الباحثين، ويقوده الدكتور عباس الجراري، ويستهدف في مختلف أنشطته العلمية، كتابة تاريخ الأدب المغربي كتابة منهجية وموضوعية.

- أنها لبنة أساسية في معمار مشروع كتابة التاريخ الأدبي الوطني، ستتلوها حتماً لبنات أخرى، قد يقدمها الباحث نفسه أو باحثون آخرون، لإعلاء بناء هذا المشروع العلمي. ولكن ذلك لن يزحزحها عن موضعها الذي تحتله بحكم شمولية دراستها، وبحكم سبقها العلمي. وهذا هو منطق تطور البحث العلمي ومبدأ البداية والامتداد والتوسع فيه.

* * *

الهوامش:

(1) نلاحظ أن مجموع صفحات الكتاب 278 صفحة. وأن الباب الأول (من ص9 إلى ص87)، والباب الثاني (من ص88 إلى ص159)، والباب الثالث (من ص160 إلى ص 258).

(2) انظر عناوينها، وأسماء مؤلفيها، وتواريخ إنجازها، والمؤسسات التي نوقشت فيها بتفصيل، في قائمة مراجع ومصادر الكتاب ص 262 وما بعدها.

(3) عبد الله بن العباس الجراري لمصطفى الجوهري، ص،63.

(4) المرجع السابق، ص،63.

(5) المرجع السابق، ص،62.

(6) المرجع السابق، ص،37.

(7) عبد الله بن العباس الجراري مصطفى الجوهري، ص،218.

(8) المرجع السابق، ص،218.

(9) المرجع السابق، ص،215.

(10) المرجع السابق، ص،215.

(11) المرجع السابق، ص،77.

(12) المرجع السابق، ص،146.

(13) المرجع السابق، ص،168.

(14) المرجع السابق، ص،159.

(15) المرجع السابق، ص،256.

(16 عبد الله بن العباس الجراري الاديب مصطفى الجوهري، ص،256.

(17) في القسم الأول من هذا المقال عرض لمقومات هذا الجيل.

(18) انظر كتاب « خطاب المنهج » للدكتور عباس الجراري - منشورات السفير - ط1، ص، 63 وما بعدها.

حيث قدم عرضا لجهود الجامعيين المغاربة في دراسة الأدب المغربي وتطورها ونتائجها وآفاقها.

- وانظر كلمة الدكتور عباس الجراري يوم حفل تكريمه، في حوليات كلية اللغة العربية- مراكش - العدد الثاني 1414-1993، حيث قدم شهاداته حول واقع تدريس الأدب المغربي في كلية الآداب وقتئذ.

(19) انظر كتاب "الثقافة من الهوية إلى الحوار" للدكتور عباس الجراري - منشورات النادي الجراري، عدد 3، ط،1، ص، 11 وما بعدها، حيث المعالجة النظرية لـ«مكونات الهوية الثقافية المغربية» كما يراها.

(20) انظر قائمة الأبحاث المقدمة بالمؤسسات الجامعية في الأدب المغربي (1967-1992) في ملحق مقال «البحث الجامعي في الدراسات الأدبية المغربية - مقاربة أولية» حوليات كلية اللغة العربية - مراكش العدد الثاني 1414-1993، عدد خاص بتكريم الدكتور عباس الجراري.

(21) انظر كتاب الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي للدكتور عباس الجراري - دار الثقافة، ط،1، سنة 1394-1974، ص،5.

(22) عبد الله بن العباس الجراري الأديب، لمصطفى الجوهري، ص،4.

(23) المرجع السابق، ص،4.

(24) المرجع السابق، ص،5.

(25) المرجع السابق، ص،255.

(26) المرجع السابق، ص،194.

* * *

كلمة المكرَّم الأستاذ الدكتور
مصطفى الجوهري*

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

صدق الله العظيم

- أستاذي الجليل الدكتور عباس الجراري
- أخي الأود الأستاذ عبد الكريم بناني
- الأستاذة الفاضلة حميدة الصايغ، زوج أستاذنا الجليل
- صديقي وأخي الأستاذ الدكتور محمد احميدة
- أعزائي الأساتذة
- حضرات السادة والسيدات

لا أخفيكم في البداية أنني أشعر بسعادة كبيرة وأنا أشارككم هذه اللحظات التاريخية التي التفتت إلى شخصي المتواضع، بإقامة هذه الندوة العلمية التكريمية، وهي بادرة قيمة تسعى إلى ترسيخ ثقافة الاعتراف، وتجسد ممارسة حضارية تقرب مكونات المشترك بين مختلف الفاعلين ومختلف الشرائح فكريا وثقافيا واجتماعيا وإنسانيا تعكس الرؤية الواعية للقيم المتوارثة ثقافيا ووطنيا بين الأجيال.

وأود في البداية أن أتوجه بالشكر والعرفان والامتنان إلى أستاذي الجليل الدكتور عباس الجراري رئيس النادي الجراري، صاحب الفضل في اقتراحي واختياري لهذا التكريم برفقة زوجته الفاضلة الأستاذة حميدة الصايغ، وبمباركة من الأخ الكريم الأستاذ عبد

* أستاذ التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط

الكريم بناني رئيس جمعية رباط الفتح، وبتنسيق من أخي وصديقي الدكتور محمد احميدة.

فأستاذي الجليل سيدي عباس قامة فكرية وأدبية وتربوية سامقة عميد الأدب المغربي، ومؤسس مدرسة مغربية متفردة في الزمان والمكان، وهب حياته لخدمة مشروع ثقافي تنويري وإصلاحي ذاتي يخدم وحدة الوطن والأمة، ويجدد وحدة الثقافة، وينشد إرساء مكونات النهضة الثقافية المغربية برؤية متجددة ومتفاعلة مع الحداثة، ومستوعبة للأصالة ومقتنعة بالهوية ومشبعة بالروح الوطنية، ومصحوبة بتجربة ذاتية مواكبة لتأسيس الدولة الحديثة.

ومنذ عرفته خلال أكثر من خمسة عقود، منها ثلاثة عقود ونصف قضيتها بجانبه منذ أكرمني بالانتماء إلى النادي الجراري العتيد الذي أسسه والده العلامة الأديب عبد الله بن العباس الجراري رحمة الله عليه سنة 1930، وأكرمني أيضا باقتراحي عضوا بجمعية رباط الفتح منذ تأسيسها سنة 1986، ولعل هذه الصحبة العلمية هي التي صقلت شخصيتي، وهيأتني بفضله لأرشف من رحيق مدرسته "المدرسة الجرارية " التي رسمت لي طريق الطموح والنجاح والإبداع، وعلمتني الانغمار في البحث والدراسة والمشاركة الفاعلة الهادفة والحرص على الدقة والصدق والوفاء والإخلاص والجهر بالحق والموضوعية المعرفية والإجادة في كل عمل أو حديث أو إنجاز.

لذلك يصعب عليّ استقراء كل فضائله وعطائه ونبوغه وأخلاقه ومكونات شخصيته وعلاقاته وحضوره في محطات متباينة تسافرُ بنا إلى عالم وقاد من العطاء والكرم والمحبة، حولها إلى منهج حياة وأسلوب حضارة، شكلت عنده هاجسا متميزا في الكتابة وفي البحث والمنتديات الفكرية والفنية، وحضورا ملموساً في العلاقات الإنسانية التي تتأسس على ثقافة الاعتراف زادته تألقا ومحبة وتقديراً وحضوراً مرموقاً في وجداننا جميعا...

أما أخي الفاضل الكريم الأستاذ عبد الكريم بناني الرجل الذي تفرد بجميل الخصال، وحميد الأخلاق، ورصين التواضع، والذي يحمل وشاح الامتياز في العمل الثقافي التطوعي الهادف والأنيق، فلا غرابة عندي وأنا الذي صاحبته لعقود أن يكون مبدع

أوراش ثقافة التطوع، وأحد مهندسي الملفات والمنجزات التنموية، وخاصة بجمعية رباط الفتح، والتي شكلت إشراقة متميزة يشهد بها الجميع، وأنا إلى جانبه منذ التأسيس وإلى اليوم نتبادل ونتعاون على الإبداع في بلورة المبادرات الرصينة التي تخدم المجتمع والمدينة والوطن، والثقافة دون كلل أو ملل أو عياء... وعندي أن السي عبد الكريم من النماذج الجمعوية القليلة التي معينها لا ينضب وتطوعها لا يفتر عن العطاء المتجدد، والحضور المتألق لنشكل معا ذاكرة جمعية، بل ذاكرة مدينة – هي رباط الفتح – التي انبعثت فيها الحياة من جديد، مدينة تجمع بين عبق الحضارة، وتاريخ الرجال الذين جددوا تنميتها التراثية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية والبيئية ... وبتشجيع منه حرصنا معا على توثيق إشعاعات الجمعية وندواتها العلمية، اقتناعا منا أن التوثيق يرسخ مستقبل الثقافة ويشجع على دعم البحث والقراءة...

أما الشعلة المتوهجة والراعية الأمينة الأخت الفاضلة الأستاذة حميدة الصايغ التي وصفت تميزها في شهادة سابقة "بقوة الصبر وجميل القيم علما وأخلاقا وإبداعا وثقافة، ومنذ عرفتها وهي تحصد احترام الأجيال بوثبتها الكبيرة وإنجازاتها العظيمة" وسيدة بهذه السمات المختصرة وبفراستها الحكيمة التي خبرتها وأنا حاضر إلى جانبها في النادي الجراري وخارجه، خبرت ثقافتها الرفيعة المفعمة بأريج الأناقة والجمال تعكس جزءا من رصيدها الذاتي ثقافيا وحضاريا وإنسانيا... وهو رصيد توظفه بإصرار معرفي مسؤول زادها تألقا في تدبير شؤون المدرسة الجرارية زوجا وأما وباحثة وقارئة، ومنصرفة إلى أعمال الخير والتحفيز والتشجيع والرعاية والدعم والطموح والإنصاف الصادق لي ولأمثالي فنالت القدوة وحققت المحبة والاعتزاز والاعتراف...

أما أخي وصديقي الأستاذ الدكتور محمد احميدة صديق الطفولة والشباب صداقة تقترب من نهاية عقدها السادس، أثمرت محبة وعلاقة دائمة يصعب عليّ اختزالها في كلمات قد لا تنصفه لما راكمناه معا من رصيد الذكريات المشتركة سواء في مدارس محمد ا لخامس وفي الجامعة وفي النادي الجراري وفي جمعية رباط الفتح، فقد كنا لا نفترق إلا قليلا وبعضهم في الجمعية كان يطلق علينا (الثنائي التوأم)...ولابد من باب الوفاء لأصدقاء الطفولة- على كثرتهم – أن أستحضر إلى جانب الدكتور محمد احميدة،

الصديق الدكتور محمد البوري والصديق الشاعر محمد الخريف، فقد غمرتني معهم جميعا مشاعر جياشة متدفقة ومتفاعلة مع رحلة الحياة المتطورة بأيامها ولياليها، بحُلوها ومُرّها.

وربما لست في حاجة إلى التأكيد بأن السي محمد أديب أكاديمي رفيع، ومثقف رصين أنيق في انتقاء لغته وأسلوبه، يتسم بقدرات معرفية وذاتية متعددة وهي على كثرها تكفيني الإشارة إلى واحدة منها تتعلق بتدبير اللقاءات العلمية والجلسات الثقافية كما هو الشأن لهذا اللقاء العلمي الذي سهر على إعداده وتنسيقه بروح هادئة ودعابة صافية، وموضوعية صادقة وفراسة حاضرة تعزز شخصيته المستقلة في البحث والحوار والكتابة والتدوين والوفاء... وإخلاصا لصداقتنا لابد أن أشيد بأخلاقه الرفيعة فقد كان لي دائما العضد والسند والناصح الأمين، فله مني أجمل التحية و الوفاء.

والحق أن النادي الجراري بالنسبة لي مؤسسة أكاديمية في الفكر والثقافة والعلاقات الإنسانية في مختلف تجلياتها.. وجمعية رباط الفتح مؤسسة مدنية حرة متعددة الاختصاصات التنموية.. وكلاهما يشكل إشعاعا وحضوراً متألقا محليا ووطنيا ودوليا.. وأنا سعيد أن أكون ضمن أفراد الكوكبة التي ساهمت بتواضع في هذا الإشعاع والحضور والبناء، وسعيد أكثر أن أحظى بهذا الاعتراف وهي شنشنة أصيلة متوارثة عهدناها في أستاذنا الجليل العلامة عباس الجراري الذي حول بتواضعه – تواضع العلماء – حول الأستاذية إلى أخوة وصداقة ومحبة وعطاء.. بل حولها كما جاء في كلمته القيمة إلى أبوة ترعى بصدق أغراسها الطيبين وفضاء "زهرة الآس" شاهد إثبات على مكانته وخصوصية إنسانيته.

فلا يسعني إلا أن أعبر لكم – أستاذي الجليل – عن صدق المودة وصفاء المحبة وعاطر الثناء مجدداً العهد والوفاء، وشاكرا لكم ثقتكم وتشجيعكم وسخاءكم متمنيا أن أوفي لكم ولو بجزء مما قدمتموه لي، داعيا لكم ولزوجك الأستاذة حميدة الصايغ بتمام الصحة والعافية وطول العمر، وزادك الله قوة في العطاء لتظل المدرسة الجرارية صوتا ثقافيا رفيعا على امتداد جغرافية الوطن عربيا وكونيا...

وهذا الصدق والوفاء موصول للأخ الكريم الأعز الأستاذ عبد الكريم بناني الذي كما عهدته دائما وهو يزرع بحماس وغيرة بذور التطوع النبيل حفاظا على تماسك العطاء الجمعوي، والتعامل الثقافي الإنساني الحق، زاده تقديراً واحتراماً وتنويهاً... متعه الله بالصحة والعافية، وحفظه لرباط الفتح منافحاً ومدبراً صادقا وأمينا ومحافظا على المواطنة الهادفة.

ومن باب الاعتراف بالفضل لذويه أتوجه بعبارات الشكر والتقدير والامتنان لزملائي وإخواني الأساتذة الذين طوقوني بشهادتهم القيمة في شخصي المتواضع، وأكرموني بالالتفات إلى دراسة بعض أعمالي وأبحاثي الأكاديمية وإنجازاتي الثقافية والجمعوية وفهم من تجشم إلى جانب الكتابة والقراءة عناء السفر إلى الرباط، فأضفوا على هذا الحفل البهي من كريم تقديرهم وجميل فضلهم وعطائهم الشيء الكثير دون أن أنسى أخي وصديقي الدكتور محمد احميدة الذي يرجع له الفضل في إعداد وتنسيق مواد هذه الندوة. حريصاً بجده وحزمه وطيبوبته وابتسامته على تحقيق أهدافها العلمية، فكان له ذلك فشكرا له...

ولا أنسى أن أشكر صديقا عزيزا يشتغل في الظل يتميز بتذليل الصعاب، وهي من حسناته التي خبرتها فيه منذ عقود إنه الصديق مالك بنونة... والشكر موصول إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاح هذه التظاهرة مع عجزي على استحضار كل الأسماء.

والشكر من قبل ومن بعد لكل من لبى طلب الدعوة للمساهمة في تأثيث بهاء هذا الحفل بحلة الحضور الشخصي فإليكم جميعا امتناني وتقديري.. ملتمسا منكم أن تقفوا تحية إجلال ووفاء لأستاذ الأجيال سيدي عباس الجراري حفظه الله وزوجه الكريمة.. ولأخي الفاضل السي عبد الكريم بناني وعزيزي الدكتور محمد احميدة، وإلى جميع الأخوة الأساتذة الباحثين، وإليكم جميعا.

حفظكم الله جميعا والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته

****

الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري
ملامح مختصرة في السيرة والعطاء

الأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري
أستاذ التعليم العالي – المدرسة العليا للأساتذة
جامعة محمد الخامس

- الشهادات العلمية:

- الباكلوريا (شعبة الآداب العصرية) 1968. مدارس محمد الخامس - الرباط
- الإجازة في اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب- ظهر المهراس - فاس1972.
- دبلوم المدرسة العليا للأساتذة – فاس 1972.
- شهادة استكمال الدروس جامعة محمد الخامس- كلية الآداب - الرباط 1975.
- دبلوم الدراسات العليا – جامعة محمد الخامس كلية الآداب، الرباط1990.
- شهادة التكوين البيداغوجي: المركز ا لأكاديمي للتكوين المستمر- تولوز فرنسا1993.
- دكتوراه الدولة، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب – المحمدية، 2001.

- في المهام التدريسية والعلمية والتربوية:

- أستاذ اللغة العربية بالتعليم الثانوي، ثانوية محمد الخامس بالداراليبضاء 1972.
  ثانوية الأميرة عائشة بالرباط 1974-1979.
- أستاذ اللغة العربية وآدابها بالمركز التربوي الجهوي ابن خلدون – الرباط، رئيس الشعبة، (1979-1983).
- أستاذ مساعد – أستاذ التعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس(1984-2015)، رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها لأكثر من خمسة دورات انتخابية.
- أستاذ زائر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لسنوات عديدة (1994/84).

- منسق وطني لشعبة اللغة العربية وآدابها بالمراكز التربوية الجهوية والمدارس العليا للأساتذة (1983 إلى 1996) مديرية تكوين الأطر.
- عضو خلية البحث والتكوين – وخلية الدعم بمديرية تكوين الأطر، وزارة التربية الوطنية.
- عضو تجديد مسلك – المسلك الخاص – وتحويله إلى شهادة دبلوم المدرسة العليا للأساتذة.
- عضو الخلية المركزية لإدماج مفاهيم التربية السكانية في برامج التكوين – مديرية تكوين الأطر 1993.
- عضو مؤسس ومنسق الإجازة التربوية (ديداكتيكية النص الأدبي واللغوي) م.ع.أ.
- عضو عدد من اللجان المساهمة في إعداد مشاريع ومراجعة برامج ومناهج التكوين وفحص مسالك الماستر لعدد من المؤسسات التربوية والجامعية.
- عضو مجلس المؤسسة (م.ع.أ) لدورات متعددة.
- عضو مؤسس ومؤطر لماستر الكتابات الأدبية والتربوية بالمغرب.
- منسق مسلك الفلسفة ضمن مشروع تكوين أطر التعليم P.P.G
- عضو ا للجنة العلمية لفحص البحوث المقدمة لترقية الأساتذة بجامعة محمد الخامس.
- مؤطر طلبة الدكتوراه (وحدة آداب وفنون متوسطية) كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط.
- عضو عدد من اللجن العلمية لفحص ومناقشة رسائل وأطاريح جامعية بجامعة محمدا لخامس (كلية الآداب – المدرسة العليا للأساتذة وكلية علوم التربية) وجامعة الحسن الثاني – كلية الآداب – المحمدية.
- رئيس لجنة مباريات انتقاء أساتذة التعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة – جامعة محمد الخامس.
- الإشراف على عدد من البحوث الجامعية: [بحوث الإجازة – بحوث السلك الخاص – بحوث دبلوم م.ع.أ - بحوث شهادة الماستر - أطاريح الدكتوراه].

- عضو اللجنة العلمية الاستشارية بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- عضو مؤسس جائزة عبد الله الجراري في الفكر والأدب.

- **في العمل الجمعوي:**

- مؤسس جمعية الشباب المتحد – دار الشباب – الرباط 1966 برفقة عبد الرحمن ببانا العلوي.
- عضو جمعية الأوراش المغربية – فرع الرباط -1967.
- عضو مؤسس لجمعية فنون تغزوت التقليدية ، ومستشار مكتبها الإداري – 1983.
- عضو النادي الجراري منذ سنة1983، محافظ النادي الجراري.
- عضو مؤسس لجمعية الدعم التربوي بالمدرسة العليا للأساتذة 1994.
- عضو مؤسس لجمعية البحث في أدب الغرب الإسلامي 1992.
- عضو المجلس الجهوي للثقافة بالرباط – دورات مختلفة 1994...
- عضو مؤسس لرابطة الجمعيات الجهوية 2002.
- عضو مؤسس لجمعية ذاكرة الأندلسيين.
- عضو مؤسس للمؤتمر الدولي لقيم المواطن وتحالف الحضارات (2010-2012).
- عضو مؤسس لجمعية دار الطالبة بالرباط(النائب الأول للرئيس منذ2005 إلى الآن...).
- عضو اللجنة الجهوية، واللجنة الإقليمية للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية نيابة عن رئيس جمعية رباط الفتح لسنوات متعددة.
- عضو جمعية خريجي مدارس محمد الخامس.
- عضو مؤسس للهيئة الاستشارية لمجلس عمالة الرباط 2018.

❖ **في جمعية رباط الفتح: عضو مؤسس: 1986.**

- عضو مؤسس: 1986.

- عضو اللجنة الإدارية منذ 1986 إلى اليوم...

- **المهام والمسؤوليات:**

- مقرر اللجنة الثقافية- نائب رئيس اللجنة الثقافية- رئيس اللجنة الثقافية والفنية – كاتب عام الجمعية – نائب رئيس الجمعية...

- ساهمت في تنشيط وتأسيس عدد من اللجن (اللجنة العلمية – لجنة التنظيم- لجنة الرحلات والعمرة – لجنة العلاقات الدولية) وإعداد وتنسيق مجموعة من الندوات والتظاهرات، وفي تأسيس المهرجانات الثقافية والفنية محليا ووطنيا ودوليا.

- الإشراف على إعداد وتنشيط حلقات أحداث الرباط 29 يناير 1944 السنوية.

- الإشراف العام على إعداد وطبع إصدارات ومنشورات الجمعية.

- محافظ خزانة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله التابعة للجمعية.

❖ في الإعلام الثقافي:

- مؤسس مجلة (الغصن المزهر) التربوية 1977 ثانوية الأميرة عائشة.

- عضو مؤسس لمجلة الدعم التربوي بالمدرسة العليا للأساتذة، ورئيس تحرير القسم العربي.

- عضو مؤسس لمجلة فضاءات تربوية – نيابة وزارة التربية الوطنية بالرباط – وعضو هيئة التحرير.

- عضو هيئة التحرير والقراءة بمجلة الذاكرة الوطنية بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

- مشاركة في عدد من البرامج الثقافية بالقنوات التلفزية (القناة الأولى – وقناة السادسة...) وببرامج الإذاعات الوطنية المغربية: الإذاعة الوطنية بالرباط- إذاعة طنجة...) (إذاعة مكة المكرمة) (إذاعة قطار الوحدة).

- دراسات وأبحاث ومقالات منشورة بعدد من المجلات ا لمتخصصة والملاحق الثقافية بالجرائد الوطنية.

❖ الأوسمة والشهادات التقديرية:

- حاصل على: وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة سنة2015.
- وسام الاتحاد العربي لجمعيات المحاربين القدماء وضحايا الحرب القاهرة 2014.
- درع اليوبيل الذهبي للمركز الثقافي المصري بالرباط 2007.
- درع مؤسسة البابطين – الكويت 2008.
- درع الشؤون الثقافية والبعثات، المركز الثقافي المصري 2012.
- درع النادي الجراري الرباطي2014.
- درع جامعة محمد الخامس- المدرسة العليا للأساتذة 2015.
- درع جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة (الذكرى الثلاثون للتأسيس) 2016.
- درع المهرجان المغربي الإيطالي- إيطاليا – الدورة 6 – 2018.
- درع منظمة المجتمع المدني الدولية لقيم المواطنة والتنمية والحوار، وجمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة2018.
- مجموعة من الشهادات التقديرية من هيئات علمية ومؤسسات جامعية وجمعيات وطنية ودولية.

❖ الأعمال العلمية: الأبحاث والدراسات: (نماذج)

- عبد الله بن العباس الجراري الأديب: مصطفى الجوهري.
- هذه مذكراتي لعبد الله الجراري: دراسة وتحقيق (ثلاثة أجزاء).
- الرحلة السطاتية أو السكرجية لعبد الله الجراري: تحقيق وتقديم.
- حياة بطل التحرير لعبد الله الجراري: إعداد وتقديم.
- ديوان للا ربيعة لأحمد بناني الصالح (ديوان زجل): جمع وتقديم.
- الخالصيات: ديوان شعر – عبد اللطيف أحمد خالص: جمع وتقديم.
- علي الصقلي أمير الشعراء (ندوة) إعداد وتنسيق.
- الرحلات الداخلية في المغرب(1912-1956) (ندوة) تنسيق.

- ظاهرة الأندية الأدبية بالمغرب(ندوة عبد الله الجراري) بالاشتراك.
- كتابة تاريخ العدوتين بالمغرب (ندوة عبد ا لله الجراري) بالاشتراك.
- العناية بالقرآن الكريم وعلومه بالمغرب (ندوة عبد الله ا لجراري) بالاشتراك.
- مشاهد من تاريخ الجهاد الوطني (مذكرات) لعبد الكريم الفلوس: مراجعة وتقديم.
- ثلاثون يوما في الولايات المتحدة الأمريكية: عباس الجراري: إعداد وتقديم.
- المؤلفون الرباطيون خلال وبعد الاستقلال (تراجم مختصرة) كتاب:الرباط الثقافة والتاريخ.
- زهرة الآس في فضائل العباس: (ثلاثة أجزاء) بالاشتراك.
- إدماج التربية السكانية في منهاج التكوين بالمراكز التربوية والمدارس العليا (جزءان) بالاشتراك.
- رحلات عبد الله الجراري الداخلية من خلال مذكراته: التجربة والتواصل.
- المقالة الثقافية في أعمال د. نجاة المريني من خلال أعلام في الفكر والوجدان.
- الدكتور عباس الجراري وجهوده في البحث في أدب الغرب الإسلامي.
- الدكتور عباس الجراري وتجليات الثقافة الجمعوية.
- محمد بن عبد العزيز بنعبد الله رجل الفكر والثقافة (إعداد وتنسيق).
- العلاقات التاريخية والثقافية بين الجديدة ازمور والرباط.
- الكتابة الرحلية عند الدكتور عباس الجراري: ثلاثون يوما في الولايات المتحدة الأمريكية نموذجا.
- العلامة المقرئ سدي عبد الله الجراري وجهوده العلمية في الدراسات القرآنية.
- الرؤية الثقافية والتربوية لدى الأستاذ عبد العزيز عثمان التويجري في ظل المتغيرات العربية (الرؤية التربوية).
- الأستاذ الدكتور علال الغازي: محطات للتأمل في الشخصية والعطاء العلمي
- المسرح في مدينة الرباط: البدايات التأسيسية زمن الحماية.
- الرواية العرفانية عند عبد الإله بن عرفة: الأبعاد والدلالات.

- الأستاذ أحمد بناني الصالح من الهواية إلى الاحتراف والإبداع.
- تاريخ الثقافة برباط الفتح من خلال أعلام العلامة عبد الله الجراري.
- علي الصقلي شاعرا مسرحيا: مسرحية آسي الحي أنموذجا.
- مقالات أحمد بلافريج بمجلة مغرب (1932-1934) نصوص مؤسسة للفكر السياسي الحديث بالمغرب.
- الحياة الثقافية لمدينة الرباط خلال القرن العشرين: الأبعاد والتجليات.
- عبد اللطيف أحمد خالص كما عرفته (النادي الجراري).
- الرباط عاصمة تنويرية دينية (كلية الآداب الرباط).
- المذكرات الدبلوماسية: قراءة في مذكرات الوطني السفير قاسم الزهيري عن العلاقات المغربية الموريتانية.
- مذكرات عبد الله شقرون: حياة في المسرح (مجلة المناهل).
- الكتابة المذكراتية السجنية: معتقل الصحراء (1) لمحمد المختار السوسي.
- الأستاذ الشاعر عبد اللطيف بنمنصور عميد الموسيقى الأندلسية بالمغرب.
- مذكرات الحاج إبراهيم فرج بين الذاتية والجماعية.
- بعض مني: رحلة لجوء من حيفا إلى الرباط للأستاذ واصف منصور بين سؤال الهوية والبعد الوطني والسياسي الملتزم.
- ملامح الأندلسية عند المقري من خلال نفح الطيب.
- الحاج عثمان جوريو: حوار الذاكرة.
- دور علماء الرباط في بعث النهضة المغربية الحديثة.
- ملامح الفكر التربوي زمن الحماية:التفتيش والتأليف المدرسي.
- التعريف بأحدث ثمرات منشورات النادي الجراري: (تعريف – قراءات – عروض) في النادي والصحافة الوطنية.
- تراجم رجال الحركة الوطنية والمقاومة والفداء: بموسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب (أكثر من 50 ترجمة)

- ظاهرة الأندية الأدبية بالمغرب: قراءة في كتاب المجالس الأدبية لعبد الله الجراري.
- الأندية الأدبية بالعدوتين: النادي الجراري نموذجا.
- النادي الجراري بين التأسيس والامتداد: مجلس الدكتور عباس الجراري نموذجا.
- النادي الجراري أقدم الأندية الأدبية بالمغرب: (مجلة زهور عدد خاص بالرباط).
- الكتابة الرحلية الداخلية في المغرب زمن الحماية (إلى روح العلامة عبد الله الجراري بمناسبة مرور عشرين سنة على وفاته).
- العلامة المجاهد عبد الله الجراري واجهات وطنية متعددة.
- العلامة الفقيه بن احمد حكم تحفة العلماء والأدباء.
- سوس بوابة الصحراء:بين المعطيات الحضارية المتجددة والأبعاد الوطنية والوحدوية.
- الأستاذ علي بركاش وكتابة التاريخ الوطني: العلاقات المغربية الأمريكية نموذجا.
- الأستاذ عبد الكريم بناني وثقافة التطوع (تجليات مختصرة).
- كتابة السيرة الغيرية عند الأستاذ محمد الرشيد ملين، نضال ملك نموذجا.
- الشاعر محمد بن الراضي، ملامح الوطنية والإبداع.
- جوانب من التنظيم التربوي والمنهجي للتعليم الحر بمدينة الرباط زمن الحماية.
- عمر أمين بنعبد الله: تجليات العمل الاجتماعي وصيانة التراث التقليدي بالمغرب.
- موسوعة الرباط للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله: قراءة أركيولوجية.
- الفنان فريد بنمبارك: قدرات فنية متجددة في المسرح المغربي.
- مولاي الحسن الحسيني مؤنس الشعراء- تجربة رذاذ الشعر.
- محمد العلمي الوالي الباحث العاشق للكتاب، بالاشتراك.
- قراءات في دواوين الشعراء: مولاي علي الصقلي، مولاي الحسن الحسيني، عبد الكامل دينية، العربي بن عبد الله المساري، أحمد بناني، عبدا للطيف خالص...إلخ.

- حي القناصل (السوق التحتي) ذاكرة الرباط التاريخية مجلة زهور عدد 4 غشت 2012
- من اعلام الرباط المعاصرين مجلة زهور عدد 4 2012

❖ بعض منشورات جمعية رباط الفتح: إعداد، تقديم تصحيح: «نماذج»

- فضيلة الشيخ العلامة محمد المكي الناصري: جهاد الفكر والدين والتحرير.
- عبد الجليل القباج رمز الوطنية الصادقة والجهاد الخالص.
- الوطني المجاهد عبد الله الجراري واجهات وطنية متعددة.
- المجاهد علي بركاش معالم الوطنية الأصيلة والمواقف الصادقة.
- الرائد الذي لم يكذب أهله الوطني المجاهد محمد اليزيدي (بالاشتراك).
- الحاج عثمان جوريو المجاهد الوطني والشاعر المربي (بالاشتراك).
- الوطني المناضل محمد المدور: شباب الوطنية اليافعة.
- مع رموز الوطنية اللامعة الحاج أحمد بلافريج: ذاكرة الأمة.
- الوطني الكبير الحاج أحمد الشرقاوي جيل الرواد.
- الحاج محمد بن العباس حكم: زاد الوطنية والعطاء الإنساني.
- الحركة الوطنية والتعليم الحر بمدينة الرباط.
- الوطني المناضل الأستاذ عبد الله العياشي: أنفة الوطنية الشامخة.
- المجاهدة للارقية الأمرانية مناضلة وطنية رائدة.
- الوطني المناضل الأستاذ محمد الرشيد ملين: أصالة فكر متجدد.
- العلامة القاضي الوطني الفقيه محمد بن أحمد حكم: وفاء العلماء (بالاشتراك)
- الوطني الشاعر محمد بن الراضي صوفية النضال وسمو ا لإبداع.
- المجاهد ا لأستاذ عبد الكريم ا لفلوس: سند الوطنية وتأطير الشباب.
- تجليات العمل الاجتماعي وصيانة التراث التقليدي عند عمر أمين بنعبد الله.
- الأستاذ محمد بن عبد العزيز بنعبد الله رجل الفكر والثقافة.

- علال بن عبد الله بطل التضحية والفداء لمحمد المدور.
- مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية: خليل جزوليت (تقديم).
- موسوعة الرباط للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (جزءان).
- بلدية الرباط في عهد الحماية 1911- 1939 ودورها الاقتصادي والعمراني والاجتماعي في حياة العاصمة: عبد الإله الفاسي.
- مدينة الرباط حتى الحماية الفرنسية، تاريخ وأركيولوجيا: جاك كايي، ترجمة د. حسن أميلي ود. ابراهيم اغلان.
- للنغم رسالة إطلالة على جوانب الثقافة الموسيقية والتربوية الفنية، مصطفى بنريسول.

****

مجالس العلماء

أحمد السوسي التناني*

دَفَّقتُ مَائِي بعدَ كَسْرِ جِراري ... وَقَصَدْتُ "توًّا" مُنتدى الجَرَّاري
فَوجدتُ فِيه الماءَ يهطلُ صَافيًا ... مُتدفِّقاً مِن مَنْبع فَوَّارِ
لَكأنَّهُ عَسَلٌ مُصفًّى رائقٌ ... أَو عِطرُ مِسكٍ فاحَ مِن أَزهارِ
والنَّاسُ تنهلُ من معينٍ دَافقٍ ... يُزري بِما في حَانَةِ الخَمَّارِ
فنهلتُ مثلَهمُ الكؤوسَ مُكرّراً ... ولكَم تطيبُ الكأسُ بِالتّكرار!
فالمنتدَى روضُ المعارفِ واحةٌ ... بِظلاَلِها وَجَدائِل الأشْجارِ
والمنتدى صرحُ الثقافة مُتْحفٌ ... لِنفائس الأعْلاقِ والأستَارِ
بِربُوعِه تَرعى العقولُ مَراتعًا ... لِروائع الأَفكارِ والأشعارِ
ولذا يَحُجُّ إليهِ كلُّ مُثقَّف ... مِن دُورنا أو مِن قَصيّ الدارِ
فالعِلم نُورٌ شَعَّ من زَمن مَضَى ... وزَمَانُنا بِالعِلْم ذُو أَنْوارِ
لِله دَرُّ مُجِلّهِ وَخَديمِهِ ... وَمُشِعّهِ مُتَلأْلأً بِمَنَارِ
وَرِثَ الشَّهامةَ غيرةً عن دِينِنَا ... وَبِلاَدِنا وَشَقَائِق الأَقْطارِ
وَقف الحياةَ عَلى المعَارِف مَاخِراً ... بَحْرَ العُلُوم بِحِنْكَةِ البَحَّارِ
نِعمَ الحياةُ شِتاؤُها وَمَصِيفُها ... تَزْهُو رَبيعًا مُزهرَ الأعْمارِ
لا يَسْتَوي مَن يَرْتَقي لِمَنابر ... مَع مَن يَكِدُّ بِسَاحَةِ الدِّينَار
فَمَجَالِسُ العُلمَا تَضوعُ بِعِلْمها ... عِطْراً ولَيْسَ مَتَاجرُ التُّجارِ
وَقُلاَمَةٌ مِن عَسْجدٍ تُزْري بِما ... فِي الأَرض مِن تُرب ومن أَحْجارِ
مَا مِنْهُمُ إلا أَديبٌ عَالِمٌ ... أَوْ نَاسكٌ من طِينَةِ الأَخْيَارِ

* من شعراء النادي الجراري، أصدر الدواوين التالية: "رذاذ الخريف"، "أزهار الربيع"، "ظلال المصيف"، سمر الشتاء.

أَو بَاحثٌ مُتَضَلّعٌ في بَحْثِهِ وَمَجَالِه إِنْسَانيٌّ وحَضَارِي
أَو شَاعرٌ تروى القَوافِي حِبْرهُ يَشْدُو رَنيمًا دُونَمَا مِزْمَارِ
فَالمُنتدَى طَال الزَّوايَا عَاطِراً بِنَسَائِم الأَمْداحِ والأَذْكارِ
والمُنْتَدى رَوضُ البَلاَبِل مُلْهِمٌ أَنْغَامَ لَحنٍ رَاقَ للأَوتَارِ
كالجَوْهَرِي شَلاّلُ عِلْمٍ هَادِرٍ وَمَعارِفٍ تَخْتَالُ بالإِبْهَارِ
وَمُفَكّرٌ إِنْ مَا يَجُولُ بِفكرِهِ في سَاحَة الآراءِ والأَفكَارِ
كُلٌّ يُصَدّقُ نُطْقَهُ فِي المُنْتَدَى لا وَاحدٌ لِلْجَوْهَرِي يُمَارِي
وَتَخَالُهُ دُرَرَ البَلاغَةِ نَاثراً اِبنَ الخَطِيبِ مُغَازلاً لِجَوَارِي
مَرْحَى حَمِيدَ المُنتدَى وَأَمِينَهُ لِلسِّرِّ حَافظَ الأَسْرَارِ
وَمُسَيّرُ الجَلَسَاتِ ضَابطُ وَقْتِهَا بِصَرامَةٍ أَوْ غَفْلةٍ لِقَرَارِ
أَدَبٌ رَفيعٌ قَوْلُهُ وَمِدَادُهُ بِزَخَارِفِ الأَوْرَاقِ فِي الأَسْفَارِ
حَمْدُ المَحَامِدِ عَبْقَرِيٌّ لاَمِعٌ هُوَ فِي الدُّجَى قَمَرٌ مِن الأَقْمَارِ
وَعَمِيدُنا وَمُضِيفُنَا يَقْريهِمُ مَنًّا وَسَلْوَى وَابِلَ الأَمْطَارِ
عَبّاسُ اِسْمًا مَا رَأَيْتُكَ عَابِسًا يَوْمًا وَلَكِنْ بَاسِمًا كَنَهَارِ
إِنّي سَعيدٌ إِذْ أُسَجّرُ أَحْرُفِي شَوْقًا لِمَدْحِكَ طَاقَةَ المقْدارِ
فَاقْبَلْ وَنقّبْ فِي خَفَايَا أَحْرُفِي عَمَّا أَرَدْتُ لَكِن لَمْ تُطِقْ أَشْطَارِي
فَالحَرْفُ بِكْرٌ والتَّمَنُّعُ دَأْبُهَا مَهْمَا دَعَوْتَ وَلُوعَة بِفِرَارِ
وسَجِيَّتِي شَاخَت مَشْيَخَةَ كَاهِلِي والشَّيْخُ لاَ يَلْهُو مَعَ الأبْكَارِ
لَكِنَّ شُكْرَكَ فِي شَغَافِي رَاسِخٌ وتَهَانِئِي عَن فَضْلِكَ المِدْرارِ
وهَدِيَّةٌ لِلْحَاضِرينَ إِذَا رَضوا وَإِذا أَبوا فَلْيَقْبَلُوا أَعْذَارِي
والْحَمْدُ لله الكَرِيمِ نَوَالُهُ عَمَّا بَدَا أَوْ غَابَ للأَبْصارِ
وَصَلاَتُه وَسَلاَمُه لِشَفيعِنا شَمْسِ الهِدَايةِ أحمد المختارِ

شاطئ الأمم، في 07 من ذي الحجة 19/1439 غشت 2018

****

أخي مصطفى...

عبد الرحيم بنعبدالله*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبيين والصحب الأكرمين؛
لقد سلمني عزيزي الدكتور المبرز والباحث الموفق الأستاذ المتمكن السيد المحترم محمد احميدة، ونحن في مجلس جمعة 2019/6/14، في نادينا نادي الجراري، دعوة لحضور حفل تكريم أخينا الدكتور المبرز والباحث المتمكن الأستاذ الجليل السيد المحترم مصطفى الجوهري، العضو المرموق في نادينا وأحد نواب رئيس جمعيتنا جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة، وذلك من طرف عميد البيان ورئيس النادي الجراري الدكتور الأكاديمي الكبير السيد المحترم عباس الجراري سدده الله، بالتشارك مع الأستاذ المتميز أخي عبد الكريم بناني رئيس جمعيتنا جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة حرسها الله.
فعملت على أن لا تفوتني هذه الفرصة السعيدة والجميلة بفضل الله إن شاء الله، فنظمت حينها أبياتا شعرية من البحر الطويل، رويّ قافيتها دال، تهنئة وفرحة بتكريم شخص أخي مصطفى العزيز علي حفظه الله ومد في عمره، وكلي أمل بأن تحظى قصيدتي هذه برضاه، والأبيات المعنية هي:

أَخِي مصْطَفَى، إنّي سَعيدٌ بِمَوعدٍ رَأَيْتُك فِيه تُكَرّمُ(و) كَالنّضِيدِ
سَمِيّ حِمَى النَّادي الْجِرَارِي، المكرَّم مِنَ الحبِّ عبَّاسَ العَمِيد المسودِ
رِضًا مِنْهُ عَنْ إِنْتَاجِك كلِّه أيا موفَّق نَهْلٍ والبحوثِ العديدِ
وعنْ فَيْض تحْقيقاتك في تآلفٍ لوالده أسْتاذِ جِيْل العقودِ
مُؤَسِّسِ مَجْلِسِنَا العتيد المخلَّد خَلِيلِ ابْن عَبْد الله خيْر ودودِ
وعنْ كَمْ نَوالِ الله، منْ قدرةٍ، لَه على النَّقْد فِي دقِّ الْعويص الحدودِ

* من شعراء النادي الجراري، أصدر ديوانا بعنوان "عشب وأزهار".

وَعنْ رُفقَةٍ دامتْ، سنينًا مديدةً، صفاءً، وإِخْلاصَ الوفاءِ الحميدِ
كذلك، من جمْعِ الرَّحى، منْ جواهر أهالِي رباط الْفتْح، ركْنِ الصُّدودِ
وحيْث جهودُك انْبرتْ في نشاطها جليلةَ قدْرٍ للْعيانِ الشَّهيدِ
فعبْد الْكريم، على المْدَى، ساند الْخطى أيَا لَه من دعْمٍ قويِّ الجهودِ
مناهُ مكافأةُ الرَّفيق الَّذي وفى إلى الْجوْهري السَّندِ النَّشيطِ الرَّشيدِ
فها هوَّ يُحْيي حفْل تكْريمك نيا بةً عنْ رباط الفْتْح، حسْنَ عهودِ
أخِي مُصْطَفى أَحْلى التَّهاني مَعَ المُنَى لَك مِنْ حَبِيبِك مَع بَوَاهي الورودِ
فدَاك أيَا حبِّي الصَّدوق صدَاقَةً ويَا مَن عرفْته فَيْض أَيْدٍ وجودِ
فَحَمْدًا لَكَ رَبّي عَلى أنْ مَدَدْتَ فِي حَيَاتِي لِكَي أَرَى احْتِفَال الودودِ
صَلاَتِي عَلى المْاحي الذِّي فِيهِ يَنْشَرح فُؤَادي وَيَحْلو لي جميلُ النَّشيدِ
ففيك أيا رحْمانُ قصْد عبيْدك لَه بِمَدى الغُفْرَان يَومَ الخلودِ
سَلامي عَلَى الصَّحْب الكرام في الرِّضا بفضْلهمُ(و)، أتوسّلنْ في الُّسجودِ

الرباط في 20 يونيو 2019

******

مُصْطَفَى

محمد نجيد*

وَمَا النَّثْرُ إلاَّ جَوَاهرَ تَسْبِى ... بِعُمْقٍ مُحِيطٍ لَدَى الْجَوْهَرِي
حَكَى يَوْمِيَاتٍ لِعَبْدِ الإِلَهِ ... الْجِرَارِي، الْحَبِيبِ إِلَى الأَشْعرِي
وَدَبَّجَ فِي رَوْعَةٍ وانْتَشَى ... بِخَطٍّ جَميلٍ لَدَى البُحترِي
وَفِي كُلِّ يَومٍ نَمَتْ زَهْرةٌ! ... يَفُوحُ شَذَاهَا بِقَلْبٍ ثَرِي
وَيُنْشدُ مَا رَاق مِنْ أُغْنِياتٍ ... وَيَعْزفُ مَا لَذَّ مِنْ أَزْهَرِي
وَيَنْشُرُ أَنْسَامَ عِطْرٍ زَكِيّ ... صَبَاحَ مَسَاءَ مَدَى العُمُرِ
سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَيَا جَوْهَرِيُّ ... سَلاَمٌ عَلَيكَ أيَا عَبْقَرِي!

الرباط، يوم السبت 18 شوال 1437هـ
الموافق لـ 19 شتنبر 2016م.

******

* من شعراء النادي الجراري، من دواوينه المنشورة: "المجداف الأخضر"، "حديقة الروح"، "أريج الوفاء".

الحمد لله، رب الناس
الذي أزال الباس عن الناس

د. محمد قرقزان*

معلقة**

تعزَّتْ يَمَاماتُ الأَراكِ تُنَادِيني ... بِأَعْلَى رياضِ الآسِ أَحْلَى التَّلاَحِينِ
شَدَتْ من نُغَيْماتٍ عِذابٍ مَوَاولاً، ... تُذَكِّرني عَهْدَ الغَوَالي فَيَشْفِيني
أيَا نَادي الفُضَلا الأعِزَّهْ تَحِيَّةً؛ ... سَلاَمًا على مُنْشيكَ، طِيبَ رَيَاحينِ
سَلاماً عَلَى عبْدَ اللهْ وَارِثِ مَعْشرٍ ... سَرَاةِ الكِرامِ في المَبَرّةِ والدِّينِ
خَليفَتُهم عَبَّاسُ سَيدُ نَزْلِهمْ؛ ... عميدُ آدابٍ، ورائدُ تَدوينِ
هُوَ مُسْتَشارُ الصِّدْقِ وَقَّى مَليكَهُ ... من النُّصْح والعِلْمِ المُكَمِّلِ مَوْزُونِ
وَفَاءٍ، وَإِكرَامٍ، وزينِ رعايةٍ ... لآبائِه الحَسَنِ، مُحَمّد مَرْهُونِ
فَأَجْيَال كَمَ رَبّى، كَوَالِد رَائِمٍ، ... عَطُوفٌ، حُنَيّنُ مِبْلَاغُ المَضَامينِ
أَلِفْنَاك يَا بَدْرَ المَنَاهِلِ بَاسمًا ... بآياتِ نُطَّاقٍ، وذَاتِ البَرَاهينِ
فَمِنْ كُلِّ أَوْطَان العُرُوبَة قَاصِدٌ، ... لِمَنْزِلِ عَبْدِ الله وَوَرَّادُ رَاوِينِ
فَلَوْ أَنَّما الأَنْظارُ، تَرْقُبُ جَمْعَهُم، ... وأَقْلامَهُم تَشْدُو بِكُلِّ أفَانينِ
جِنَانه لا تحصى فذائع عَرْفها؛ ... وبالقسط واف مَالِئَات الموازينِ
تَرَافَعَ فِي تَنقادِها كُلُّ مُنْجبٍ، ... يَبُذُّ أَسَاطينَ النِّقَادةِ رَابينِ
وَكَمْ حَار فِي تَحْليلِهَا كُلُّ دَارِسٍ؛ ... يَنَابيعُ عَبْدَ الله تَوَارِدُ في الحينِ
عديدُ تَواليفٍ تَدَاركُ قد كَفَتْ ... حَميدَةُ في تَنْسيقِهَا كُلَّ تَفْنينِ
وَكَمْ أَدْهَشْتَ ضَيْفانَ عَبَّاسِ كَفُّهَا ... الكريمةُ مِن عِرْقِ الكَرائِمِ والدِّينِ
وكاتبْ نَادينَا، العامُ عَوَالِمٌ ... من الفِكرِ والتَّحْليل والقَوْلِ رَاوِينِي

* أستاذ باحث، عضو النادي الجراري، له أشعار كثيرة ما تزال مرقونة.

** أنشأ الدكتور محمد قرقزان هذه القصيدة على إثر وعكة زكام ألمت بالأستاذ عباس الجراري، وانعطف الشاعر خلالها إلى الإشادة بالأستاذ الدكتور مصطفى الجوهري، محافظ النادي الجراري.

مِن الزّينِ والضَّبطِ المُوَثَّقِ عَرْضُهُ، وأوْتَارُه عَزْفًا عَلَى كُلّ تَلْحينِ
شَذا ظَرْفِهِ مَنْثورٌ في كُل مَجْلسٍ وخِفةُ رُوح عِنْدَه كُلّ تَثْمينِ
وَأَمَّا بِنَادينَا المُحافظُ مُصْطَفىً؛ تَعاليقُه تَشْفِي العِطَاشَ بتَكْوينِ
جَوَاهِري آدابٍ، ودِقَّةُ صَوْغِهِ مُدَاخَلُهُ، غَيْثٌ تهَاطَل يَرْوِيني
وَكَمْ أَعْجَبَ استدراكُهُ كُلَّ نَاظرٍ، لَبيبٌ، هُوَ المِعْطاءُ كُلاً بِتَزْيِينِ
فَخيرُ اختيارٍ حينَ سُمِّيْ مُحَافظاً، وَذَاكِرةٌ، تَاريخُ نَادِينَا مُوْفِيني
فَينزعُ نَصَّ الكُتْبِ أَقْوالَ دِقَّةٍ؛ شَوَاهِدَ مِنهَا خَاطِراتٍ، فَتُحْييني
جُذُوعُ النَّخيلِ الزّاكِياتِ بَهزُّهَا، وَأَكْوابَ رَاحٍ هَانِيَاتٍ معَ العِينِ
رجالاتُ مَأْمُونُونَ مِنهمْ تَخَضْرَمُوا، بنورٍ لعبدِ اللهْ، والنَّجْلِ مَأْمُونِ
شِعَابُ لُبابِ النَّادرينَ حَوافلٌ؛ فَيَنْهلُّ جُنْحَا الهَامِلاتِ بِمَكْنونِ
فَتَربُو، فَتَخَضلُّ الدُّنى، يَخْضُرُ المَدَى؛ وَتغْدُو العقولُ الثَامَلاَتُ مُجَلّبينِ
بساتينُ بَهْجهْ يَسْبيكَ رَوَاؤُهَا وأَثْمارُها مِنْ كُلِّ لَوْن وأُفْنُونِ
نَعُبُّ مِنَ الأَنْهارِ ذَائِبَ شُهْدهَا، على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وفي ظُلَلِ اللينِ
وَعِنْدَ خِتَامِ المِسْكِ، أُسْتاذُنَا لَهُ تَدَخّلْ، كَأَن مَا فَردُ بَاحَ بِمَضْنُونِ
حَوَاشي وَتَعْقيبَاتُ، مَا لَذَّ مثْلُهَا؛ وَتَنْويهَ بالمَعْنِي تَأَلّقَ كَالجُونِ
عَمِيدٌ لَهُ فَوْقَ المَنَابرِ رَوْعَةٌ؛ تُفَاجئُكَ بِاللُّبِّ، والفَنِّ واللّينِ
مِنَ العَبْقَرِي، الغَوَّاصِ، عَادَ بِلُؤْلُؤ، وفَصْلِ خِطَابٍ، مُسْنَدِ الحُجَّة حِطِّيني
وَوارِثُ مِنْ أَسْرارِ شَهْمٍ مُجَرّبٍ، تَمَرَّسَ أَكْنَافَ المُلُوكِ وَوَالينِ
جَرَاءاتُهُ من ذَلكَ العَهْدِ تَسْتَقي بِمَجْدٍ كَقَبْضِ السَّيْفِ مُشْهرِ مَسْنُونِ
وكُلٌّ كَأَنّ الطَّيْرَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَرَاوٍ كَمَوْجٍ هَادِئ دَفْقِ عِلْيينِ
لَه خَطَراتٌ مِثْلَ مَا قَالَ أَحْمَدٌ خَوَاطِرُ فُضّاحُ التَّواليفِ رَابِينِ
وَكَم قدْ شَجَاني مُنذُ حينٍ وَعْكةٌ؛ أَلَمَّتْ به، غَادٍ عَلَى جَمْرِ كَاوِيني
وضَاقَتْ بِي الآلاَم، هَلَّ قَريضُهَا؛ يُلَوّنُ أَفْراحِي بِوَرْدٍ ويَاسَمينِ
فَعَبَّاس، زَالَ الْبَاس حَمْداً لِرَبّنَا، عَنِ الغَالي؛ عَلاَّم الأَنام وَمَضْنُونِ

بِه، وبعَلاَّماتِ نَادينَا نُخبةٍ، أَكَابرِ مِن أَزْهَارِ، خَيرِ الرَّيَاحينِ
رَيَانينَ مِنْ عِلمٍ وفِكرٍ، وآدابٍ، ومن صَمَديْ الحُبِّ الرَّحيقِ تُجَنِّيني
عَلَيكُم صَلاةُ اللهِ نُوراً مَحَبّةً، بِألفِ سَلامٍ، يا أَحَّبتِي بَاقينِ !!

****

صور حفل تكريم
الدكتور مصطفى الجوهري

من اليمين إلى اليسار: عبد الكريم بناني، محمد احميدة (رئيس الجلسة)، عباس الجراري، حميدة الصايغ الجراري، مصطفى الجوهري

جانب من الجمهور الذي تتبع أشغال الندوة بمقر جمعية رباط الفتح

المقريء الأستاذ إبراهيم سليمان

الدكتور عباس الجراري يقدم شهادته في حق المحتفى به

الأستاذ عبد الكريم بناني رئيس جمعية رباط الفتح يقدم شهادته في حق المحتفى به

الأستاذة حميدة الصايغ تقدم شهادتها في حق المحتفى به

من اليمين إلى اليسار: ، محمد احميدة، عباس الجراري، حميدة الصايغ الجراري، مصطفى الجوهري

الدكتور محمد البوري يقدم شهادته في حق المحتفى به

الدكتور عبد الإله بنعرفة يقدم شهادته في حق المحتفى به

الدكتور عمر المراكشي يقدم شهادته في حق المحتفى به

الدكتور إبراهيم بورشاشن

الأستاذ محمد اليملاحي

الدكتور السعيد بنفرحي

الدكتور عبد السلام الطاهري

الدكتور محمد التهامي الحراق

الدكتور محمد أحميد

الدكتور سي محمد أملح

الدكتور ادريس الشراوطي

الدكتور مصطفى الجوهري يلقي كلمته في ختام الحفل التكريمي

لحظة تقديم الهدايا إلى المحتفى به الدكتور مصطفى الجوهري

الدكتور عباس الجراري يقدم هدية النادي الجراري إلى المحتفى به

الأستاذ عبد الكريم بناني يقدم هدية جمعية رباط الفتح إلى المحتفى به

الأستاذة حميدة الصايغ الجراري تقدم هديتها إلى المحتفى به

لحظة الكشف عن هدية الأستاذة حميدة الصايغ الجراري

محمد احميدة يقدم هديته إلى المحتفى به الدكتور مصطفى الجوهري

هدية محمد احميدة إلى المحتفى به، وتضمنت صورة تجمعهما في بداية سنوات الستين من القرن العشرين داخل الحديقة العمومية بالرباط، (نزهة حسان حاليا).

الفنان التشكيلي الأستاذ بنعبدالله يقدم هديته للمحتفى به

صورة جماعية في نهاية الحفل التكريمي

الدكتورة هاجر الجوهري (ابنة مصطفى الجوهري) في حديث مع الأستاذة حميدة الصايغ الجراري

جانب من قاعة الندوات في مقر جمعية رباط الفتح يوم الندوة العلمية التكريمية

بعض الحضور في الندوة العلمية التكريمية

الدكتور مصطفى الجوهري في حديث مع الدكتور أحمد سعيد أباه، أحد المشاركين بشهادتهم في حق المحتفى به.

جانب من الجمهور الحاضر في الندوة العلمية التكريمية

جانب من الجمهور الحاضر في الندوة العلمية التكريمية